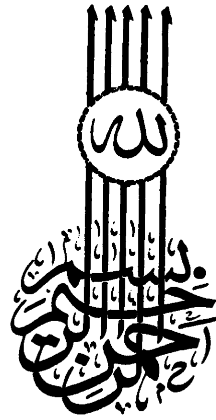


دراسات تاريخ الجزيرة العربية

هذا عنوان لسلسلة جديدة من الدراسات في تاريخ الجزيرة العربية ، تحتوى على الأبحاث التي كانت قد قدمت في الندوتين العالميتين الاولى والثانية اللتين كانتا قد نظمتا في كلية الآداب بجامعة الرياض ، وعلى الأبحاث التي ستقدم للندوات التي ستنظم فيها مستقبلا بمشيئته تعالى . وكانت الندوة العالمية الاولى قد نظمها قسم التاريخ ، بكلية الآداب ، بجامعة الرياض في جمادى الاولى ١٣٩٧هـ (ابريل ١٩٧٧م) وموضوعها **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** ، ويحوي أبحاثها هذا الكتاب في جزئيه . أما الندوة العالمية الثانية فكان قد اشترك في الاعداد لها وعقدها قسم التاريخ وقسم الآثار والمتاحف بالكلية ذاتها ، في جمادى الاولى ١٣٩٩هـ (ابريل ١٩٧٩م) وتناولت موضوع **الجزيرة العربية قبل الاسلام** . وستظهر أبحاثها في الكتاب الثاني للسلسلة .

أما الندوة العالمية الثالثة فان القسمين يعدان لها أيضا لتعقد بجامعة الرياض في أول عام ١٤٠٢هـ (نوفمبر ١٩٨١م) بمشيئة الله تعالى ، وسيكون موضوعها : **الجزيرة العربية في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين** . وفيما يلي عناوين كتب السلسلة :

الكتاب الأول : جزءان

مصادر تاريخ الجزيرة العربية

(مطبعة جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)

الكتاب الثاني :

الجزيرة العربية قبل الاسلام

(مطبعة جامعة الرياض ، تحت الطبع)

صور الغلاف

طبعت باذن خاص من ادارة الآثار والمتاحف ، وزارة المعارف ، المملكة العربية السعودية .

الأرضية : منظر لجمل ونقوش سبئية (نجران) .
في حركة دائرية من اليمين لليسار : مسجد الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (الجوف) ؛ مسجد من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي : بني خالد ، جزيرة جنا) ؛ بئر تعود لما بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين (الحناء ، غرب الجبيل) .

مصادر تاريخ الجزيرة العربية

الجزء الأول

حقوق الطبع

الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ·

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين والصلاة والسلام على
أفضل المرسلين سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

١٣٧٩هـ / ١٩٧٩م

مطابع جامعة الرياض

دراسات تاريخ الجزيرة العربية

الأبحاث المقدمة للندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية
في ٥ - ١٠ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ - ٢٨ ابريل ١٩٧٧م
قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية

الكتاب الأول

مصادر تاريخ الجزيرة العربية

الجزء الأول

وقف على طبعه وتصحيحه

الدكتور عبدالقادر محمود عبدالله　　الدكتور سامي الصقَّار　　الأستاذ ريتشارد مورتيل

بإشراف

الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري

مطبوعات جامعة الرياض

لجنـة تحرير الكتاب

أعضاء اللجنة الذيـن راجعوا الأبحاث وأعدوها للنشر كل في تخصصه

[redacted]

الدكتور محمد عبودى ابراهيم (الدراسات اليونانية الرومانية)

الأستاذ رتشارد مورتيل (التاريخ الاسلامي)

الاشراف العام

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري (تاريخ وآثار الجزيرة العربية القديمة)

الكتاب الأول : الجزء الأول

(القسـم العربـي)

المحتـويات : -

* ينظر فى القسم الأخر للابحاث المكتوبة بغير اللغة العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لله الحمد والشكر اذ أنعم علينا بتقديم هذا الكتاب الذي يضم في جزئيه بعض البحوث التي قدمت في الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية والتي انعقدت في ٥ ــ ١٠ جمادى الاولى ١٣٩٧هـ الموافق ٢٣ ــ ٢٨ نيسان (أبريل) ١٩٧٧م ٠

وان لم يكن بمقدوري ــ بحكم تخصصي ــ الحكم على المستوى العلمي لكل هذه البحوث، فان الذي يمكنني قوله هو أن كتّابها هم من الطليعة في تاريخ الجزيرة العربية وآثارها وأنهم بذلوا جهدا في كتابة أبحاثهم يستحقون عليه الشكر والتقدير ٠ ولا أشك في أن كثيرا من الابحاث تعد اضافة جديدة لتاريخ الجزيرة العربية ، وان هذا الكتاب في جزئيه سيسد فراغا كبيرا في المكتبة العربية ولا سيما في حقل المصادر ٠

واذا كان من حقي أن أوجه الشكر ، فانني أوجهه للجنة تحرير الكتاب التي بذلت جهدا مضنيا في سبيل اخراجه في صورة علمية مشرفة ٠ وأستميح أعضاء اللجنة في أن أقدم بأسمهم الشكر خاصة الى كل من الدكتور عبد القادر محمود عبد الله والدكتور سامي الصقار والاستاذ رتشارد مورتيل على الطريقة الطيبة التي أخرجوا بها هذا الكتاب ٠

ويطيب لي هنا أن أشكر معالي الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالي والرئيس الاعلى للجامعات ، لما حبانا به من رعاية منذ أن بدأت الندوة فكرة واصبحت حقيقة ماثلة ، وهذا لا يستغرب من مثله ، دوحة علم ومنبت فضل ٠

أما معالي مدير الجامعة السابق الاستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الله الفدا فقد كان حفيا بهذا العمل منذ بدايته ، فله شكر كل دارس ومستفيد من هذا الجزء ، ولمعالي مدير الجامعة الحالي الدكتور منصور ابراهيم التركي أيضا التقدير والاعتراف بفضله في عدم تردده في مساندة ندواتنا حال اطلاعه على تفاصيلها ، كما أقدم الشكر الى سعادة وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي وسعادة وكيل الجامعة للشؤون الادارية والمالية ٠

ولعل من واجبي أن أتقدم بأجزل الشكر لسعادة عميد كلية الآداب ووكيل الكلية اللذين ــ بعد الله ــ كانا خير عون للندوة ٠

كما لا يسعني الا أن اتقدم بالشكر لكل الذين أسهموا أيضا في طباعة هذا الكتاب وفي مقدمتهم الاستاذ موسى اسماعيل مدير المطابع بالجامعة على حدبه وتعاونه ٠

وختاما اسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ٠ إنه نعم المولى ونعم النصير ٠

الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري

رئيس الندوة العالمية الاولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية

مقدمة جزئي الكتاب

هذا هو الكتاب الاول في سلسلة **دراسات تاريخ الجزيرة العربية** ، وموضوعه **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** . وهو في جزئين تتكون ابوابهما من الآتي :

الجزء الاول

أولا : القرآن الكريم والحديث الشريف
ثانيا : الجزيرة العربية في الكتب القديمة وفي الآثار
ثالثا : الجزيرة العربية في كتب التراث
رابعا : مصادر أخرى متعلقة

الجزء الثاني

خامسا : مؤرخو الجزيرة العربية
سادسا : الجزيرة العربية في الوثائق
سابعا : الجزيرة العربية في كتب الرحالة المسلمين
ثامنا : الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين

وقد أجرينا تعديلات طفيفة في عناوين بعض الموضوعات عما كانت عليه في برنامج الندوة المطبوع ، وهو تعديل اقتضته الظروف بعد دراسة المادة العلمية دراسة متأنية ٠ وفي اعتقادنا ان ذلك أدى الى تحسين الهيكل العام للمواد ٠

ولقد اتبعنا نظاما معينا في ترتيب مواد الكتاب في جزئيه يمكن تلخيصه فيما يأتي :

(١) جعلت الابحاث المكتوبة باللغة العربية في شق من الكتاب والاخرى المكتوبة باللغة الانجليزية في الشق الآخر منه ، وصنفت كل مجموعة منها تحت موضوعها الرئيسى ، وحسب تسلسلها الموضوعي واتصال بعضها ببعض ٠

(٢) وضعنا في مقدمة كل شق من جزئي الكتاب ثبتين ، **الاول** منهما عام يجمع الابحاث باللغتين ٠ وقد وضعت نجمة فوق اسم المؤلف لتشير الى أن بحثه ليس مكتوبا بلغة ثبت المحتويات المنظور فيه وانما باللغة الاخرى ، ولذا لزم البحث عنه في الشق الاخر من الكتاب ، **والثاني** يضم الابحاث باللغة التي كتب بها الثبت ٠

(٣) حاولنا أن تكون الابحاث منتظمة حسب التسلسل الموضوعي والزمني اللازمين ٠ كما قدمنا ــ في الترتيب ــ الموضوعات العامة على الخاصة ، ولذا لم نعن بكتابة عناوين فرعية تعين المكان المدروس وتحدد العام والخاص ٠

تفصيلا لما أوجزناه في الفقرة الاخيرة ، فان القارىء الكريم يلاحظ أننا نستهل كل قسم بالابحاث التي تتناول موضوعا عاما يتناول الجزيرة العربية ككل ، مراعين في ترتيبها التسلسل الزمني والموضوعي والتدرج بها من الاعم والعام الى الخاص والاخص عن الجزيرة العربية ٠ حتى اذا ما فرغنا منها أعقبناها بالابحاث التي

تتناول اقاليم الجزيرة اقليما اقليما ، بادئين بالحجاز ، فنجد فمناطق الكويت والبحرين وعمان وحضرموت واليمن ثم شمال الجزيرة ، مراعين في ترتيب أبحاث كل اقليم تقديم العام على الخاص ، وملتزمين بالتسلسل الزمني والموضوعي تماما كما فعلنا فيما يختص بالجزيرة العربية ككل. واقتضى الالتزام بهذا الترتيب الدقيق (وهو عسير في تنفيذه) عزل الابحاث التي لم تقع ضمن الاقسام الاصلية الثلاثة (**أولا** ، **ثانيا** ، **ثالثا**) التي كانت معلنة في برنامج الندوة ، وتصنيفها في مجموعة خاصة قائمة بذاتها تحت (**رابعا**) . وربما ظن البعض ان مكان المجموعة الرابعة هذه كان الجزء الثاني لا الاول من هذا الكتاب ، ولكن ملاءمتها ومجانستها لابحاث المجموعات الثلاث الاصلية في الجزء الاول جعلا وضعها فيه أمرا لازما .

كما سيلاحظ القارىء اختلافا طفيفا بين عناوين بعض الابحاث في جزئي هذا الكتاب وبين عناوينها المطبوعة في كتيب **خلاصة الابحاث** الذي كنا قد أصدرناه قبيل انعقاد الندوة . وهو اختلاف ناتج عن أن العناوين في كتيب **خلاصة الابحاث** كانت مستقاة مما كان قد بعثه الينا الكتّاب أنفسهم مع خلاصات أبحاثهم حينا من الزمن قبل وصول تلك الابحاث ، ولما وصلت الابحاث أخيرا بعناوينها المختلفة قليلا عما ورد في

الخلاصات المقصودة ، كان الكتيب تحت الطبع وعلى وشك الصدور فلم يكن هناك مجال لاحداث أي تعديل فيه . والاختلاف طفيف على أي حال ، والعناوين الواردة في جزئي هذا الكتاب هي المعتمدة ، ولذلك لزمت الاشارة الى هذه المسألة ، ولله الفضل والمنة .

والى جانب ما أشرنا اليه ، هناك مسائل تحريرية وفنية ، وأخرى ينبغي التنبيه اليها وهي :-

أولا : المسائل التحريرية

هي نوعان رئيسيان : بعضها تعديلات وبعضها الآخر اضافات في الابحاث ، على هذا النحو :

أ ـ التعديلات :-

(١) لزم توحيد تهجئة أسماء الاعلام والبلدان في الكتاب منعا لتعدد الهجاءات أو استبعادا لغير المألوف منها الذي يُغرِب الاسماء عن مسمياتها المعروفة في الجزيرة العربية قديما وحديثا ، واعتمدنا في كتابة الاسماء العربية والاسلامية الواردة في القسم غير العربي من الكتاب التهجئة المتبعة في *Encyclopaedia of Islam* (**دائرة المعارف الاسلامية**) . ولم نخالف هذه التهجئة الا في الحالات التي لمسنا فيها أن بعض أصحاب الابحاث العربية يفضلون كتابة أسمائهم بصور معينة اشتهروا بها ، فأبقينا على هذه الكتابات التي فضلوها واشتهروا بها .

(٢) لزم توحيد كيفية الاشارة للمصادر والمراجع في المتون والهوامش وازالة التباين بقدر الامكان في التبويب في الابحاث ، بحيث ينتظم الكتاب ، في جزئيه ، نهج" واضح" متماثل متجانس العناصر . واتبعنا في ذلك الطرق الاكثر وضوحا والاعم شيوعا لدى أغلب الباحثين من حيث ايراد اسم المؤلف أولا ، يليه عنوان البحث وسنة صدوره والمواضع المقصودة فيه. ويُعدَّل هذا التعديلَ المناسبَ اذا ما كان البحث مقالة منشورة ضمن كتاب أو مجلة. وفي حالة تكرار ذكر المصدر أو المرجع في نفس البحث وحيثما لا يؤدي ذلك الى غموض في الاشارة ، استعضنا عن التكرار بما يناسب من عبارات **المصدر نفسه** ، **المرجع نفسه** ، **الموضع السابق نفسه** ، وهكذا . وهي أشياء وان كانت بدهية الا أننا رغبنا في الاشارة اليها ههنا

للتوضيح · واقتضى هذا الاتجاه القيام بتعديلات في عدد غير يسير من الابحاث · فليعذرنا الباحثون ممن مَسَّهم ذلك ، اذ كان ضرورة فرضتها مصلحة العمل ، كما أن مصدرا تاريخيا هاما مثل هذا الكتاب ، يضم في جزئيه أحد عشر ومائة بحثا، يخل به جدا أن تتباين فيه اتجاهات التأليف وطرق الاشارة للمصادر والمراجع فضلا عن اختلافات التبويب· ويقاس على ما وصف اعلاه ما تم في الابحاث المكتوبة باللغة الانجليزية ، وحيث استعملنا عبارات *ibid., loc. cit., op. cit.* ، حسب النظام المعروف المألوف لدى الباحثين الافاضل ·

(٣) اتصالا بما تقدم فاننا حرصنا على أن تكون جميع الاشارات الى المصادر والمراجع في الهوامش · وقد ادى هذا الى نقلنا الاشارات الموجودة في متون بعض الابحاث الى الهوامش · وقد اقتضى هذا ، في حالات فردية، أن ترقم الهوامش ترقيما جديدا لزيادتها قليلا عما كان قد وضعه صاحب البحث · وهناك أبحاث معدودة كانت جميع اشاراتها للمصادر والمراجع مبثوثة في المتون ، فنقلنا هذه برمتها للهوامش واستحدثنا لها هوامش جديدة كاملة ·

(٤) في كثير من الابحاث كانت الهوامش مبثوثة في صفحاتها وقد عمدنا ، لغرض التنسيق وتسهيل الطباعة ، لنقلها الى نهاية الابحاث ، وجعلنا لها ترقيما موحدا متسلسلا ·

(٥) تم حذف عبارات معدودة في بحثين لانها كانت خطابا موجها للمستمعين في الندوة لا الى القراء ·

(ب) الاضافات :ـ

(١) اقتضت حالات معينة أن يبدى المحرر ملاحظات لا غنى عنها حول بعض النقاط في بعض الابحاث ، اما لفتا لنظر الكاتب لمسألة لم يكن من السهل المرور عليها بلا تعليق ، أو تنبيها للقارىء الذي ربما لم تكن له خلفية عن الموضوع أو لربما خسر هذا القارىء بعض الخسارة اذا لم ينبه لما نبه له ، وفي سبيل ذلك اضطر المحرر الى شرح بعض النقاط واضافة بعض المعلومات · وقد جعلنا هذه الاضافات في أضيق نطاق ممكن حتى لا يشعر الكاتب بان الفرصة اتيحت للمحرر بالتعليق على بحثه دون اتاحتها له بالرد أو التعليق · ولم ندخل هذه الاضافات في المتون أو الهوامش وانما جعلناها حواشي في ذيول الصفحات وجعلنا لها اشارة خاصة (هكذا : ★ **المحرر** :)·

(٢) جاء في بعض الابحاث المكتوبة باللغة العربية ذكر لاسماء أعلام أوربيين وقد كتبت أسماؤهم بالعربية فقط · فأضفنا أسماء هؤلاء بلغاتهم في مواضعها لفائدة لا نظنها تخفى على القراء ·

ثانيا : المسائل الفنية :

(أ) ترقيم اللوحات والأشكال والخرائط :

رأينا أنه من الافضل والايسر أن نعطي كل فئة من اللوحات والاشكال والخرائط أرقاما مسلسلة واحدة ، لا استثناء في ذلك لاي من القسمين العربي والانجليزي في أي من جزئي الكتاب · تتميز اللوحات والاشكال والخرائط في القسم العربي بكون ارقامها بالعربية وفي القسم الانجليزي بكونها بالانجليزية · لذا فهي دائما تبدأ في القسم العربي وتستمر في القسم الانجليزي · مثال ذلك أن أولى لوحات القسم الانجليزي في الجزء الاول من الكتاب هي *Pl.* 55 (في بحث J. Pirenne) مستأنفة من اللوحة ٥٤ (في بحث حسن الباشا) وهي آخر لوحات القسم العربي · وتقاس على ذلك الاشكال والخرائط ·

(ب) الخط الاسود :

نسبة لعدم وجود الخط المائل (Italics) في المطبعة العربية فقد استعضنا عنه بالحرف الاسود ، وذلك في سور القرآن الكريم وآياته وعناوين المصادر والمراجع وأرقام المخطوطات والنقوش الآثارية وأجزائها علاوة على العناوين الرئيسية والفرعية وأرقام ما حمل أرقاما من العناوين الفرعية ٠ أما في القسم الانجليزي فانا استعملناه في حالات محددة هي أرقام سور القرآن الكريم وآياته والنقوش الآثارية وأجزائها فقط ٠

ثالثا : ثبت بأصحاب الابحاث المنشورة في الجزئين :

يجد القارىء في الجزء الاول من الكتاب وفي الموضع المخصص الذي يبينه ثبت المحتويات ثبتا بأصحاب الابحاث المنشورة في جزئي الكتاب ، رتبت فيه الاسماء ترتيبا هجائيا بالالقاب أو الاسماء الثالثة ، وقد عينا امام كل صاحب بحث وبين قوسين رقم الموضوع الرئيس المندرج تحته بحثه (مثلا : أولا ، خامسا الخ) ثم الجزء من الكتاب المنشور فيه بحثه (مثلا : جـ١ ، جـ٢) ٠ ويمكن للقارىء أن يرجع للثبت الموحد بكل الابحاث في الجزء المقصود ليجد عنوان البحث المطلوب ومكانه ٠

وقد تولت تحرير أبحاث الكتاب في جزئيه لجنة مؤلفة من الاساتذة المذكورة اسماؤهم في غير هذا الموضع ، وأشرف على الكتاب اشرافا علميا قبل اعداده للطبع وخلاله الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري رئيس الندوة ورئيس قسم التاريخ آنذاك (رئيس قسم الآثار والمتاحف حاليا) ٠ ولولا جهوده الطيبة التي بذلها لتذليل عقبات كثيرة اعترضت سير عمل الكتاب فلربما تأخر عن الصدور في موعده المقرر ٠ فله منا الشكر الجزيل ٠

وفضلا عن ذلك فقد استعانت اللجنة بعدد من الافاضل الذين تكرموا فراجعوا بعض تلك الابحاث في مراحل مختلفة من اعدادها ٠ وقاموا بجهد مشكور بهذا الصدد ٠ ولاسيما الاساتذة :

الدكتور حسن ظاظا	(اللغة العربية والدراسات السَّامِيَّة)
الدكتور أحمد سيد أحمد	(التاريخ الحديث)
الدكتور جمال مختار	(التاريخ القديم والآثار)
الدكتور وفيق غنيم	(التاريخ القديم والآثار)
الدكتور عبد الله العيثمين	(التاريخ الحديث)
الدكتور سعد الراشد	(الآثار الاسلامية)
الدكتور سيد احمد الناصري	(الدراسات اليونانية والرومانية)

ولا يفوت اللجنة أن تشيد بالجهد الذي بذله السادة محمود الروسان طالب الدراسات العليا والفني بقسم الآثار وخلفه في فترة غياب قصيرة له محمد كمال صدقي الفني بالقسم نفسه ، لمعاونتهما في قراءة أصول الابحاث (بروفات) المطبوعة باللغة العربية ، وكذلك الاستاذ أحمد أبو القاسم الفني بقسم الآثار الذي ساهم في قراءة البروفات العربية للجزء الاول من هذا الكتاب، والاستاذ ابراهيم عبدالقادر اخصائي الترميم في قسم الآثار والمتاحف لتصميمه الغلاف الخاص بالكتيب الحاوي لقوائم المحتويات للجزء الثاني من هذا الكتاب والذي كان قد وزع خلال ندوتنا العالمية الثانية٠ كما نزجي شكرنا الخاص لادارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف بالمملكة

العربية السعودية لتزويدنا بصور الغلاف وموافقتها على طبعنا لها، كما نقدم جزيل شكرنا للاستاذ محمد اقبال وزملائه بقسم المونتاج بمطابع جامعة الرياض على الجهد الـذي بذلوه في تنفيـذ تصميـم الغـلاف والسيديـن شوقي محمد أيوب وعبد الكريم الباز بقسم الصف بالمطبعة لجهودهمـا في طبع الكتاب وتوضيبه ٠ وتشيد اللجنة بالسيد زاهد أكبر سكرتير أمانة الندوة وجهده الطيب في نسخ وحفظ المواد المتعلقة بهذا الكتاب٠ كذلك نشكر كلا من السيد ابراهيم موسى سكرتير قسم الآثار والمتاحف والسيد محمد طايع سكرتير قسم التاريخ على معاونتهما بنسخ بعض المواد أيضا ٠ كذلك تشكر اللجنة كل من قدم لها المساعدة في مهمتها وفاتها ذكره في هذا الموضع ٠ والله تعالى الموفق والمسدد للخطوات ، له المنة والفضل ، وله الحمد والشكر على كل شيء ، وهو ولي التوفيق ٠

لجنة تحرير الكتاب

ذو القعدة ١٣٩٩هـ
الموافق
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩م ٠

مقدمة الجزء الاول

هذا هو الجزء الاول من الكتاب الاول للندوة العالمية الاولى عن مصادر تاريخ الجزيرة العربية في سلسلة **دراسات تاريخ الجزيرة العربية** . وتتكون أبوابه من الآتي :

أولا : القرآن الكريم والحديث الشريف
ثانيا : الجزيرة العربية في الكتب القديمة وفي الآثار
ثالثا : الجزيرة العربية في كتب التراث
رابعا : مصادر أخرى متعلقة

أما الجزء الثاني من نفس الكتاب فان أبوابه تتكون من الآتي

خامسا : مؤرخو الجزيرة العربية
سادسا : الجزيرة العربية في الوثائق
سابعا : الجزيرة العربية في كتب الرحالة المسلمين
ثامنا : الجزيرة العربية في كتب الرحالة الغربيين

وقد أجرينا تعديلات طفيفة في عناوين بعض الموضوعات عما كانت عليه في برنامج الندوة المطبوع ، وهو تعديل اقتضته الظروف بعد دراسة المادة العلمية دراسة متأنية . وفي اعتقادنا ان ذلك أدى الى تحسين الهيكل العام للمواد .

ولقد اتبعنا نظاما معينا في ترتيب الابحاث بالعربية والانجليزية في جزئي الكتاب يمكن تلخيصه فيما يأتي :-

(١) جعلت الابحاث المكتوبة باللغة العربية في شق من الكتاب والاخرى المكتوبة باللغة الانجليزية في الشق الاخر منه ، وصنفت كل مجموعة منها تحت موضوعها الرئيس ، وحسب تسلسلها الموضوعي واتصال بعضها ببعض .

(٢) قد حاولنا أن تكون الابحاث منتظمة حسب التسلسل الموضوعي والزمني اللازمين . كما قدمنا الموضوعات العامة على الخاصة . ولذا لم نعن بكتابة عناوين فرعية تعين المكان المدروس وتحدد العام والخاص .

(٣) وقد وضعنا في مقدمة كل شق من الكتاب ثبتين ، الاول منهما عام يجمع الابحاث باللغتين ، وقد وضعت نجمة فوق اسم المؤلف لتشير الى أن بحثه ليس مكتوبا بلغة ثبت المحتويات المنظور فيه وانما باللغة الاخرى ، ولذا لزم البحث عنه في الشق الاخر من الكتاب ، والثاني يضم الابحاث باللغة التي كتب بها الثبت .

(٤) وضعنا في المكان المخصص لثبت المحتويات في هذا الجزء قائمة بأصحاب الابحاث المنشورة في جزئي الكتاب وامام كل واحد منهم اشارة الى الجزء المنشور فيه بحثه (مثلا : جـ١ ، جـ٢) ، ويمكن للقارىء أن يرجع الى الثبت الموحد بكل الابحاث في الجزء المقصود ،ليجد عنوان البحث المطلوب ومكانه .

ونرجو أن نكون قد وفقنا فيما أنيط بنا من عمل . ولله الحمد والشكر ، وله الفضل والمنة أولا وآخرا، وهو ولي التوفيق .

لجنة تحرير الكتاب

ذو القعدة ١٣٩٩هـ
الموافق
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٩م

ثبت موحـد بجميع الابحاث

ثبت موحد بجميع الابحاث*

أولا : القرآن الكريم والحديث والسيرة

ثانيا : الجزيرة العربية في الكتب القديمة وفي الآثار

★ تعني علامة النجمة الموضوعة أمام اسم المؤلف أن بحثه مكتوب باللغة الانجليزية وأنه في القسم الخاص بالابحاث الانجليزية ٠

ثالثا : الجزيرة العربية في كتب التراث

رابعا : مصادر أخرى متعلقة

ثبت الابحاث العربية

ثبت الابحاث العربيــة (١)

(١) لا توجد **ابحاث باللغة العربية** في القسم المندرج تحت«أولا» وهو الخاص بالقرآن الكريم والحديث الشريف

مقدمو الابحاث العربية

مقــدمو الابحـاث العربيــة

أسماء مقدمي الابحاث العربية
تخصصاتهم ، شهاداتهم العلمية الاخيرة وعناوينهم الحالية

الاستاذ الدكتور/ابراهيم علي طرخان

تاريخ العصور الوسطى ـ دكتوراه جامعة القاهرة (مصر ، ١٩٥٥م) ـ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الدكتور/أيمن فؤاد سيد

التاريخ الاسلامي ـ حاليا : باحث بقسم الدراسات العربية والاسلامية بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ٠

الاستاذ الدكتور/حسن الباشا

الآثار الاسلامية ـ دكتوراه جامعة القاهرة (مصر ، ١٩٥٣م) ـ حاليا : كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ٠

الشيخ/حمد الجاسر

الدراسات العربية والاسلامية ـ حاليا : رئيس تحرير مجلة « العرب » ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الاستاذ الدكتور/رشيد بورويبة

تاريخ العرب الحديث ـ دكتوراه الجامعة الامريكية ببيروت (لبنان ، ١٩٧١م) ـ حاليا : كلية الآداب والعلوم الانسانية ، شارع 9 أفريل 1938، تونس ، الجمهورية التونسية ٠

الدكتور/سامي خَمّاس الصَّقّار

التاريخ الاسلامي ـ دكتوراه جامعة كمبردج (انجلترا ، ١٩٧٤م) ـ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الاستاذ الدكتور/عبد الرحمن الطيب الانصاري

كتابات عربية قديمة وآثار ـ دكتوراه جامعة ليدز (انجلترا ، ١٩٦٦م) ـ حاليا : رئيس قسم الآثار والمتاحف ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الاستاذ الدكتور/عبد العزيز الدوري

التاريخ الاسلامي ـ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الآداب ، الجامعة الاردنية ، عمان ، المملكة الاردنية الهاشمية ٠

الدكتور/عبد العزيز سليمان نوار

تاريخ العرب الحديث ـ دكتوراه جامعة عين شمس (مصر ، ١٩٦٤م) ـ حاليا : كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ٠

الدكتور/عبد الفتاح حسن أبو علية

تاريخ حديث ـ دكتوراه جامعة القاهرة (مصر ، ١٩٧٣م) ـ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الدراسات الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الدكتور/عبد الله الصالح العثيمين

التاريخ الحديث للمملكة العربية السعودية ــ دكتوراه جامعة ادنبرة (اسكتلندا ، ١٩٧٢م) ــ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الدكتور/عبد الله الناصر الوهيبي

التاريخ الاسلامي ــ حاليا ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ٠

الدكتور/عبد المنعم عبد الحليم سيد

حضارة مصر القديمة والشرق الادنى القديم وآثارهما ــ دكتوراه جامعة الاسكندرية (مصر ، ١٩٧٣م) ــ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، المملكة العربية السعودية ٠

الدكتور/عرفان شهيد

الدراسات العربية ــ حاليا : School of Languages and linguistics, Georgetown University, Washington D.C. 20057, U.S.A.

الاستاذ الدكتور/لطفي عبد الوهاب يحيى

تاريخ الحضارة اليونانية الرومانية ــ دكتوراه جامعة لندن (انجلترا ، ١٩٥٣م) ــ حاليا : قسم الحضارة اليونانية الرومانية ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية ٠

الشيخ/محمد بهجة الاثري

حاليا : منطقة نجيب باشا ، شارع وزارة التربية ، بغداد ، الجمهورية العراقية

الاستاذ الدكتور/محمد عبد القادر محمد

الدراسات المصرية القديمة ــ دكتوراه جامعة كمبردج (انجلترا ، ١٩٥٧م) ــ حاليا : ٧ شارع دمياط (بجوار مصلحة الاستعلامات) ــ خلف مسرح البالون ، العجوزة ، الجيزة ، جمهورية مصر العربية ٠

الاستاذ الدكتور/محمد على مختار

التاريخ الاسلامي ــ دكتوراه جامعة السوربون (فرنسا ، ١٩٥٧م) ــ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الرياض ، الرياض ، المملكة العربية السعودية

الاستاذ الدكتور/محمد محمود السروجي

التاريخ الحديث ــ دكتوراه جامعة الاسكندرية (مصر ، ١٩٥٥م) ــ حاليا : قسم التاريخ ، كلية الدراسات الاجتماعية ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، الرياض ، المملكة العربية السعودية

الاستاذ الدكتور/محمد مصطفى هدارة

الأدب العربي ــ حاليا : قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، الاسكندرية ، جمهورية مصر العربية

ثبت بأصحاب الابحاث المنشورة في جزئي الكتاب

ثبت بأصحاب الابحاث المنشورة في جزئي الكتاب
وقد رتبت اسماؤهم هجائيا

ابراهيم ، عبد اللطيف	(**سادسا**) ج٢
أبو علية ، عبد الفتاح حسن	(**ثالثا**) ، ج١
الأثرى ، محمد بهجة	(**ثالثا**) ، ج١
أزبران ، صالح*	(**سادسا**) ، ج٢
الأكوع ، محمد بن علي	(**خامسا**) ، ج٢
الامام ، رشاد محي الدين	(**سادسا**) ، ج٢
أمين ، حسين	(**سابعا**) ، ج٢
أمين ، عبد الامير محمد	(**سادسا**) ، ج٢
الأنصاري ، عبد الرحمن الطيب	(**ثانيا**) ، ج١
الأنصارى ، عبد القدوس	(**سابعا**) ، ج٢
أوكسونوالد ، و٠*	(**سادسا**) ، ج٢
بار ، بيتر ج٠*	(**ثانيا**) ، ج١
الباشا ، حسن	(**ثانيا**) ، ج١
بشير ، بشير ابراهيم	(**خامسا**) ، ج٢
البطريق ، عبد الحميد محمد	(**سادسا**) ، ج٢
بلاكبيرن ، ج٠ر٠*	(**سادسا**) ، ج٢
بلقة ، مصطفى*	(**سابعا**) ، ج٢
بنعبد الله ، عبد العزيز	(**سابعا**) ، ج٢
بورويبة ، رشيد	(**ثالثا**) ، ج١
بونوالا ، ا٠*	(**ثالثا**) ، ج١
بيتس ، م٠أ٠*	(**خامسا**) ، ج٢
بيرسون ج٠د٠*	(**سادسا**) ، ج٢
بيرين ، جاكلين*	(**ثانيا**) ، ج١
بيستون ، أ٠ف٠ل٠*	(**ثانيا**) ، ج١
التكريتي ، بهجت كامل	(**سابعا**) ، ج٢
التميمي ، محمد داود	(**سادسا**) ، ج٢
الجاسر ، حمد	(**ثالثا**) ، ج١
الجرّاري ، عباس	(**سابعا**) ، ج٢
جونز ، مارزدن*	(**أولا**) ، ج١
جويونش ، نجات*	(**سادسا**) ، ج٢

ثبوت اللوحات والاشكال والخرائط

ثبت اللوحـــات

---

* **المحرر** : في اللوحات ٢٣ ـ ٤١ أوردنا الأسماء صحيحة أو مصحفة كما وردت في الشواهد . وهذا هو سبب كتابتها بالأسود . وجميع الشواهد بالمتحف الآثاري بكلية الآداب جامعة الرياض .

اللوحة ٢٥ : شاهد قبر من بني سليم باسم **حمدان بن فوزان** (يخصه الشكل ٥).
اللوحة ٢٦ : شاهد قبر من بني سليم باسم **حميدة ابنت حمدان** (يخصه الشكل ٦).
اللوحة ٢٧ : شاهد قبر من بني سليم باسم **احمد بن محمد بن صلح** (يخصه الشكل ٧).
اللوحة ٢٨ : شاهد قبر من بني سليم باسم **محمد بن سليمن بن داود** (يخصه الشكل ٨).
اللوحة ٢٩ : شاهد قبر من بني سليم بدون اسم (يخصه الشكل ٩).
اللوحة ٣٠ : شاهد قبر من بني سليم باسم **ابراهيم بن سميع** (يخصه الشكل ١٠).
اللوحة ٣١ : شاهد قبر من بني سليم باسم **أم الحسن ابنت احمد بن العلا** (يخصه الشكل ١١).
اللوحة ٣٢ : شاهد قبر من بني سليم باسم **خديجة ابنت عيسى** (يخصه الشكل ١٢).
اللوحة ٣٣ : شاهد قبر من بني سليم باسم **خديجة ابنت عيسى** (يخصه الشكل ١٣).
اللوحة ٣٤ : شاهد قبر من بني سليم باسم **اسحاق بن عيسى بن يحيى** (؟) (يخصه الشكل ١٤).
اللوحة ٣٥ : شاهد قبر من بني سليم باسم **هلبوث بن عمرو بن عيسى** (يخصه الشكل ١٥).
اللوحة ٣٦ : شاهد قبر من بني سليم باسم **عبدالله بن محمد بن أحمد بن عرقوب بن موسى** (يخصه الشكل ١٦).
اللوحة ٣٧ : شاهد قبر من بني سليم باسم **عبسة ابنت هلال** (يخصه الشكل ١٧).
اللوحة ٣٨ : شاهد قبر من بني سليم باسم **أحمد بن سندال بن محمد بن سندال بن المشاوب** (يخصه الشكل ١٨).
اللوحة ٣٩ : شاهد قبر من بني سليم باسم **أبو القاسم على بن محمد بن عبدالرحمن** (يخصه الشكل ١٩).
اللوحة ٤٠ : شاهد قبر من بني سليم باسم **اسمعيل بن ابراهيم الجار** (يخصه الشكل ٢٠).
اللوحة ٤١ : شاهد ضريح من مكة المكرمة باسم **قايتباي بن شرف بن قايتباي بن محمد** ثم قتادة ثم الحسن بن علي بن أبى طالب (يخص الشكل ٢١).
اللوحة ٤٢ : شاهد قبر من مصر لعبد الرحمن بن خير الحجري. متحف الفن الاسلامى بالقاهرة. **سجل رقم ١٥٠٨ - ٢٠. مؤرخ سنة ٣١هـ (٦٥٢م).**
اللوحة ٤٣ : نقش على تل في آبار علي بالمدينة المنورة.
اللوحة ٤٤ : نقش سد العيّار بالطائف. باسم معاوية بن أبي سفيان. المؤرخ سنة ٥٨هـ (٦٧٨م).
اللوحة ٤٥ : نص تذكاري بالفسيفساء في قبة الصخرة بالقدس. مؤرخ سنة ٧٢هـ (٦٩٠ - ٦٩١م).
اللوحة ٤٦ : أميال عبد الملك بن مروان.
اللوحة ٤٧ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٣٤٩هـ (٩٦٠م). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. **سجل رقم ٢٧٢١ - ٨٩.**

بعد ص ١٢٦

اللوحة ٤٨ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٣٥٥هـ (٩٦٧م). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. **سجل رقم ١٢٣٤**.

اللوحة ٤٩ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠م) متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. **سجل رقم ٣٠٨٧**.

اللوحة ٥٠ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ١٥٢هـ (٨٦٥م). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة . **سجل رقم ٣٣٧٧**.

اللوحة ٥١ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٢٤٣هـ (٨٥٨م). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. **سجل رقم ٣٩٠٤** .

اللوحة ٥٢ : شاهد قبر من مصر مؤرخ بالربع الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. **سجل رقم ٩٨١٠** .

اللوحة ٥٣ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨م). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. **سجل رقم ٦٧١٧**.

اللوحة ٥٤ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٥٩٤هـ (١١٩٨م). متحف الفن الاسلامي بالقاهرة. سجل رقم ١١٧٠١ .

بعد ص ١٢٦

اللوحات ٥٥ ـ ٧٧ : تابعة للقسم الانجليزي (Plates 55-77) . وهي مشروحة في الثبت الخاص بها في موضعه .

ثبت الاشكـال

ثبت الخرائط

الابـحـــاث

(٣٩) عن أهداف أغسطس كما يلخصها سترابون انظر Strabo, *Geographica, XVI,* 4:22 · هذا ومما يزيد من ثروة سكان المنطقة أن أهلها كانوا يبيعون منتجاتهم ولا يشترون شيئا في مقابل ذلك (راجع Plinius, *Historia Naturalis, VI,* 162) · كذلك اذا ضمت هذه المنطقة العربية الى الامبراطورية الرومانية فستؤدي (بموقعها على الساحل الشرقي للبحر الاحمر الى جانب موقع مصر ـ التي كانت قد اصبحت ولاية رومانية منذ ٣٠ ق·م· ـ على الساحل الغربي) الى سيطرة رومة سيطرة كاملة على الطريق التجارية البحرية في البحر الاحمر · وقد كان هذا ، اذا تم ، خليقا بأن يوفر على الحكومة الرومانية وعلى الرعايا الرومان التكاليف الباهظة والرحلات الشاقة بالقوافل التجارية البرية · كذلك كان خليقا بأن يؤدي الى تخفيض ثمن المنتجات العربية والى تحويل طريق التجارة الى الهند الى طريق مباشرة · ونحن نستطيع أن نتعرف على أهمية تجارة الهند من المعلومات التي يقدمها لنا بلينيوس (*Historia Naturalis, VI,* 101; *XII,* 63-5) راجع كذلك J.G.C. Anderson, *op. cit.*, pp. 249-250

(٤٠) Strabo, *Geographica, XVI,* 4:23-4 راجع رأي أندرسون Anderson (*Op. cit.*, p. 252 & n. 1) الذي يستبعد خدعة سلايوس ، ويعتقد ان سترابون اعتمد على التقرير الرسمي للحملة (الذي يبدو من سياق الحديث أن أندرسون يعتقد أنه مختلف عن الواقع ، ربما يهدف تبرير فشل الحملة) ويعتقد أن الأنباط ، وان كانوا لا يرحبون بالحملة التي لا بد أنهم أدركوا امكان تأثيرها على احتكارهم للخطوط التجارية في المنطقة ، الا أنه بدون معاونتهم فان الرومان ما كانوا يستطيعون عبور الجزيرة العربية من الشمال الى الجنوب · وهو يضيف الى ذلك أن الارض الواقعة الى جنوبي منطقة الانباط ربما كانت أرضا غير معروفة بالنسبة لهؤلاء الأخيرين، كما يؤيد ما يذكره Glaser في (*Skizze der Geschichte und Geographie Arabien* (1890), part 2, p. 432) من أن سلايوس ربما تفادى الطريق الرئيسية المباشرة حتى لا يتعرض لمتاعب كبيرة من غارات القبائل البدوية· على أني أستبعد عدم معرفة الأنباط بالأرض الموجودة الى جنوبيهم ، فهم يعتمدون أساسا على الخط التجاري الجنوبي للحصول على السلعة الرئيسية لتجارتهم وهي الطيوب والتوابل ، ومن مستلزمات هذا الوضع أن يكونوا على علم بالمنطقة ومسالكها · كذلك أجد أن الخوف من هجمات القبائل البدوية احتمال غير وارد بشكل قوي أمام الجيش الروماني (الذي لم يهزم في الواقع أمام القبائل العربية ، وانما فشل في مهمته بسبب سوء تدبير خط سيره) · كذلك أجد أن تقريرا رسميا عن الحملة وأسباب فشلها عسكريا يكتبه ايليوس جالوس قائد الحملة ، ليس من الضروري أن يبرر هذا الفشل الجزئي بخدعة سلايوس اذا لم تكن هناك خدعة فعلا ، فمثل هذه الخدعة ستكون معروفة للقواد الصغار الذين يعملون تحت امرة جالوس اذا كانت قد حدثت فعلا ، واذا لم تكن قد حدثت فستكون الأسباب الحقيقية لفشل الحملة معروفة لهم كذلك · أما عن عدم ظهور الخدعة ضمن الاتهامات التي وجهتها رومة الى سلايوس في أثناء المحاكمة التي انتهت باعدامه فمن الوارد أن يرجع ذلك الى عدم رغبة الرومان في أن يعترفوا أمام الولايات الرومانية بأن الجيش الروماني من الممكن أن يخدعه شخص من دولة صغيرة اصبحت ولاية رومانية ، وهو أمر أعتقد انه منطقي ومقبول اذا تذكرنا أن رومة ، آنذاك ، كانت تفتتح عهدا جديدا تحت حكم أغسطس ترسخ فيه حدود امبراطوريتها ، والأمن اللازم لهذا الترسيخ · وأخيرا فان ذكر ايليوس جالوس في تقريره الرسمي لخديعة سلايوس ليس فيه ما يلقى ظلا داكنا عليه ، فهو ليس مسئولا عن اختياره ، وانما المسئول عن ذلك هو الحكومة الامبراطورية ذاتها ·

(٤١) *Historia Naturalis, VI,* 147-162 وتنويه بلينيوس بتصحيح أو تدقيق معلومات سابقيه يرد في *Historia Naturalis, VI,* 139, 156, 160.

(٤٢) Historia Naturalis, XII, 51 - 99

(٤٣) Historia Naturalis, XII, 59 - 65, 84

(٤٤) Historia Naturalis, XII, 58, 83

(٤٥) الكتاب محرر باليونانية وان كان قد عرف تحت الترجمة اللاتينية لعنوانه وهي : Periplus Maris Erythraei عن تاريخ ظهوره هناك من يقول بأن ذلك كان في القرن الاول الميلادي راجع : Anderson, op. cit., pp. 881 - 883 متضمنا عرضا ونقدا مفصلا لرأي W. Schurr في دراسته Orientpolitik des Kaisers Nero الذي كان بدوره تطويرا لافكار قدمها E. Kornemann (في Janus I, pp. 55 ff.) ، بينما يذهب آخرون الى أن الكتاب ظهر في القرن الثالث الميلادي مثل : Jacqueline Pirenne, "La date de Periplée de la mer Erythrée", Journal Asiatique (1961), pp. 44 ff.

(٤٦) Periplus, 26.

(٤٧) W. Schurr, loc. cit.

(٤٨) Anderson, op. cit., p. 883

(٤٩) Periplus, 23, 31.

(٥٠) Strabo, Geographica, XVI, 4, 21.

(٥١) عن تسجيل أحداث الحملة Plinius, Historia Naturalis, VI, 141 ، عن شهرة جايوس قيصر من ورائها ، Historia Naturalis, XII, 55.

(٥٢) Historia Naturalis, VI, 160

(٥٣) من بين هذه الشواهد ما ذكره بلينيوس من أن الملك يوبا Iuba في مجلداته التي أهداها الى جايوس قيصر بمناسبة هذه الحملة تحدث عن وصف شجرة اللبان (Historia Naturalis, XII, 56) بينما يذكر بلينيوس في مكان آخر Historia Naturalis, XII, 51 - 2 أن اللبان بالذات لا يوجد الا في الجزيرة العربية ، وهو لا يوجد من بين كل مناطق الجزيرة الا في حضرموت ، احدى مناطق السبئيين في مكان على بعد رحلة ثمانية ايام من سابوتا Sabota (شبوة) حيث توجد منطقة تنتج اللبان اسمها سريبه Sariba ومن هنا أجد من الصعب أن أتفق مع ما ذهب اليه دسو Dessau (في Geschichte der Romischen Kaiserzeit, Part 1, pp. 379 ff.) من أن الحملة يبدو أنها كانت موجهة الى بلاد العرب الصخرية او الحجرية (القسم الشمالى الغربي للجزيرة) وليس الى العربية السعيدة (جنوبي الجزيرة) — وهذا الرأي الأخير يميل اليه أندرسون ، Anderson, op. cit., p .254

(٥٤) M. Cary, A History of Rome, (1951), p. 591, n. 18. كذلك أندرسون ، Anderson, op. cit., pp. 252 f, 883 n. 6

(٥٥) على سبيل المثال : Diodorus, Historiae, II, 54, Strabo, Geographica, XVI, 2:2, 3:1 Eratosthenes) (Strabo, Geographica, XVI, 412

(٥٦) Ptolemaios, Geographike Hyphegesus, V, 14:5, 19; V, 18

(٥٧) Alois Musil, op .cit., pp. 503-504 الساحل الشمالى للخليج عند بطليموس (في Geographike Hyphegesus, VI, 7:19) الحدود الجنوبية لوادي الرافدين (Geographike Hyphegesus, V, 19) . راجع حديث بلينيوس عن تراجع الخليج امام الطمي الذي يحمله النهران (الامر الذي يجعلنا نفهم الى حد ما اعتبار بطليموس لبداية منطقة الاهواز على انها بداية للخليج) في Historia Naturalis ,VI, 139 - 40

حملة امرىء القيس على نجران : المصادر غير العربية

عرفان شهيد

يحتل نقش النمارة* الذي يرقى الى سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين ميلادية المكان الأول بين كلّ النقوش العربية الجاهلية التي كُشف عنها النقاب الى الآن ·

ويشير النقش فيما يشير الى حملة على نجران قام بها الملك المذكور في النقش ، وهو امرؤ القيس بن عمرو · وهذه الاشارة تثير أسئلة كثيرة منها ، هل قام بها امرؤ القيس وحيدا ، أم بمؤازرة احدى الدولتين اللتين كان له معهما صلات ، وهما فارس والروم ؟ ولا سبيل الى الاجابة عن هذا السؤال أو الاقتراب من اجابة الا بالاستعانة بالمصادر غير العربية ، وأهمها نقش بايكلي الايراني ، والبرديات المانوية المكتوبة بالقبطية ، وسيرة الامبراطور قسطنطين اليونانية ، ونقش لاتيني يذكر انتصارات قسطنطين ، ونقش سبأي يخبر عن ملك حمير شمر يوهرعش ، ونقوش نجاشي الحبشة عزانا ·

- ١ -

يتأكد لنا من بعض هذه المصادر ان امرء القيس المذكور في نقش النمارة هو الذي ذكره هشام بن محمد الكلبي ثاني ملوك لخم بعد أبيه عمرو بن عدى ·

واكتشاف قبر امرىء القيس بن عمرو في الشام وليس في الحيرة ، يثير سؤالين مهمين ، أولهما لماذا لم يدفن الملك اللخمي في بلده الحيرة ؟ قال بعض المؤرخين ان النقش يدل على أن منازل لخم كانت أولا في الشام ،

★ **المحرر** : لمنفعة القارىء الذي يتعرف على هذا النقش لاول مرة يقدم هذا التعريف :
عثر العالم رينيه دوسو على هذا النقش الذي حفر على واجهة ضريح امرىء القيس الاول المتوفى في عام ٣٢٨م وذلك في النمارة بالصفا (حوران) وهي أقدم كتابة بالخط العربي المأخوذ عن الخط النبطي في مرحلة الانتقال ويقول النقش :
« ذى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ، ذو أسر التاج وملك الاسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدى وجا بزجى من حبج نجرن مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه عكدى هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده » ·
راجع ذلك في :
René Dussaud, "Inscription Nabatéo - arabe d'An - Nemara" *Revue Archéologique*, 3 ser., XLI (1902), p. 411.
وراجع في ذلك أيضا جواد على ، **تاريخ العرب قبل الاسلام** (الطبعة الاولى) ، جـ١ ، ص ١٨٩ — ١٩٠ ، (طبعة بغداد — بيروت ، ١٩٦٩) جـ٣ ، ص ١٩١ ، ١٩٢ ، جورجي زيدان ، **العرب قبل الاسلام** (دار الهلال ، القاهرة) ، ص ٢٢٧ — ٢٢٨ ·
وتفسير هذه الكتابة باللغة العربية الفصحى هو :
« هذا قبر امرىء القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي تقلد التاج وأخضع قبيلتي اسد ونزار وملوكهم وهزم مذحج الى اليوم وقاد الظفر الى أسوار نجران مدينة شمر وأخضع معدا واستعمل بنيه على القبائل وأنابهم عنه لدى الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه الى اليوم · توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من ايلول (سبتمبر) وفق بنوه السعادة » ·

ومنها نزحت القبيلة الى الحيرة بالعراق ٠ ولكن هذا مخالف لما أجمع عليه النسابة العرب والأخباريون ، من أن ديار لخم كانت في الجزيرة والعراق وليس في بلاد الشام ٠ وقد توثقت أقوال الاخباريين بنقش بايكلي

الايراني (١) لعهد الشاه الفارسى نرسه في أواخر القرن الثالث الميلادى ، فهذا النقش يشير الى عمرو والد امرىء القيس ، وأنه كان لذلك العهد في منطقة النفوذ الفارسى حيث وضعه الاخباريون زمنا ومكانا ، ويترتب على هذا أن ابنه امرء القيس كان ايضا في العراق معه ، قبل نزوحه الى بلاد الشام ٠

والسؤال الثاني الذي يتبادر الى الذهن ، هو لماذا ترك امرؤ القيس الحيرة ونزح الى بلاد الشام ؟ والاجابة عن هذا السؤال متيسرة عندما نؤلف بين ما قاله ابن الكلبي وبين ما يفيدنا اياه مصدر أجنبي ٠

فقد ذكر هشام أن امرء القيس كان أول من تنصر من ملوك لخم ، اي قبل تنصرهم الثاني في أواخر القرن السادس ٠ والبرديات القبطية (٢) التي اكتشفت في مصر والتي تؤرخ للحركة المانوية في القرن الثالث تؤيد خبر هشام ، فهي تشير الى أن والد امرىء القيس (وهو عمرو بن عدى المشهور) كان من حماة المذهب المانوي بعد أن قطع سابور الاول دابر ذلك المذهب وصلب نبيهم «ماني»٠ وهذه البرديات اذن تؤكد أن أول ملوك لخم كان متصلا ومتأثرا بهذه الحركات والتيارات الدينية في العراق وفي الحيرة ومنها النصرانية ، فلا يستبعد اذن أن يكون ابنه امرؤ القيس قد اعتنق النصرانية ، وكانت شائعة في العراق والجزيرة الفراتية ، ولا يخفى ما كان من علاقات بينها وبين المانوية ٠ ويشبه أن تكون نصرانية امرىء القيس مشوبة بالمانوية أو ضربا منها ٠ وهذا يفسر نزوح امرىء القيس الى بلاد الشام ، فنصرانية امرىء القيس لم تكن مقبولة عند سابور ، ولم تكن مقبولة عند المجوس ، لا سيما بعد تنصر الامبراطور قسطنطين معاصر امرىء القيس وعدو سابور وظهور النصرانية لعهده في منطقة البحر الابيض المتوسط ٠ كل هذا يجعل نزوح امرىء القيس مفهوما، فقد ترك اللخمي بلاد عبدة النار الى بلاد الشام ، وبعد أن كان حليفا لفارس أصبح حليفا للروم ، وهناك مات ودفن في النمارة ، وهي مسلحة من مسالح الروم كان يرابط فيها الفيلق المدعو

يتبين من هذا أن امرء القيس قضى شطرا من ملكه في الحيرة في منطقة النفوذ الفارسى ، وشطراً آخراً في الشام في منطقة النفوذ الرومي ، الأمر الذي يعين على فهم موضوع هذه الكلمة الرئيسى ، وهو حملته على نجران ٠ وكما أشرت في مطلع كلمتي هذه يمكن ان يكون امرؤ القيس قد قام بهذه الحملة من الحيرة ، أو من الشام ، ويستبعد أن يكون امرؤ القيس قام بهذه بهذه الحملة على حسابه ، فنجران بعيدة كل البعد عن الحيرة وكذلك بعدها عن الشام ، وأغلب الظن أنه قام بها كحليف لاحدى الدولتين ، فارس والروم ٠

- ٢ -

أما كونه قام بها من الحيرة ، فهذا يؤيده أو قد يؤيده خبر معروف في تاريخ الطبرى ، وهو حملة سابور الثاني على عرب الجزيرة ، وكانت حملة واسعة أوصلته الى البحرين وهجر واليمامة والحجاز وتخوم الشام ٠

واشتراك امرىء القيس وهو حليف الفرس وعاملهم على عرب العراق ، أمر طبيعي في حملة كهذه موجهة الى الجزيرة العربية ، وهو ملك عربي يعرف الجزيرة ويعرف عربها ٠ ولا يذكر الطبرى أن امرء القيس اسهم في حملة سابور على الجزيرة ، ولكنه في موطن آخر يصف امرء القيس بأنه كان عاملا لسابور على فرج العرب من ربيعة ومضر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ ٠ ويمكن أن يفهم من هذا الوصف لعمل امرىء القيس ، أنه اشترك في الحملة ، وأن سابور استعمله على هؤلاء العرب الذين هزمهم في تلك الحملة ، وهذا قد يلقى ضوءً على عبارة « ملك العرب كلها » في نقش النمارة ٠ فامرؤ القيس لم يهزم هذه القبائل وحيدا ، ولكنه هزمها وملكها وهو في ركاب سابور ٠

غير أن وصف الطبري لحملة سابور لا يذكر شيئا عن وصول سابور الى اليمن والى نجران ، وهذه صعوبة لها اهميتها · فيثرب وهي آخر ما وصل اليه سابور في غرب الجزيرة بعيدة عن نجران · ولكن ابن خلدون يذكر ناقلا عن السهيلي ، أن امرء القيس كان عامل سابور ليس على القبائل التي ذكرها الطبرى فحسب ، بل على مذحج أيضا · وهذه قبيلة جنوبية مجاورة لنجران ومذكورة في نقش النمارة الذي يشير الى هزم امرىء القيس لها · فنص السهيلي له أهميته ، ولكن يجب أن يُتناول بحذر ، وهذا الحذر مرده أن العلاقات بين فارس وحمير كانت ودية وطيبة ، غيرها بين فارس والروم وبين حمير والروم ، الأمر الذي وضع فارس وحمير في معسكر واحد ضد العدو المشترك ، وهو الروم في تاريخ العصر السياسى والعسكرى ·

ويتأكد هذا من نقش سبأي (٣) لهذه الفترة بالذات ، وهو نقش يذكر ملك حمير « شمر يوهرعش » وما كان من انفاذه سفارة الى طيسفون · ولكن نقش النمارة عندما يذكر نجران يصفها انها مدينة شمر ، وأن حملة امرىء القيس على نجران كانت حملة ضد ملك كان امرؤ القيس على عداء معه ، فلا يعقل ان يكون امرؤ القيس قد هاجم مدينة كان صاحبها على صداقة مع سابور قائد الحملة ومجهزها ، الا أن يكون امرؤ القيس قد خرج على صاحبه سابور عند وصوله الى الجنوب وهاجم نجران منفردا ، وهو أمر بعيد الاحتمال تواجهه صعوبات عسكرية وسياسية وجغرافية ·

ومع أن الطبري لا يذكر شيئا عن غزوة قام بها سابور ضد اليمن وحمير ، الا أن هناك مصدرا نسطوريا متأخرا مكتوبا بالعربية ، وهو **كتاب المجدل** (٤) يذكر أن سابور غزا الحبشة ، وهو خبر بعيد الاحتمال غريب لم يذكره أي مصدر آخر ، فالحبشة بلد بعيد عن فارس الا أن تكون الحبشة المعنية في هذا الخبر هي الاقليم الصغير في اليمن المتاخم للبحر الاحمر والذي كان يعرف في النقوش السبأية باسم حبشة أيضا · ولو سلمنا جدلا بصحة هذا الخبر فان هذا التسليم لا يفسر لنا حملة ضد نجران وهي مدينة شمر، فسابور كان على صداقة مع شمر أو قل ان فارس كانت على صداقة مع حمير ، وحملة سابور في طرف الجزيرة الجنوبي الغربي كانت موجهة ضد أعداء حمير وهم الأحباش وليس ضد حمير وتوابعها ومنها نجران ، الأمر الذي يقود الى الظن أن هذا الخبر وارد في **كتاب المجدل** مختلط ، أراد به صاحبه الاشارة الى حملة سابور ضد العرب ، وهي الحملة المشهورة المعروفة ، ولكنه أخطأ في الاداء فكتب حبشة بدل عرب أو عربة ·

ويبقى نص هشام عن عمالة امرىء القيس على قبائل جزيرة العرب والذي أشير اليه سابقا · فهناك اتفاق يلفت النظر بين هذا النص وبين نقش النمارة في مدى سلطان امرىء القيس على قبائل الجزيرة ، الامر الذي يدعو الى التساؤل · فالنقش لا يذكر شيئا عن سابور وعمالة امرىء القيس له ، كما أن نص هشام لا يذكر شيئا عن حملة نجران ، وعن لحاق امرىء القيس بالروم وموته ودفنه في الشام ، فما هو الصحيح ، نص الأخباري أم نص النقش ؟ والواقع أنه لا تناقض بين النصين : هشام يعرف الدور الفارسى من ملك امرىء القيس وهو الذي استخرج أخبار اللخميين من بيعهم في الحيرة ، وهذه تعرف امرء القيس عندما كان عاملا للفرس في الحيرة وتسرد أخباره ، ولكنها تصمت صمتا عميقا عن الدور الرومي في ملكه ، ولا غرابة في ذلك فان ملوك لخم عندما عادوا الى الحيرة وأعادوا صلتهم مع الفرس ، كانوا راغبين عن الافاضة في أخبار خروج جدهم على السلطان الفارسى ولحاقه بعدوهم الرومي ، فأهملوا الاشارة الى هذا الدور بالكلية ·

ولما كانت رواية هشام عن ملك امرىء القيس في الحيرة رواية تاريخية أيدتها المصادر الاجنبية ، فقد يترتب على هذا أن اهمال هشام أية اشارة الى نجران في أخبار امرىء القيس ، قد تكون دليلا على أن هشاما لم تصله أنباء هذه الحملة التي قام بها امرؤ القيس ، والسبب في ذلك الاهمال مردّه أن امرء القيس قام بتلك الحملة وهو لاحق بالروم بعيد عن الحيرة ومنطقة النفوذ الفارسى ، وهذا التعليل لصمت هشام عن حملة نجران في الدور الفارسى من ملك امرىء القيس ، هو مدخل لدراسة الطائفة الباقية من المصادر والتي قد يخرج منها تأييد حسن للقول أن الحملة تشبه أن تكون وجهت الى نجران من بلاد الشام ·

- ٣ -

وأول المصادر التي توحي بهذا هو نقش لاتيني (٥) اكتشف في شمال أفريقيا في ولاية موريتانيا ، يذكر ألقاب النصر التي حازها الامبراطور قسطنطين معاصر امرىء القيس ، ومن هذه الألقاب لقب *Arabicus* (أي العربي) وألقاب النصر هذه التي كان يتصف بها أباطرة الرومان كانت تؤخذ عندما يسجل الامبراطور أو أحد قواده نصرا على أمـة معاديـة ، فيأخذ الامبراطور لقبا مشتقا من اسم تلك الامة كلقب *Germanicus* الذي يسجل نصرا على الجرمان ، واتخاذ قسطنطين لقب *Arabicus* يشير ، أو قـد يشيـر ، الى أن الـروم لعهـد قسطنطين ، قاموا بحملة ضد العرب في الجزيرة بررت اتخـاذ الامبـراطور لقـب *Arabicus* ، كمـا فعـل الامبراطور سبتميوس سويرس عندما انتصر على عرب الجزيرة الفراتية ، وكما فعل الامبراطور أوريليانوس عندما انتصر على عرب تدمر واتخذ كلاهما لقب النصر *Arabicus* ۰ وورود لقب النصر هذا في نقش لاتيني ليس كافيا للتدليل على أن حملة نجران وجهت من بلاد الشام الرومية ، وأن الروم جهزوا حملة الى ذلك البلد البعيد لاسيما أن مصادر التاريخ العسكري لذلك العصر لا تشير الى حملة كهذه ۰ ولكن ان لم يكن هناك نصوص واضحة تؤرخ لهذه الحملة ، فهناك قرائن توحي بارسال حملة رومية يمكن بسطها على الوجه الآتي :

هناك المهاد التاريخي أو الخلفية لاهتمام الروم باليمن في هذا العصر :

أولا : في هذا العصر بالذات تدهور الوضع الاقتصادي في الامبراطورية الرومانية بعـد أزمـة القرن الثالث العسكرية والسياسية ، وسقطت قيمة النقد الرومي وركدت الحركـة التجاريـة مـع الشرق وأصبحت التجارة الرومية مع ذلك الشرق البعيد لا يقوم بها الروم وأساطيلهم في البحر الأحمر والمحيط الهندي ، ولكن أصبح يقوم بها الوسطاء والعملاء من الاحباش وحمير الأمر الذي أقلق خاطر الروم ودفعهـم الى السعـي لفتح الطريق التجاري مباشرة الى المحيط الهندي والاستغناء عن الوسطاء ، وهم كحمير أعداء لهم ۰

ثانيا : في هذه الفترة أيضا بلغ سلطان حمير ذروته السياسية والعسكريـة ، ففي أواخر القرن الثالـث الميلادي ظهر شمر يوهرعش الملك الحميري الذي وحد كل ممالك الجنوب في الجزيرة، وهو أمر يفهم من اللقب الطويل الذي اتخذه ـ ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمنة وأعرابهم في الطود وتهامة ، والذي كشفت عنه النقوش السبأية وهو الملك الذي يعرفه الأخباريون فاتحا غازيا ، وان كانت أخبار هؤلاء بالغت في مدى تلك الفتوحات وأوصلته الى سمرقند ۰ ولكن من المؤكد أن شمر أقام الجزيرة وأقعدها ووصلت سراياه الى شمال الجزيرة الشرقي، وأرسل الى طيسفون من يفاوض سابور ۰ ومن الممكن بل من المحتمل أن غزواته وصلت الى شمال الجزيرة وشمالها الغربي ، حيث اقترب من تخوم الروم التي اقترب منها سابور أيضا في حملته ضد عرب الجزيرة ، تلك التي أوصلته في عبارة الطبرى الى مناظر الروم ۰

ولم يكن الروم ليقفوا مكتوفي الأيدي أمام هذه التطورات الخطيرة في الجزيرة والتجمعات السياسيـة والعسكرية الجديدة فيها والتي قام بها عدواهم اللدودان فارس وحمير ، لا سيما أن ذلك الحدث الجلل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وهو سقوط تدمر حليفة رومة قد ترك فراغا سياسيا وعسكريا كبيرا في شمال الجزيرة كله ، والذي يشبه أن يكون شمر يوهرعش قد أسرع الى احتلاله ، الأمر الذي أقض مضاجع الروم عندما شعروا بأن حدهم الطويل مع عرب الجزيرة قد أصبح مهددا بهذه التحركات العسكريـة المعاديـة قرب جناحهم الشرقي ۰

لعل في هذه الالمامة السريعة بالمهاد التاريخي بعض الغناء في التدليل على أن الروم لم يكونوا بعيدين كل البعد عن الاهتمام بحملة تضرب سلطان حمير في الجنوب ، للتخلص من عنصر الاقلاق هذا في الجزيرة ولفتح الطريق التجاري المباشر الى الهند ۰

وبعد هذا العرض للمهاد التاريخي ، تمكن العودة الى المصادر التي لها مساس بحملة امرىء القيس على نجران والتي كان أولها النقش اللاتيني الذي يذكر لقب النصر *Arabicus* الذي اتخذه الامبراطور قسطنطين·

فهناك سيرة يونانية لهذا الامبراطور (٦) كتبت في القرن الرابع ، تذكر أنه في الثلاثينات من ذلك القرن وصلته في القسطنطينية سفارات من زوايا الأرض الأربع ، كانت احداها سفارة من الهنود ، وكلمة الهنود في لغة هذا العصر لم تكن تعني ما تعنيه الآن ، وانما كانت تعني وتشمل كل الشعوب المتاخمة للمحيط الهندي ، أي الأحباش وعرب الجنوب والهنود في الهند وسرنديب ، ويمكن أن يفهم من السياق أن المقصود بالهند والهنود ليس الأحباش ، لان الترجمة أو السيرة تذكرهم باسمهم ولكن حمير والهنود · وارسال سفارة الى قسطنطين بعد موت امرىء القيس بسنوات قليلة ، يشير الى أن الروم قد أفلحوا في اعادة عقد الصلة بينهم وبين حمير بعد حملة امرىء القيس على نجران وهناك مصدر آخر أقوى وأكثر دلالة من هذا المصدر اليوناني ، وهو النقوش (٧) التي تذكر نجاشي الحبشة ـ منتصف القرن الرابع ـ عزانا (٨) · وهذه النقوش تذكر ألقاب النجاشي الحبشية ، وتضيف اليها ألقابا حميرية وهي ملك حمير وريدان وسبأ وسلحين ، وقد أثارت هذه الاضافة اهتمام علماء الساميات ، فجنح بعضهم الى القول انها دليل على غزو حبشي لحمير في هذه الفترة ، وأنكر البعض هذا القول ولكن التعليل الطبيعي المعقول لاتخاذ نجاشي الحبشة هذه الألقاب الحميرية ، هو أن النجاشي أو والده قام بالفعل بغزوة ضد حمير كان من نتيجتها احتلال الأحباش لحمير واتخاذ النجاشي الظافر لقب الملك الحميري المهزوم ·

وهذا التفسير يأتلف مع ما ذكرته عن امكانية توجيه الروم حملة ضد حمير ، ويعود بنا الى الكلام عن الوضع التاريخي في هذه الفترة والذي يؤيد هذا التفسير · فالشرق الأدنى كان مشطورا الى معسكرين سياسيين كبيرين ، أولهما فارس وحمير وثانيهما الروم والحبشة ، فليس من المستبعد اذن أن تكون حملة نجران حملة مشتركة بين الروم والحبشة ضد حمير ، فعداء الحبشة لحمير معروف ومؤكد من النقوش الحميرية والحبشية ، وعداء الروم لحمير معروف ومؤكد أيضا ، فتعاون الحليفين ضد العدو المشترك حمير يصبح مفهوما ·

وهناك مصدر آخر وهو مرسوم كتب باللاتينية (٩) للامبراطورية قسطنطيوس ، وهو ابن قسطنطين وخليفته حوالى سنة ثلاثمائة وستين ميلادية ، يصدر فيه الامبراطور أوامر وتعليمات الى عماله السياسيين الذين كانوا يفدون على حمير والحبشة ، ويستعمل المرسوم لفظ المفرد عندما يشير الى أمة الحبشة وحمير ، الأمر الذي يدل على أن الامتين كانتا تحت سلطان واحد في تلك الفترة وهو ما تفيدنا اياه القاب النجاشي عزانا، التي تتضمن الألقاب الحميرية والتي تدل على أن القرن الرابع شهد غزوة حبشية واحتلالا حبشيا لجنوب الجزيرة العربية ·

ومن الجدير بالملاحظة أن نقش النمارة يذكر حملة نجران كآخر انجازات امرىء القيس ، ولا يذكر بعدها الا أنه ملك معدا ، ومن الطبيعي أن تكون انجازات امرىء القيس مرتبة ترتيبا زمنيا في النقش ، الأمر الذي يدعو الى القول أن الرجل قام بالحملة وهو في موليات عمره وبعد رحيله عن الحيرة الى الشام · ولعله توفي بعد القيام بهذه الحملة الشاقة ، كما توفي الحارث بن جبلة الغساني وهو طاعن في السن بعد غزوة خيبر ، سنة خمسمائة وثمان وستين ميلادية ·

وبعد هذا العرض للمصادر المختلفة للوضع التاريخي في تلك الفترة ، يمكن الخلوص الى رأي هو أن الحليفتين الروم والحبشة اشتركتا في غزوة لحمير ، كما فعلتا في الربع الاول من القرن السادس ، عندما أطاحتا بحكم يوسف ذى نواس الحميري وترتب عن ذلك احتلال الحبشة لليمن مدة نصف قرن · فان كان

الأمر كذلك يكون اسهام الروم في هذه الحملة المشتركة ، هو ارسالهم امرىء القيس حليفهم ضد نجران وليس ارسالهم فيالق رومية نظامية لهذا الغرض · فقد زهد الروم في غزو حمير بعد الفشل الذريع الذي صادفته حملة جالوس والي مصر زمن الامبراطور أغسطس ، والتي وصلت الى نجران بالذات · ولم يكن امرؤ القيس في حاجة الى كثير من الاغراء للقيام بهذه الحملة ، فنقش شمر يوهرعش يشير الى أن قائده وصل الى أرض تنوخ في شمال الجزيرة الشرقي ، ويشبه أن يكون ضيق على تنوخ ، وامرؤ القيس بحكم قرابته لجذيمة الأبرش (وهو شخصية عربية كبيرة موثقة بنقش يوناني) ، كانت تجري في عروقه دماء تنوخية ·

هذا ما تفيده هاتان الطائفتان من المصادر ، أولاهما توحي أن حملة نجران قام بها امرؤ القيس من دار ملكه بالحيرة في عهده الفارسي ، وثانيتهما تزين القول انه قام بها من منزله الجديد في الشام بعد خروجه عن طاعة الفرس ولحاقه بالروم · وفي هذا الاطار الذي يتنازعه هذا التزيين وذلك الايحاء تكمن الحقيقة عن حملة نجران ، ولكن ليس هناك سبيل الى القطع بان امرء القيس قام بها من هذا المكان دون ذلك ·

ولعل مفتاح هذا الاشكال يمكن التماسه في نص عربي لم يعر اهتماما كبيرا ، وهو نونية أوس بن مغراء السعدى التي كان الوليد بن عبد الملك يستحب الاستماع اليها لما فيها من اشادة بمآثر مضر والتي مطلعها :

ماذا يهيجك من دار بفيحانا

قفر توهمت منه اليوم عرفانا

ومن المعروف أن هذه القصيدة قد ضاع أكثرها ، ولم يسلم منها الا أبيات مفردة والذي يعنينا منها هو بيت انقطع سياقه ، فلم يسلم ما سبقه وما لحقه من أبيات وهو :

بث الجنود ببطن الأرض يطلبهم

من بين بصرى الى آكام نجرانا

فالاشارة هنا الى حملة عسكرية بدأت من بصرى وانتهت الى نجران ، وهذا قريب كل القرب من حملة امرىء القيس على نجران ، ولكن بصرى من بلاد الشام · فان كان الممدوح في البيت السابق هو امرؤ القيس ، فيتأكد لنا من هذا البيت أنه قام بتلك الحملة ليس من الحيرة ، ولكن من منزله الجديد في النمارة في بلاد الشام ·

ورحم الله من قال « الشعر ديوان العرب » ·

الهوامش

E. Herzfeld, *Paikuli,* (Berlin, 1924), Vol. I. pp. 1, 8-9, 136-7, 140-42. (١)

H.H. Schaeder, "Ein Mani-Fund aus Ägypten", *Gnomon,* Band 9 (1933), pp. 344-345. (٢)

J. Ryckmans, "Appendice", *Le Muséon,* LXXX (1967), pp. 508-512. (٣)

Maris Amri et Slibae de Patriarchis Nestorianorum Commentaria, ed. H. Gismondi, (Rome, 1899), Pars Altera, p. 14. (٤)

Corpus Inscriptionum Latinarum, Vol. VIII, No. 8412. (٥)

"Vita Constantini", (ed. I.A. Heikel), *Die Griechischen Christlichen Schriftsteller den ersten drei Jahrhunderte,* (Leipzig, 1902), Chap. IV. 50. (٦)

J.T. Bent, *The Sacred City of the Ethiopians,* (London, 1898), p. 254, 11.1. (٧)

"Une nouvelle inscription grécque d'Ézana d'Axoum", *Journal des Savants,* (1970), p. 265. (٨)

Codex Theodesianus, 12.12.2. (٩)

أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية
في العصر الاسلامـي
(مع نشر مجموعة الشواهد بالمتحف الاثري بكلية الاداب
جامعة الريـاض)

حسن الباشا

كان الأستاذ ماكس فان برشم من أوائل من لفت الأنظار الى أهمية الكتابات الأثرية العربية ، بما فـي ذلك النصوص الجنائزية وشواهد القبور ، وقد عكف على جمع هذه الكتابات ودراستهـا ، وأنتج في سبيـل ذلك مجموعة من المؤلفات درس فيها ما أمكنه التوصل اليـه من الكتابـات الأثريـة فـي عدد مـن الأقطـار العربية (١) ٠

وكان عمل فان برشم حافزا لكثير من العلماء على الاهتمام بجمع الكتابات الاثرية العربية ودراستها ، وكان من أبرز مظاهر هذه العناية القيام بعمل سجل جامع لهذه الكتـابـات (٢) ٠ وحظيـت شواهـد القبور خـاصة بدراسات مستقلة كان من أهمها نشر بعض مجموعات الشواهد بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة (٣) ٠

وكان من جوانب العناية بالآثار في المملكة العربية السعودية العمل على جمع شواهد القبور من مختلف أنحاء المملكة ، وتم جمع اعداد كبيرة منها حفظت لدى بعض الجهات المعنية بالآثار ، نذكر منها ادارة الآثـار والمتاحف بالرياض ، ومتحف الحرم المكي الشريف ، وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة الملك عبـد العزيز بمكة ٠ وكان من نصيب المتحف الأثري بكلية الآداب بجامعة الرياض حفظ عدد من هذه الشواهد ٠

وليس من شك في أنه في الامكان الافادة من هذه الشواهد كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية ٠
ومن الواضح ان لشواهد القبور دوراً مباشراً في دراسات تاريخية معينة ، مثل دراسة تطور الخط العربي والزخرفة الاسلامية ، لاسيما وأن كثيرا من الشواهد مؤرخ وبعضها يشتمل على أسماء كتابها (٤) ٠

كما أن دراسة الاحجار المستخدمة في عمل الشواهد ، قد يساعد فـي التعرف على المحاجر التـي كانت تقطع منها الأحجار في العصور المختلفة ٠

ومن جهة أخرى فان الشواهد قد تمدنا بمعلومات وحقائق ، تلقي بعض الضوء على جوانب مختلفة فـي تاريخ الجزيرة العربية ٠ ولقد فطن بعض المؤرخـين المسلمين القدامى الى دور الكتابات الأثرية ، بما في ذلك شواهد القبور ، فاعتمدوا عليها في أحيان كثيرة (٥) ٠

ومع ذلك فليس من المتوقع أن يزودنا شاهد القبر بتاريخ للأسرات الحاكمـة ، أو تراجـم للشخصيات البارزة ، أو وصف لمعركة حربية أو معاهدة سياسية ، على نمط ما تحققه أحيانا الكتب التاريخية ، أو غيرها من المصادر الأدبية ، أو الوثائق الديبلوماسية التي تتناول هذه الأمور تناولا مباشرا ٠

ولكنه في الوقت نفسه قد يمدنا بمعلومات ربما تبدو ضئيلة في حد ذاتها ، غير أنهـا قد تصبح ذات قيمـة كبيرة عند مقارنتها بالمعلومات المستمدة من المصادر الأخرى : اذ قـد تضيف حقائق جديدة أو تصحح أخطـاء شائعة أو ترجح بعض الآراء على غيرها ٠

قد تزودنا بعض الشواهد مثلا بأسماء مشاهير قد يفيد ورودها في تحقيق صحتها وسلسلة انسابها ، واضافة معلومات مؤكدة عن بعض جوانب في حياتها وتاريخ وفاتها ·

وفضلا عن ذلك تقدم لنا الكتابات الجنائزية ثروة ضخمة من أسماء عامة الناس الذين يندر ذكرهم في المؤلفات الأدبية ، وقد تلقى هذه الأسماء بعض الأضواء على التنقلات والهجرات وبعض النواحي اللغوية · وقد تكون الأسماء مصحوبة بالوظائف أو الحرف (٦) أو المذاهب ، مما قد يساعد في دراسات تاريخية متنوعة سواء في مجال الاجتماع أو الدين أو النظم · وربما كان في الامكان أيضا تحقيق بعض الروابط الأسرية بين أصحاب الشواهد (٧) ·

وبالاضافة الى ذلك فقد تفيد الشواهد في دراسة المراسيم ، وذلك بما تشتمل عليه من ألقاب وأدعية ، وقد يستنبط من ذلك بعض معلومات عن نظم الحكم والسياسة والمعتقدات (٨) والادب ·

ومن المسلم به أن الافادة من الكتابات الجنائزية في دراسة تاريخ الجزيرة العربية لن تتحقق على وجه مرض ، الا بنشر الاعداد الهائلة من الشواهد التي تزخر بها متاحف المملكة وسائر أنحاء الجزيرة العربية ، ومقارنتها بالمصادر الاخرى من وثائق ومسكوكات وآثار ومؤلفات أدبية مختلفة ·

واني اذ أقوم بنشر مجموعة الشواهد بالمتحف الأثري بكلية الآداب بجامعة الرياض (٩) ، أرجو أن أضع لبنة في صرح هذا العمل الضخم ·

وتتألف المجموعة المذكورة من أربعة وعشرين شاهدا لم يسبق نشرها باستثناء شاهد واحد (١٠) (رقم ٥ ، اللوحة ٢٧) ·

وقد عثر على معظمها في بنى سليم (أرقام ٢ ــ ١٨) ، وتتبع منطقة بني سليم امارة مكة ، وكان يمر بها الحجاج القادمون من نجد والعراق ، وكان هؤلاء يتعرضون أحيانا لاعتداءات بني سليم مما حدا بالعباسيين الى اتخاذ بعض اجراءات للمحافظة على الامن في هذه المنطقة : ففي سنة ٢٣٠هـ (٨٤٥ م) أغار بنو سليم على الجار ميناء المدينة وهاجموا الحجاج ، فأرسل اليهم الخليفة العباسى الواثق حملة تأديبية بقيادة بغا الكبير · وفي بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) أمر الخليفة العباسى المقتدر بعمارة طريق الجادة التي تخترق أراضى بني سليم ، كما يتضح من نقش مؤرخ سنة ٣٠٤هـ (٩١٦ م) (١١) ومن المرجح ان هذه الاجراءات التي قصد منها حماية الامن ، أدت الى ازدهار نسبي لمنطقة بني سليم في فترات خلال القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة (١٢) ·

وشواهد بني سليم من أحجار بركانية من النوع الذي يسمى أحيانا جرانيت أو بازلت · وتتوفر هذه الاحجار في منطقة بني سليم التي تشتمل على كثير من التلال البركانية ·

وهذه الشواهد عبارة عن كتل قطعت من التلال البركانية ، وكتب في سطحها الاصلى الصلد بواسطة الحفر الغائر (أرقام ٢ ــ ١٥) (١٣) ، أو الحفر البارز (أرقام ١٦ ــ ١٨) ، وأهمل تسوية الظهر والجوانب ، مما يدل على انها كانت مثبتة في جدران قبور أو أضرحة · ومن الملاحظ انه في بعض الشواهد ، حفر اطار الوجه ليحد الكتابة ، في حين أهمل عمل الاطار في البعض الآخر ·

وقد كتب على شواهد بني سليم بأساليب مختلفة من الخط الكوفي ، وتتفق هذه الاساليب من الخط مع عصر ازدهار بني سليم في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة (١٤) ·

وبالاضافة الى شواهد بني سليم ، يحتفظ المتحف بشاهد واحد عثر عليه بالبجادية (رقم ١) ، وشاهد ثان من مكة المكرمة (رقم ١٩) ، وكتلتين من حجر الشواهد عثر عليهما ببدر ، وجزء من شاهد اكتشف بحفائر الفاو (١٥) · وسوف نستثني من دراستنا الشاهدين اللذين سبقت الاشارة اليهما ، واللذين يقوم بدراستهما أحد مبعوثي الكلية ، وشاهد الفاو الذي يقوم الدكتور عبد الرحمن الانصاري بدراسته في تقريره عن حفائر الفاو ، وحجري بدر اللذين يرجعان الى العصر الحديث ـ القرن الثالث عشر أو الرابع عشر بعد ـ الهجرة (التاسع عشر والعشرين الميلاديين) ·

ونصوص الشواهد موضوع الدراسة كاملة ، فيما عدا شاهدا واحدا (رقم ٦) · وهي غير مؤرخة باستثناء شاهد واحد (رقم ١٩) ، ويرد اسم الكاتب على واحد منها (رقم ١٦) · وتتضمن النصوص الجنائزية أسماء المتوفين كاملة فيما عدا شاهدين ، حيث بتر جزء من الاسم في شاهد (رقم ١٧) ، وخلا النص من الاسماء في شاهد ثان (رقم ٧) · ويشتمل شاهد واحد على أسماء لأشخاص معروفين (رقم ١٩)· وربما كان في الامكان تحقيق بعض الروابط الأسرية بين بعض الاسماء الاخرى ·

والاسماء عربية وشائعة باستثناء قايتباي (١٦) (رقم ١٩) وهو اسم غير عربي ، وسندال (١٧) والمشاوب (١٨) (رقم ١٦) وهلبوث (١٩) (رقم ١٣) ، وهي غير شائعة ·

ويكثر استخدام اسماء الانبياء ، مثل محمد وأحمد وأبي القاسم، بالاضافة الى ابراهيم واسماعيل واسحق وموسى وداود وسليمان ويحيى وعيسى وادريس ·

وخمسة من الشواهد بأسماء نساء (أرقام ٤ و٩ ـ ١١ و١٥) ·

وترد الكنى في أربعة شواهد فقط (أرقام ٩ و١٦ و١٧ و١٩) ، منها شاهد واحد يشتمل على كنية امرأة (٢٠) (رقم ٩) · وتخلو الاسماء من ألقاب النسبة ·

ومن حيث صيغة الكتابات الجنائزية ، يلاحظ أن البسملة ترد في افتتاح النصوص ، وتشتمل خمسة من الشواهد على آيات قرآنية (أرقام ٧ و١٦ ـ ١٩) ، كما ترد الشهادتان بأساليب مختلفة على ثلاثة شواهد (أرقام ١ و٢ و٧) ، والصلاة على النبي على جميع الشواهد ، باستثناء خمسة فقط (٨ و١٠ و١٢ و١٣ و١٦) · وتتنوع الادعية والمناجاة على الشواهد ، غير أنه تتكرر بعض الصيغ وهي :

« ألحقه بنبيه صلى الله عليه وسلم » (أرقام ١ و٣ ـ ٦ و١٠ و١١ و١٥) ·

« ونور له في قبره » (أرقام ١ و٣ ـ ٦ و١١ و١٥) ·

و « اجعله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (ارقام ٨ و١١ و١٥) ·

و « اغفر له ذنبه » (أرقام ٣ ـ ٥) ·

و « اجعله من ورثة جنة النعيم » (رقمي ٩ و١٠) ·

و « اللهم نور السموات والارض » (أرقام ٤ ـ ٦ و١١ و١٥) ·

و « اللهم اذا جمعت الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم » (أرقام ٨ ـ ١٠ و١٧) ·

وتخلو الشواهد من الملامح الشيعية باستثناء شاهد واحد (رقم ١٩) ، حيث ترد فيه بعض الأدعية والألقاب المعروفة عند الشيعة ·

وفيما يلي نصوص الشواهد موضوع الدراسة ووصفها والتعليق عليها :

الشاهد رقم ١ (اللوحة ٢٣ والشكل ٣)

النص :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ــ صلى الله على محمد وسلم
٣ ــ هذا قبر يحيى بن سليمن
٤ ــ بن معن الزكى مات وهو
٥ ــ يشهد أن لا اله الا ا
٦ ــ لله وحده لا شريك
٧ ــ له وأن محمد (كذا) عبده ور
٨ ــ سوله اللهم نور له في
٩ ــ قبره وألحقه بنبيه
١٠ ــ محمد صلى الله عليه وسلم
١١ ــ اللهم ارحمه وارحم من تر
١٢ ــ حم عليه امين رب العالمين

الوصف والتعليق :

شاهد (٢١) قبر من البجادية باسم يحيى بن سليمن بن معن الزكي ، على هيئة كتلة من الحجر البركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٦٠ سم والعرض ٢٧ر٥ سم والسمك ١٢ سم) (٢٢) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) ومن الاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي غير مزخرف وقليل التنسيق ، ولا يحد الكتابة اطار ٠

ورد خطأ نحوي في كلمة « محمد » (سطر ٧) والصحيح « محمداً » ٠

ومن حيث أسلوب الخط ، يمثل الشاهد مرحلة أكثر تطورا من شاهد عبد الرحمن بن خير الحجري(٢٣) (اللوحة ٤٢) المؤرخ سنة ٣١هـ (٦٥٢م) ، ذلك أن الحروف أكثر وضوحا والاسطر اكثر تنسيقا ٠ وخط الشاهد أكثر تطورا كذلك من نقش على تل في آبار على بالمدينة المنورة (اللوحة ٤٣) ٠

هذا وقد وصلنا عدد من الكتابات الاثرية من أقطار مختلفة يمكن مقارنتها بخط الشاهد ، منها نقش سد العيار * بالطائف (٢٤) المؤرخ سنة ٥٨هـ (٦٧٨م) (اللوحة ٤٤) ، وكتابة على حجر من قبر ثابت بن يزيد مؤرخة سنة ٦٤هـ (٦٨٣م) ، في جفنة الابيض بلواء كربلاء بالعراق (٢٥) ، ونقش محفور على عتبة باب بقصر برقة مؤرخ سنة ٨١هـ (٧٠٠م) باسم الامير الوليد بن امير المؤمنين (٢٦) ، وشاهدان من مصر : احدهما (٢٧) مؤرخ سنة ١٨٠هـ (٧٩٦م) ، والثاني (٢٨) مؤرخ سنة ١٨٤هـ (٨٠٠م) ، ونقوش الصويدرة بالمملكة العربية السعودية ، التي تنسب الى ما بين أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل الثالث (٢٩) ٠

وفي ضوء هذه المقارنات ، يمكن ارجاع الشاهد الى ما بين القرن الأول الهجرى والثالث (٧ــ٩م) ٠

★ **المحرر :** ان السد الموجود بالطائف والذي يحمل اسم معاوية بن ابي سفيان يسمى سد « سيسد » وفقا لما أكده لنا الدكتور سعد الراشد أستاذ الآثار الاسلامية في الجزيرة العربية ٠

ا	ا	ا	ا	[illegible]
ب	ب	ب	ب	
ح	ح	ح	ح	
د	د	د	د	
ر	ر	ر	ر	
س	س	س	س	
ص	ص	ص	—	
ط	—	—	—	
ع	ع	ع	ع	
ف	ف	—	—	
ق	ق	ق	—	
ك	ك	—	—	
ل	ل	ل	ل	
م	م	م	م	
ن	ن	ن	—	
ه	ه	ه	ه	
و	و	و	و	
لا	لا	لا	—	
ى	ى	ى	—	

الشكل ٣ : نماذج من الحروف تخص **الشاهد رقم ١** .

ا	ا	ا	ا	
ب	ب	ب		
ح	ح	ح	—	
د	د	د	—	
ر	ر	ر	—	
س	س	—	—	
ص	ص	—	—	
ط	ط	—	—	
ع	ع	—	—	
ف	ف	—	—	
ق	ق	—	—	
ك	—	—	—	
ل	ل	—	—	
م	م	م	م	
ن	ن	ن	—	
ه	ه	ه	—	
و	و	لا	لا	
لا	—			
ى	ى	ى	—	

الشكل ٤ : نماذج من الحروف تخص **الشاهد رقم ٢** .

الشاهد رقم ٢ (اللوحة ٢٤ والشكل ٤)

النص :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ لا اله الا الله محمد رسول
٣ ـ الله صلى الله على المطفى (كذا)
٤ ـ وعلى اله وسلم تسليما
٥ ـ اللهم يا رحمن يا رحيم
٦ ـ ارحم محمد بن اسحاق
٧ ـ بن سليمن بن سالم يا
٨ ـ جواد

الوصف والتعليق :

شاهد (٣٠) من بني سليم باسم محمد بن اسحاق بن سليمن بن سالم ، على هيئة كتلة من حجر بركاني (الطول ٢٨ سم والعرض ٢١ سم والسمك ٥ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي منسق الاحرف والكلمات والاسطر وغير مزخرف، ولا يحد الكتابة اطار٠
ورد تصحيف في كلمة « المطفى » (سطر ٣) والصحيح « المصطفى » ٠

ويلاحظ في طريقة الاملاء التردد بين اثبات الالف الوسطى وحذفها كما يتضح في « اسحاق » (سطر ٦) و « سالم » (سطر ٧) و « سليمن » (سطر ٧) ٠

عرف أسلوب هذا الخط على الآثار في جميع العصور الاسلامية ٠ ومن أقدم نماذجه التي وصلتنا النص التذكاري المرسوم بالفسيفساء في قبة الصخرة بالقدس والمؤرخ سنة ٧٢هـ (٦٩٠ـ٦٩١م)(٣١) (اللوحة ٤٥) ، واميال عبدالملك بن مروان(٣٢) (اللوحة ٤٦) ، وكتابة بالطلاء باسم ملك بن كثير من أحد منازل المدينة المنورة ، مؤرخة شهر رجب سنة ١١٧هـ (اغسطس ٧٣٥م) (٣٣) ، ونص تشييد باسم المهدي مؤرخ شهر المحرم سنة ١٥٥هـ (ديسمبر ٧٧١ ـ يناير ٧٧٢) على لوح رخام من عسقلان (٣٤) ، وكتابة باسم المأمون بقبة الصخرة (٣٥) مؤرخة شهر ربيع الآخر سنة ٢١٦هـ (مايو ـ يونيه ٨٣١م) ، والشاهد الذي عثر عليه بالفاو وسبقت الاشارة اليه (٣٦) ٠

وربما يرجع هذا الشاهد الى القرن الثاني الهجري او الثالث (الثامن والتاسع الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٣ (اللوحة ٢٥ والشكل ٥)

النص :

١ ـ بسم الله
٢ ـ الرحمن الرحيم
٣ ـ اللهم نور النور
٤ ـ مدبر الامور وا
٥ ـ نيس من في القبور

٦ ـ نور لحمدان بن فوزان
٧ ـ في قبره واغفر له ذنبه
٨ ـ وألحقه بنبيه محمد صلى
٩ ـ الله عليه وسلم

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم حمدان بن فوزان ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٧١ سم والعرض ٣٤ سم والسمك ٥ر٦ سم)، والكتابة بالحفر الغائر ، وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ولا يحد الكتابة اطار ٠

ومن المحتمل ان صاحب هذا الشاهد هو والد صاحبة الشاهد رقم ٤ « حميدة ابنت حمدان » ٠

وقد ورد على الشاهد عبارات تسترعي الانتباه ، هي « اللهم نور النور (٣٧) ، مدبر الامور وانيس من في القبور » ٠

واستخدم في زخرفة الخط أساليب مختلفة ، أبرزها تشكيل أطراف الحروف على هيئة مثلثات ، وتحوير المدات الافقية في بعض الحروف الى شكل زخرفة نباتية ذات ثلاثة فصوص ، مثل المدة بين اللامين (سطري ٣ و٩) ، وكذلك الياء الأخيرة (أسطر ٥ و٧ و٨) حيث ترجع الى أول السطر ، ومثل رسم بعض الحروف بطريقة زخرفية مثل اللام ألف (سطر ٤) ٠

ومن حيث تشكيل أطراف الحروف على هيئة مثلثات ، يمكن مقارنة هذا الاسلوب بشاهدين من مصر : أحدهما (٣٨) مؤرخ سنة ٢٠٧هـ (٨٢٣م) ، والآخر (٣٩) مؤرخ سنة ٢١٠هـ (٨٢٥ـ٨٢٦م) ٠

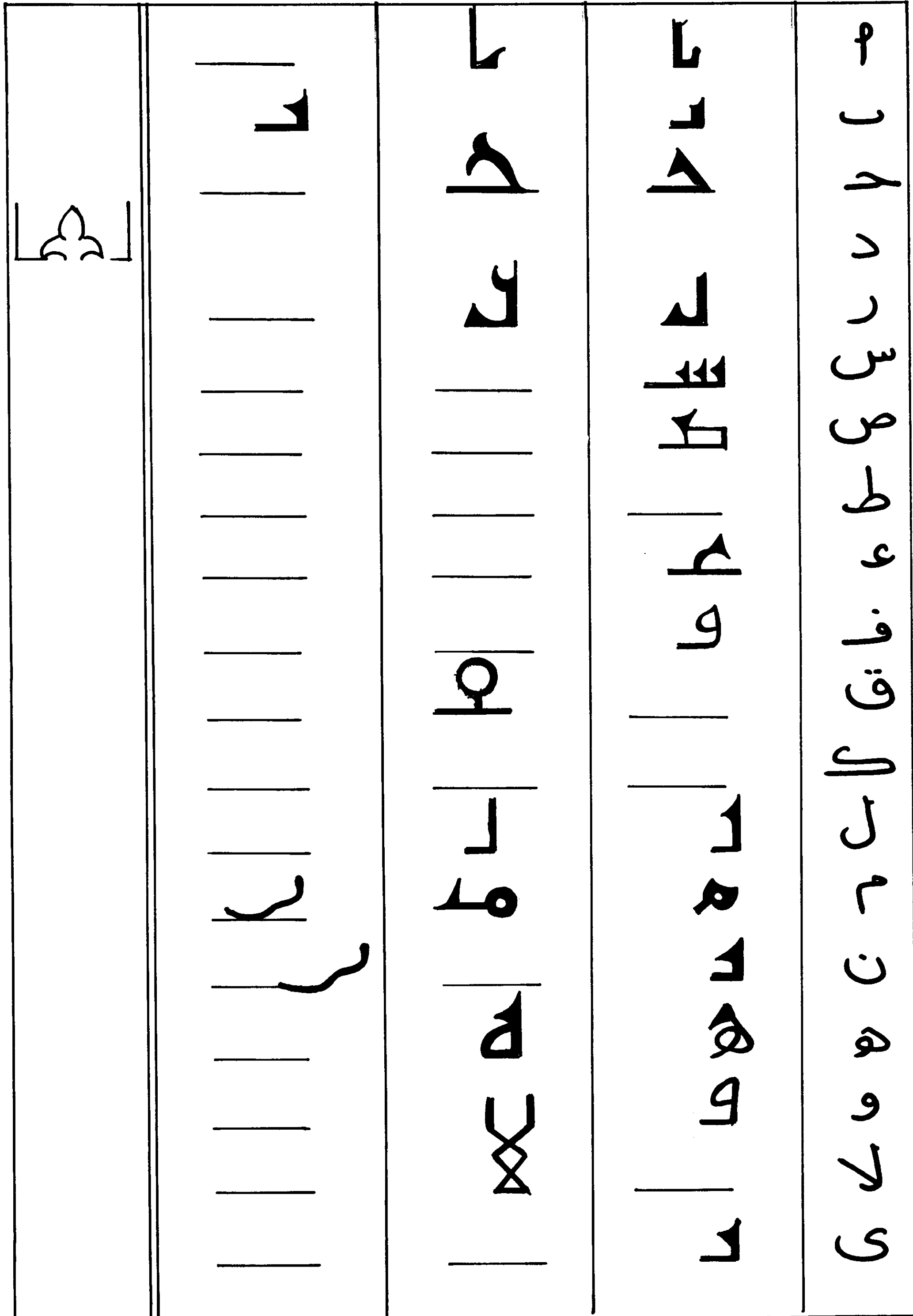
أما تحوير المدات الافقية الى زخرفة نباتية ، فيلاحظ في كثير من النماذج ، ويبدأ تحوير المدات الافقية في شاهد من مصر مؤرخ سنة ١٩٠هـ (٨٠٦م) (٤٠) ، ويتضح تحويرها الى زخرفة نباتية في شاهدين آخرين من مصر مؤرخين سنة ٢٤٣هـ (٨٥٧م) (٤١) ٠ ويتطور التحوير في شاهد رابع مؤرخ ٣٢٦هـ (٩٣٧م) (٤٢)٠

وازاء هذه المقارنات ونظرا لاسلوب الخط المتطور بالنسبة للشاهدين السابقين (رقمي ١ و٢) ، يمكن ارجاع الشاهد الى القرن الثالث الهجري أو الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٤ (اللوحة ٢٦ والشكل ٦)

النص :

١ ـ بسم الله الرحمن
٢ ـ الرحيم اللهم نو
٣ ـ ر السموات
٤ ـ والارض نور
٥ ـ لحميده ابنت
٦ ـ حمدان في قبر
٧ ـ ها واغفر لها
٨ ـ ذنبها والحقها



الشكل ٥ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ٣** .

م			—	
ب			—	
ح		—	—	
د	—		—	
ر			—	
س			—	
ص				

٩ ـ بنبيها محمد
١٠ـ صلى الله عليه
١١ـ وسلم

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم حميدة ابنت حمدان، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٦٦ سم والعرض ٥ر٣٢ سم والسمك ١١ سم) والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ولا يحد الكتابة اطار ٠

شكلت أطراف الحروف على هيئة مثلثات ، كما هي الحال في الشاهد السابق (رقم ٣) ، ولو أن الشاهد رقم ٤ يمثل بعض التطور ، كما حورت أيضا المدة الافقية بين اللامين (سطر ١) الى زخرفة نباتية ذات ثلاثة فصوص (٤٣) ، وقد أضيفت اليها زخرفة نباتية في شاهد من مصر مؤرخ سنة ٢٠٥هـ (٨٢٠م) (٤٤) ٠

ويلاحظ رسم نجمة سداسية في نهاية النص ٠ وكان رسم النجمة يرد على الدراهم الساسانية كرمز لكوكب الزهرة ، وكانت ترسم في داخل هلال اشارة الى تقابل الزهرة مع القمر ورمزا للرخاء (٤٥) ٠ غير أن رسم النجمة استخدم هنا كزخرفة لملء الفراغ ٠ وربما كان لاختيار صورة النجمة صلة بصعود الروح الى السماء او الى مجرد علو المنزلة ٠ ورسمت النجمة علىشواهد كثيرة من مصر ، ربما كان اقدمها شاهد مؤرخ في سنة ١٨٥هـ (٨٠١م) (٤٦) ٠
وقد سبقت الاشارة (٤٧) الى انه من المحتمل ان صاحبة هذا الشاهد هي ابنة المتوفى المذكور في الشاهد السابق (رقم ٣) ٠ وربما يرجع الشاهد الى العصر نفسه أي القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٥ (اللوحة ٢٧ والشكل ٧)

النص : (٤٨)

١ ـ بسم الله
٢ ـ الرحمن الرحيم
٣ ـ صل (كذا) الله على
٤ ـ محمد وعليه
٥ ـ السلم الهم (كذا)
٦ ـ نور السموات
٧ ـ والارض اغفر
٨ ـ لاحمد بن محمد
٩ ـ بن صلح ذنبه ونور له
١٠ـ في قبره والحقه بنبيه محمد
١١ـ صل (كذا) الله عليه وسلم

الوصف والتعليق :

شاهد (٤٩) قبر من بني سليم باسم احمد بن محمد بن صلح ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير

مستوية الجوانب (الطول ٤٧ سم والعرض ٣٤ سم والسمك ٨ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) وبخط كوفي مزخرف ٠ ولا يحد الكتابة اطار ٠

يلاحظ خطأ نحوي في كلمتي « صل » (سطري ٣ و١١) والصحيح « صلى » ، وخطأ املائي في كلمة « الهم » (سطر ٥) والصحيح « اللهم » ٠

وقد شكلت أطراف بعض الحروف على هيئة مثلثات ، وزخرفت اطراف البعض الآخر بشرطتين ٠

ومن حيث تشكيل أطراف بعض الحروف على هيئة مثلثات ، يمكن المقارنة بالشاهدين السابقين (رقمي ٣ و٤) ٠ أما من حيث زخرفة أطراف الحروف بالشرط ، فمن المرجح أن هذا الاسلوب من زخرفة الحروف بدأ في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، اذ استخدم كشرطة واحدة على شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ١٨٢هـ (٧٩٨م) (٥٠) ٠ وتكثر الشرط على شاهد آخر من مصر أيضا مؤرخ سنة ٢٠٥هـ (٨٢٠م) (٥١) ٠ واشار الاستاذ جروهمان الى أن الزخرفة بالشرط سبقت الزخرفة بالمثلثات (٥٢) ٠ غير انه من المرجح ان كلا العنصرين ظهر في وقت واحد تقريبا ٠

ولو أنه يلاحظ في الشاهد (رقم ٥) ان المثلثات تزخرف اطراف الحروف في السطر الاول ، في حين زخرفت حروف الاسطر التالية بالشرط (انظر ايضا الشاهد رقم ٩) ٠

وقد أرجع الاستاذ عبد القدوس الانصاري تاريخ الشاهد الى حوالى منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، بناء على مقارنته بنقش باسم المقتدر مؤرخ سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) (٥٣) ٠

واذا أخذنا في الاعتبار اسلوب الخط في الشاهدين السابقين (رقمي ٣ و٤) ، كان من المحتمل ارجاع الشاهد الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٦ (اللوحة ٢٨ والشكل ٨)

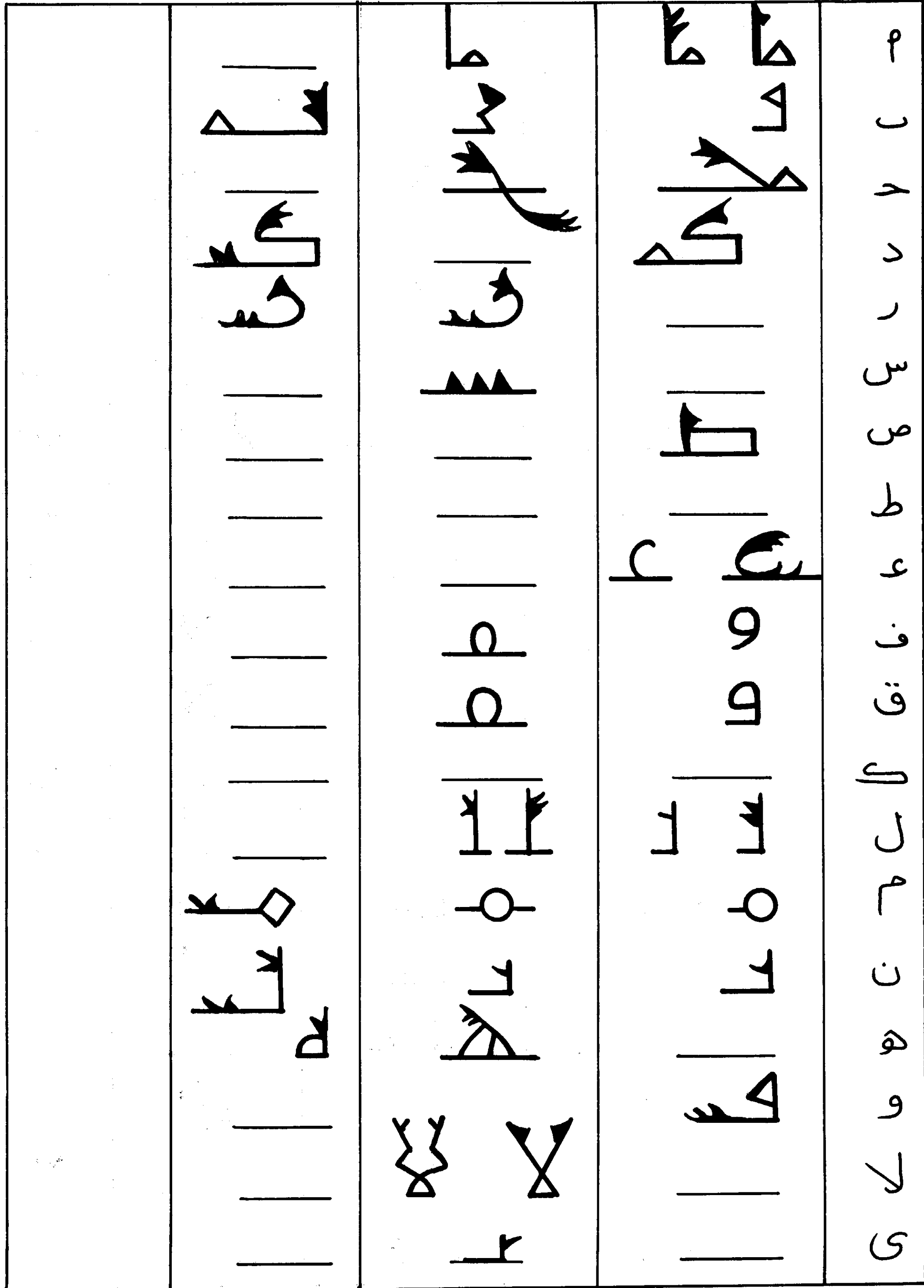
النص :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ اللهم نور السموات
٣ ـ والارض نور لمحمد بن
٤ ـ سليمن بن داود في قبره
٥ ـ وألحقه بنبيه محمد صلى
٦ ـ الله عليه وسلم واجعله

الوصف والتعليق :

الجزء العلوي من شاهد قبر من بني سليم باسم محمد بن سليمن بن داود ، على هيئة كتلة من حجر بركاني (الطول ٣٧٫٥ سم والعرض ٣٨ سم والسمك ٤ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مستطيل ٠

من الملاحظ ان بعض الحروف رسم بهيئة قريبة من الخط المقور ، مثل حرف الدال (سطري ٤ و٥) ، كما زخرفت اطراف الحروف بمثلثات تقوست جوانبها العليا بعض الشيء ، بحيث صارت أشبه بالخطاف ٠



الشكل ٧ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ٥** .

ا
ب
ح
د
ر
س
ص
ط
ع
ف
ق
ك
ل
م
ن
ه
و
لا
ى

الشكل ٨ : نماذج من الحروف تخص **الشاهد رقم ٦** .

وقد ظهر شكل الخطاف كزخرفة على أطراف الالفات واللامات على شاهد من صقلية مؤرخ سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م) (٥٤) ٠

واتخذ شكل العروة الكاملة على الخزف من سمرقند (٥٥) ، وشكل دائرة على شاهد من مصر مؤرخ سنة ٢١٠هـ (٨٢٥ـ٨٢٦م) (٥٦) سبقت الاشارة اليه ٠

ويتميز الشاهد بحفر اطار يحد الكتابة، وقد رسم أعلى منتصف الجانب العلوي مثلث يقف على احدى زواياه ، وربما كان اقدم مثل له في مصر شاهد مؤرخ ١٩١هـ (٨٠٧م) (٥٧) ٠

ونظرا لاسلوب الكتابة ورسم الاطار وللظروفالتاريخية التي أحاطت ببني سليم (٥٨) ، ربما يرجع الشاهد الى القرن الثالث الهجري أو الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٧ (اللوحة ٢٩ والشكل ٩)

النص :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ شهد الله انه لا اله الا هو
٣ ـ والملائكة وأولوا العلم
٤ ـ قائما بالقسط لا اله الا
٥ ـ هو العزيز الحكيم
٦ ـ والهكم اله واحد
٧ ـ لا اله الا هو الرحمن
٨ ـ الرحيم محمد رسول
٩ ـ الله صلى الله عليه وعلى آله
١٠ـ وسلم

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم بدون اسم ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٤٨ سم والعرض ٤٠ سم والسمك ١٣ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مستطيل الشكل استغنى عن ضلعه الاسفل ٠

ويقتصر نص الشاهد على البسملة وآيتين من القرآن الكريم (سورة **آل عمران** ، الآية **١٨** ، وسورة **البقرة** ، الآية **١٦٣**) ، ويختتم بالصلاة والسلام على النبي وآله ٠ وترد هاتان الآيتان في كثير من الأحيان على شواهد القبور ٠

ومن الملاحظ ان الآية الاولى ختمت بشكل نجمة سداسية ، وختمت الآية الثانية بشكل نجمة خماسية ٠ وقد وردت النجمة السداسية على شاهد سابق (٥٩) ، ووردت النجمة الخماسية على نقش بالصويدرة ربما يرجع الى أوائل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) (٦٠) ٠ وقد استخدم رسم النجمة على الشاهد كفاصل (٦١) ٠

ا		—	—	
ب		—	—	
ح			—	
د	—	—		
ر	—	—		
س			—	
ص		—	—	
ط	—	—		
ع			—	
ف	—	—	—	
ق			—	
ك	—		—	
ل		—		
م				
ن		—		
ه				
و		—	—	
لا	—			
ى	—		—	

الشكل ٩ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ٧** .

ويزخرف أطراف القوائم مثلثات ، كما رسم على منتصف الجانب الاعلى من الاطار مثلث يقف على احدى زواياه ٠

ويشبه الشاهد من حيث أسلوب الخط وشكل الاطار الشاهد السابق (رقم ٦) ، ولو أنه يبدو أكثر اتقانا من رقم ٦ ، وربما يرجع الى القرن الثالث الهجري أو الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٨ (اللوحة ٣٠ والشكل ١٠)

النص :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ــ اللهم اذا جمعت الأ
٣ ــ ولين والاخرين لميقات
٤ ــ يوم معلوم واجعل (كذا) ابر
٥ ــ هيم بن سميع من الا
٦ ــ منين الذين لا خوف
٧ ــ عليهم ولا هم يحزنون

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم ابراهيم بن سميع ، على هيئة كتلة من حجر بركاني مثلثة الشكل (الطول ٤٦ سم والعرض ٤٢ سم والسمك ٨ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مستطيل الشكل استغنى عن ضلعه الاسفل ٠

في كلمة « واجعل » خطأ نحوي والصحيح « فاجعل » ٠

يلاحظ في نهاية السطر الخامس رسم نجمة سداسية استخدم في ملء الفراغ (٦٢) ، كما ختمت الكتابة برسم مثلث قسم داخله الى اربعة اقسام ٠ ورسم على منتصف الجانب الاعلى من الاطار مثلث يقف على احدى زواياه كما هي الحال في رقمي ٥ و٦ ، غير أن المثلث هنا قد رسم بداخله مثلث أصغر تتقابل زواياه عند منتصف اضلاع المثلث الخارجي ٠

ومن خصائص الخط في هذا الشاهد ، أن أطراف الحروف يزخرفها مثلثات اتخذ بعضها شكلا شبيها بالخطاف أو العروة (٦٣) ، كما ان اللام ألف رسمت بأشكال متطورة ومتنوعة (قارن اسطر ٢ و٥ و٦ و٧) ٠
ويبدو هذا الشاهد من حيث أسلوب الخط وزخرفته ورسم الاطار ، اكثر تطورا من رقمي ٦ و٧ ، وربما يرجع الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ٩ (اللوحة ٣١ والشكل ١١)

النص :

١ ــ بسم الله الرحمن
٢ ــ الرحيم اللهم اذا
٣ ــ جمعت الاولين والا

ا		—	—	
ب		—		
ح			—	
د			—	
ر	—		—	
س			—	
ص	—	—	—	
ط	—	—	—	
ع			—	
ف	—	—		
ق	—		—	
ك	—	—	—	
ل	—			
م				
ن				
ه				
و			—	
لا	—	—		
ى			—	

الشكل ١٠ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ٨** .

ا
ب
ح
د
ر
س
ص
ط
ع
ف
ق
ك
ل
م
ن
ه
و
لا
ى

الشكل ١١ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ٩** .

٤ ـ خرين لميقات يوم
٥ ـ معلوم فاجعل ام
٦ ـ الحسن ابنت احمد بن
٧ ـ العلا من ورثة جنة
٨ ـ النعيم امين امين رب
٩ ـ العلمين صلى الله على
١٠ـ محمد وآله وسلم تسليما

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم ام الحسن ابنت احمد بن العلا (٦٤) ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٦٤ سم والعرض ٥ر٣٧ سم والسمك ١٠ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مستطيل الشكل كامل الاضلاع ٠

ويلاحظ ان صيغة الدعاء مشابهة للشاهد رقم ١٠ ٠

وقد رسم على منتصف الضلع الاعلى من الاطار مثلث يقف على احدى زواياه ، وحور الضلع الاعلى للمثلث الى شكل عقد ٠ واستخدم الشكل نفسه في رسم حرف العين الوسطي في نص الشاهد (سطري ٣ و٨) ، كما شكلت المدات الافقية بين اللامين على هيئة قوس ذي ثلاثة فصوص (٦٥) (سطري ١ و٢) ٠

ويتضح من تطور اشكال الحروف وزخارفها فضلا عن الاطار ، ان الشاهد قد يمثل مرحلة اكثر تطورا من الشاهد السابق (رقم ٨) (٦٦) ٠

وربما يرجع الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٠ (اللوحة ٣٢ والشكل ١٢)

النص :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ـ اللهم اذا جمعت الاولين
٣ ـ والآخرين لميقات يوم معلوم
٤ ـ فاجعل خديجة ابنت عيسى
٥ ـ من ورثة جنة النعيم وا
٦ ـ لحقها بنبيها امين رب العالمين

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم خديجة ابنت عيسى ، على هيئة كتلة من حجر بركاني مستوية الجانبين (الطول ٥ر٤٧ سم والعرض ٣٧ سم والسمك ١٠ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مستطيل الشكل استغنى عن ضلعه الاسفل ٠

ا			—	
ب				
ح			—	
د			—	
ر			—	
س	—		—	
ص	—	—	—	
ط	—	—	—	
ع			—	
ف		—	—	
ق	—		—	
ك	—	—	—	
ل				
م				
ن	—			
ه	—			
و				
لا	—		—	
ى				

الشكل ١٢ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٠** .

ربما كانت صاحبة الشاهد اختا لصاحب الشاهد رقم ١٢ (٦٧) ، وعمة لصاحب الشاهد رقم ١٣ (٦٨)٠ في هذا الشاهد تحور المثلث المرسوم اعلى الاطار في الشواهد السابقة (أرقام ٦ـ٩) ، الى زخرفة مجنحة ٠

ويمثل رسم الحروف مرحلة اكثر تطورا من الشاهد السابق (رقم ٩) ، كما يتضح مثلا في شكل اللام ألف (سطر ٣) ، والمدة بين اللامين (سطري ١ و٢) ، وأسلوب رسم العين (سطري ٤ و٦) والياء الاخيرة الراجعة بمقدار كلمة (سطر ٤) ٠ وتتضح الياء الراجعة في شاهد من مصر مؤرخ في سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) (٦٩)٠

كما شكلت اطراف الحروف على هيئة مثلثات ، او خطافات حورت أحيانا الى بداية توريق ، كما هي الحال في اللام الاولى (سطر ٦) ٠

وقد بدأ تحول الشرط والمثلثات التي تزخرف اطراف الحروف ، الى اشكال قريبة الشبه من الزخارف النباتية في أواخر القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ، ومن أمثلة ذلك شاهدان من مصر : أحدهما (٧٠) مؤرخ سنة ١٩١هـ (٨٠٧م) حورت فيه الشرط الى زخارف نباتية ، والثاني مؤرخ (٧١) في سنة ٢١٠هـ (٨٢٥ـ ٨٢٦م) حورت فيه المثلثات الى توريق ٠

ونظرا الى التطور الملاحظ في اساليب الخط وفي رسم الاطار ، فمن المرجح أن الشاهد رقم ١٠ يمثل مرحلة اكثر تطورا من الشاهد السابق (رقم ٩) ٠

وربما يرجع الشاهد الى القرن الثالث الهجري اوالرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١١ (اللوحة ٣٣ والشكل ١٣)

النص :

١ ـ بسم الله الرحمن
٢ ـ الرحيم اللهم نور السمو
٣ ـ ات والارض نور لخديجة
٤ ـ ابنت عيسى في قبرها والحقها
٥ ـ بنبيها محمد صلى الله عليه
٦ ـ وسلم واجعلها من الآمنين
٧ ـ الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم خديجة ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٦٥ سم والعرض ٣٨٫٥ سم والسمك ٨٫٥ سم)، والكتابة بالحفر الغائر، وخالية منالاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ولا يحد الكتابة اطار ٠

يلاحظ ان الاسم المذكور على هذا الشاهد هو نفس الاسم على الشاهد السابق (رقم ١٠) ، وربما كان تفسير ذلك أنه كان للقبر شاهدان ، او أن الشاهد لامرأة أخرى بنفس الاسم ، قد تكون اختا ولدت بعد وفاة الاولى وسميت بالاسم نفسه ٠ ونظرا لتطور اسلوب الخط على الشاهد الحالى (رقم ١١) عن الشاهد السابق (رقم ١٠) مع احتفاظه بكثير من خصائصه ، يرجح التفسير الاخير ٠ وربما كانت صاحبة هذا الشاهد

	—			أ
				ب
	—			ح
		—	—	د
	—			ر
	—			س
		—		ص
	—	—	—	ط
	—			ع
		—		ف
	—			ق
	—	—	—	ك
	—			ل
				م
				ن
				ه
				و
	—		—	لا
				ى

الشكل ١٣ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١١** .

اختا لصاحب الشاهد رقم ١٢ (٧٢) ، وعمة لصاحب الشاهد رقم ١٣ (٧٣) ٠

وقد شكلت اطراف الحروف بالشاهد على هيئة مثلثات رسم اسفلها في بعض الاحيان شكل عروة ، ويمكن ملاحظة رسم مشابه على شاهد من مصر مؤرخ سنة ٢٢٧هـ (٨٤٢م) (٧٤) ٠ ومن جهة اخرى رسمت بعض الحروف بأسلوب أكثر زخرفة من رقم ١٠ ، مثل اللام ألف (سطر ٣) ، كما ارجعت الياء الاخيرة بمقدار كلمتين (سطري ٤ و٥) ، في حين انها ارجعت في الشاهد السابق (رقم ١٠) بمقدار كلمة واحدة ٠

وربما يرجع الشاهد الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٢ (اللوحة ٣٤ والشكل ١٤)

النص :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ــ اللهم انت الرحمن الرحيم الذي
٣ ــ ليس اله غيرك والبديع الذي
٤ ــ ليس قبلك شيء والدائم غير
٥ ــ الغافل والحي الذي لا يموت
٦ ــ اجعل الايمان ضياء ونورا ؟ ودليلا
٧ ــ لاسحاق بن عيسى بن يحيى ؟ الى جنات
٨ ــ النعيم وارد ؟ جنات ؟ السلام ؟ مع
٩ ــ الذين انعمت عليهم من النبيين والشهد
١٠ــ اء والصالحين وحسن اولئك
١١ــ رفيقا

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم اسحاق بن عيسى بن يحيى؟ ، على هيئة كتلة من حجر بركاني مستوية الجوانب تقريبا (الطول ٦٨ سم والعرض ٣٨ سم والسمك ١٠ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر ، وبها قليل من الاعجام (التنقيط) وخالية من الاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مستطيل الشكل استغنى عن ضلعه الاسفل ٠ وبالشاهد بعض كلمات غير واضحة (اسطر ٦ و٧ و٨) ٠

ربما كان صاحب هذا الشاهد أخا لصاحبة الشاهدين رقم ١٠ ورقم ١١ ، وعما لصاحب الشاهد رقم ١٣ ٠

ورد على الشاهد صيغة غير شائعة من المناجاة والدعاء هي : « اللهم انت الرحمن الرحيم الذي ليس اله غيرك والبديع الذي ليس قبلك شيء والدائم غير الغافل والحي الذي لا يموت ، اجعل الايمان ضياء ونورا ودليلا لاسحاق ٠٠٠ الى جنات النعيم » (اسطر ٢ ــ ٨) ٠

رسم في أعلى منتصف الضلع الاعلى من الاطار مثلث بداخله دائرة ، ويمثل هذا الرسم تنويعا للمثلثات التي سبق وصفها (ارقام ٦ ــ ١٠) ، وهو قريب الشبه من المثلث في رقم ٨ ، غير أنه رسم في الشاهد الحالى دائرة بدلا من المثلث الداخلي في رقم ٨ ٠

ومن الملاحظ انه رسم في نهاية كل من السطر الاول والثالث والرابع واسفل النص الجنائزي ، نجمة خماسية وربما استخدمت في السطر الاول كفاصل ايضا (٧٥) ٠

				أ
				ب
				ح
				د
				ر
				س
				ص
				ط
				ع
				ف
				ق
				ك
				ل
				م
				ن
				هـ
				و
				لا
				ى

الشكل ١٤ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٢** .

واطراف الحروف على الشاهد مزخرفة بمثلثات ، وكذلك بعراو اكثر استدارة من عراوي الشاهد السابق (رقم ١١) ٠ كما أن الياء الاخيرة قد ترجع احيانا بمقدار كلمة (اسطر ٣ و٥ و٧) او كلمتين (سطر ٤) او كلمة ونصف (سطر ٢) ٠

وربما يرجع الشاهد الى القرن الثالث الهجري أو الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٣ (اللوحة ٣٥ والشكل ١٥)

النص :

١ ـ بسم الله
٢ ـ الرحمن الرحيم
٣ ـ اللهم صلى (كذا) على محمد
٤ ـ النبي واجعل هلبوث
٥ ـ بن عمرو بن عيسى من ر
٦ ـ فقاء محمد في الجنة

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم هلبوث بن عمرو بن عيسى ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٤٦ سم والعرض ٢٨ سم والسمك ١٠ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر العريض ، وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ولا يحد الكتابة اطار ٠

ربما كان صاحب الشاهد ابن اخ لصاحب الشاهد رقم ١٢ ، ولصاحبة الشاهدين رقمي ١٠ و١١ . ويسترعي الانتباه الاسم هلبوث (٧٦) ٠ اما الاسم « عمرو » فمن الاسماء الشائعة في بني سليم (٧٧) ٠
ويلاحظ خطأ نحوي في كلمة « صلى » ، والصحيح « صل » بدون ياء ٠

ومن حيث اسلوب الخط شكلت أطراف القوائم في الحروف على هيئة مثلثات مطموسة تقوست بعض اضلاعها ، كما زخرفت أواخر الحروف بشرط بدت احيانا اشبه بنصف مروحة نخيلية ذات شعبتين (انظر مثلا الياء الاخيرة في كلمة عيسى سطر ٥) ، فضلا عن ذلك فان بعض الحروف زخرف بعروق ذات اوراق وازهار (كلمة بسم سطر ١ وكلمة الرحيم سطر ٢) ، وربما قصد من هذه الزخارف ملء الفراغ ، ويمكن اعتبارها في الوقت نفسه بداية تزهير ٠

ومن الملاحظ ان الشاهد من حيث أساليب الحفر والخط، شديد الشبه بنقش مؤرخ سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) باسم الخليفة العباسى المقتدر (٧٨) سبقت الاشارة اليه ، غير ان اسلوب الخط على الشاهد يبدو اكثر تطورا من حيث التوريق والتزهير ٠

ويمكن مقارنة زخارف خط الشاهد بزخارف الكتابة على شاهدين من مصر أحدهما (٧٩) مؤرخ سنة ٣٤٩هـ (٩٦٠م) (اللوحة ٤٧) والآخر (٨٠) مؤرخ سنة ٣٥٥هـ (٩٦٧م) (اللوحة ٤٨) ٠

وربما يرجع الشاهد الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

ا		—	—	
ب			—	
ح			—	
د	—	—		
ر		—		
س			—	
ص		—	—	
ط	—	—	—	
ع			—	
ف		—	—	
ق	—		—	
ك	—	—	—	
ل				
م			—	
ن	—			
ه				
و		—	—	
لا	—	—	—	
ى	—			

الشكل ١٥ : نماذج من الحروف تخص **الشاهد رقم ١٣** .

الشاهد رقم ١٤ (اللوحة ٣٦ والشكل ١٦)

النص :

١ ــ بسم
٢ ــ الله الرحمن الر
٣ ــ حيم اللهم صلى (كذا)
٤ ــ على محمد النبي وا
٥ ــ جعل عبد الله بن محمد
(بن موسى ؟)
٦ ــ ابن احمد بن عرقوب لابو
٧ ــ يه ستر (كذا) من النار آمين ٠

الوصف والتعليق :

شاهد قبر (٨١) من بني سليم باسم عبد الله بن محمد بن احمد بن عرقوب بن موسى ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب ، وأعلى جانبها الايمن مهشم (الطول ٣٨ سم والعرض ٢٥ سم والسمك ٥ر٤ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر العريض ، وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار على هيئة محراب قصير ، أعلاه على شكل عقد ذي خمسة فصوص ٠

بالنص بعض أخطاء نحوية هي كلمة « صلى » (سطر ٣) وصحتها « صل » بدون ياء ، وكلمة ستر (سطر ٧) وصحتها سترا ٠

ويستشف من صيغة الدعاء « اجعل عبد الله بن محمد ٠٠٠ لأبويه ستر من النار » ، أن صاحب الشاهد توفي صغيرا لم يبلغ الحلم ٠

ويلاحظ ان بداية الشاهد (أسطر ١ ــ ٤) بما فيها من خطأ نحوي ، مشابهة لبداية الشاهد السابق (رقم ١٣) ٠
ومن حيث اسلوب الخط يلاحظ ان اطراف الحروف زخرفت بمثلثات مطموسة بدأ بعضها يتخذ شكل نصف مروحة نخيلية ، على نمط الشاهد السابق (رقم ١٣) ٠

ويمكن مقارنة خط الشاهد بخط شاهد من مصر مؤرخ سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠م) (٨٢) (اللوحة ٤٩) ، وكذلك بنقش مؤرخ سنة ٣٠٤هـ (٩١٦م) ، باسم الخليفة العباسى المقتدر (٨٣) سبقت الاشارة اليه ٠

وباستثناء رسم الاطار يبدو هذا الشاهد أقل تطورا من الشاهد السابق (رقم ١٣) ٠

وربما يرجع الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

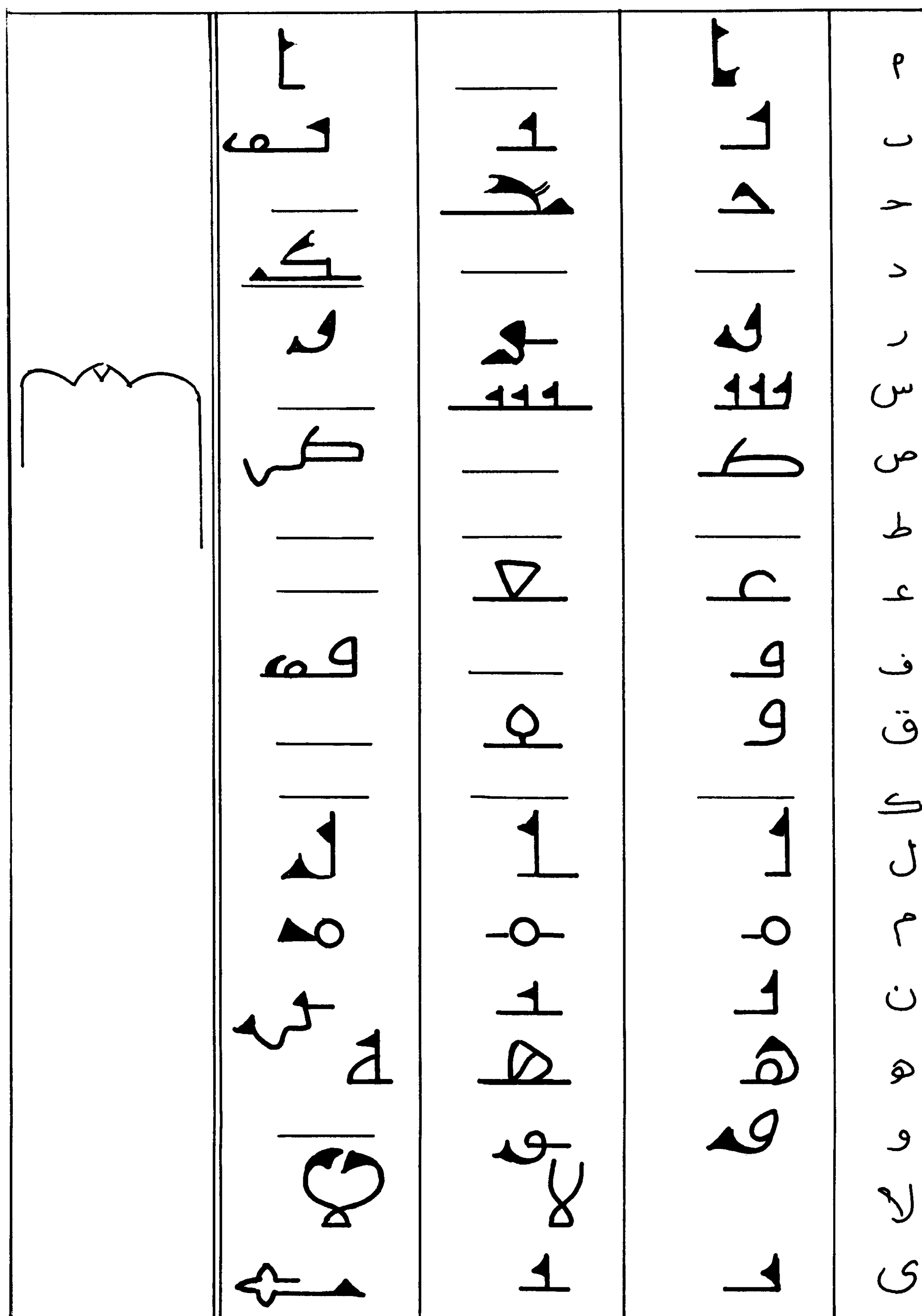
الشاهد رقم ١٥ (اللوحة ٣٧ والشكل ١٧)

النص :

١ ــ بسم الله الرحمن الرحيم
٢ ــ اللهم نور السموات

ا		—	—	
ب			—	
ح			—	
د	—	—		
ر		—		
س			—	
ص		—	—	
ط	—	—	—	
ع			—	
ف	—	—	—	
ق	—	—	—	
ك		—	—	
ل				
م				
ن	—			
ه	—			
و		—	—	
لا	—	—	—	
ى				

الشكل ١٦ : نماذج من الحروف تخص **الشاهد رقم ١٤** .



الشكل ١٧ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٥** .

٣ ـ والأرض نور لعبسة ابنت
٤ ـ هلال في قبرها وألحقها
٥ ـ بنبيها محمد صلى الله عليه
٦ ـ وسلم واجعلها من الامنين
٧ ـ الذين لا خوف عليهم ولا
٨ ـ هم يحزنون امين

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم عبسة ابنت هلال ، على هيئة كتلة من حجر بركاني احد جوانبها مستو (الطول ٦٨ سم والعرض ٤٣ سم والسمك ١٠ سم) ، والكتابة بالحفر الغائر وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار على هيئة محراب ، رسم اعلاه على شكل عقد منخفض ذي ثلاثة فصوص ، وزخرف القوس الاوسط بمستقيمين يؤلفان مع اعلى القوس شكلا قريبا من المثلث ٠

وربما كان اسم المرأة عيشة اي عائشة وليس عبسة ٠ ومع ذلك فمن المعروف ان احد الصحابة من بني سليم كان يسمى عمرو بن عبسة (٨٤) ٠

وصيغة الدعاء على هذا الشاهد تكررت على كثير من الشواهد السابقة ٠٠ كما يتضح من مقارنة نصوص الشواهد (ارقام ١ و٣ ـ ٦ و٨ و١١) ، حيث نجد صيغة المناجاة : « اللهم نور السموات والارض في اربعة شواهد (ارقام ٤ ـ ٦ و١١) ، وصيغة الدعاء : « نور له في قبره وألحقه بنبيه » في ستة شواهد (١ و٣ ـ ٦ و١١) ، وصيغة : « واجعله من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » في شاهدين (٨ و١١) ، وهكذا تجتمع العبارات كلها في الشاهد الحالي (رقم ١٥) ، مما يستشف منه انه ربما كان احدث بعض الشئ من الشواهد المذكورة ٠

ويرجح هذا الرأي شكل الاطار المتطور ، وكذلك اسلوب الخط : اذ شكلت أطراف الحروف على هيئة مثلثات مطموسة اتخذت في بعض الاحيان هيئة نصف مروحة نخيلية ذات شعبتين (٨٥) (سطر ٨)، وحورت اشكال بعض الحروف مثل الضاد (سطر ٣) والنون (سطري٦و٧)، وكتبت اللام ألف باساليب متنوعة (قارن الحرفين في أسطر ٤ و٦ و٧) ، ورسمت الياء الاخيرة في كلمة « في » على هيئة ثلاثية (سطر ٤) ، كما هي الحال في الشواهد ارقام ٣ و١١ و١٢ ، وارجعت الياء الاخيرة ايضا في كلمة « صلى » بمقدار كلمتين ، كما هي الحال في الشواهد التي سبق ذكرها (ارقام ٣ و١١ و١٢) ، وحورت المدة بين اللامين الى شكل ذي ثلاثة فصوص (قارن الشواهد ارقام ٣ ـ ٥ و٩ ـ ١٢) ٠

وربما يرجع الشاهد الى القرنين الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٦ (اللوحة ٣٨ والشكل ١٨)

النص :

أعلى الاطار : وكتب أبى عيسى المك(ى) ؟

داخل الاطار :

١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم الله لا اله

ا ب ح د ر س ص ط ع ف ق ك ل م ن هـ و لا ى

الشكل ١٨ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٦** .

٢ ـ الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا
٣ ـ نوم له ما في السموات وما في الار
٤ ـ ض من ذا الذي يشفع عنده الا
٥ ـ باذنه يعلم ما بين ايديهم وما
٦ ـ خلفهم ولا يحيطون بشيء من
٧ ـ علمه الا بما شاء وسع كرسيه
٨ ـ السموات والارض ولا يؤده
٩ ـ حفظهما وهو العلي العظيم
١٠ـ هذا قبر احمد بن سندال
١١ـ بن محمد بن سندال بن
١٢ـ المشاوب رحمه الله

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم احمد بن سندال بن محمد بن سندال بن المشاوب ، على هيئة كتلة من حجر بركاني مستطيلة السطح ومستوية الجوانب بعض الشيء (الطول ٥٩ سم والعرض ٥ر٤٤ سم والسمك ١١ سم) ، والكتابة بالحفر البارز ، وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار مزخرف مستطيل الشكل ، استغنى عن ضلعه الاسفل واسفل جانبيه ٠

يلاحظ ورود اسمين غير شائعين هما سندال (٨٦)، والمشاوب (٨٧) ، ولكنهما من أصل عربي ٠ ويفتتح النص الجنائزي بآية قرآنية آية الكرسى (سورة **البقرة** الآية **٢٥٥**) ، ويشتمل الشاهد على توقيع الكاتب في اعلى الاطار ونصه « وكتب ابي* عيسى المكى » (٨٨) ٠

ويختلف هذا الشاهد من حيث اسلوب الحفر عن الشواهد السابقة ، ذلك انه مدون بالحفر البارز ، واستخدام هذا الاسلوب من الحفر في كتابة الشواهد لاحق للكتابة بالحفر الغائر ، ومن أقدم الشواهد المدونة بالحفر البارز شاهد من مصر مؤرخ في شهر المحرم سنة ٢٠٣هـ (يولية ـ اغسطس ٨١٨م) (٨٩) ، واستمر استخدام هذا الاسلوب من الخط البارز طوال القرون التالية ٠

ومن حيث أسلوب الخط زخرفت اطراف الحروف بمثلثات حورت احيانا الى نصف مروحة نخيلية (سطري **٨** و**١٠**) ٠ وربما كان اقدم توريق على هذا النمط في زخرفة الكتابة البارزة على الشواهد ، يتمثل في شاهد رخام من مصر مؤرخ سنة ٢٢٩هـ (٩٠) (٨٤٣ ـ ٨٤٤م) ٠ ويظهر التوريق ايضا على شاهد من طشقند مؤرخ سنة ٢٣٠هـ (٩١) (٨٤٥م) ، وشاهد آخر من مصر مؤرخ سنة ٢٥١هـ (٨٦٥م) (٩٢) (اللوحة ٥٠) ، وشاهد من القيروان مؤرخ سنة ٣٤١هـ (٩٣) (٩٥٢م) ٠ وبالاضافة الى التوريق يتميز الشاهد ايضا بزخرفة الكتابة بأسلوب التزهير الذي يتمثل في زخرفة بعض الحروف ، ولا سيما حرف الميم الاخيرة برسم نصف مروحة نخيلية ذات ثلاث شعب (اسطر **١** و**٢** و**٣** و٥ ٠٠٠ الخ) ٠ وربما كان أقدم امثلة التزهير من هذا النمط على الشواهد ، يتمثل في شاهد رخام من مصر مؤرخ سنة ٢٣٧هـ (٨٥١م) (٩٤) ٠

كما تميزت الكتابة على الشاهد ايضا بمد نهاية حرفي النون والياء الاخيرين على هيئة رقبة البجعة ٠ وقد ظهر هذا النمط من التحوير على شاهد رخام من مصر مؤرخ سنة ٢٤٨هـ (٨٦٢م) (٩٥) ، وشاع

★ **المحرر :** لم يتنبه الكاتب الى وقوع خطأ نحوي في كلمة «أبي» وصححتها «أبو» ٠

استخدام هذا الاسلوب من الكتابة ـ شأنه في ذلك شأن التوريق والتزهير ـ في زخرفة الخط الكوفي بصفة خاصة في الدولة الفاطمية ٠

وفضلا عن الزخرفة المتصلة بالحروف ، رسم في الارضية بين الاسطر في بعض الاحيان اشكال زخرفية على هيئة أزهار ذات أربعة فصوص ٠ وربما كان من اسباب الالتجاء الى هذا الاسلوب من الزخرفة في الكتابة البارزة ـ بالاضافة الى التوريق والتزهير ومد الحروف ـ هو التقليل من الحفر بين الحروف والحرص على تقوية الكتابة البارزة ٠

وقد حظي الاطار بأساليب مختلفة من الزخرفة ، فزخرف الضلع الاعلى من الداخل بشريط من المراوح النخيلية تتبادل مع اشكال مؤلفة من زاويتين متداخلتين ، وزخرف في اعلاه بأوراق نباتية ذات ثلاثة فصوص، في حين زخرف الجانبان بجديلتين ٠

وينفرد الشاهد موضوع الدراسة (رقم ١٦) دون مجموعة الشواهد بالمتحف ، بأنه يشتمل على توقيع الكاتب (ابي عيسى المكي) ٠ ومن الملاحظ انه ورد توقيع قريب الشبه على شاهد رخام من مصر مؤرخ سنة ٢٤٣هـ (٨٥٨م) (٩٦) (اللوحة ٥١) ، نصه في اعلى الاطار « وكتب المكي » ، وفي آخر الكتابة الجنائزية « وعمل مبارك المكي » ٠ غير ان الشاهد المصري يبدو اكثر تطورا من الشاهد رقم ١٦ من حيث التوريق والتزهير وتشكيل الحروف وزخارف الاطار ، وان كان ذلك لا يعني انه اقدم من حيث تاريخ الكتابة ٠

ومن جهة اخرى هناك صلة وثيقة بين الشاهد رقم ١٦ وبين الشاهدين رقمي ١٧ و١٨ في نفس المجموعة، من حيث طريقة الحفر وأسلوب الخط وزخرفة الاطار وتضمين النص بعض آيات القرآن الكريم ، مما يرجح نسبتها جميعا الى نفس العصر وربما الى نفس الكاتب ٠

وربما يرجع الشاهد الى القرن الثالث الهجري او القرن الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٧ (اللوحة ٣٩ والشكل ١٩)

النص :

١ ـ بسم الله
٢ ـ الرحمن الرحيم
٣ ـ (اللهـ) م صل على محمد النبي
٤ ـ اللهم اذا جمعت الأ
٥ ـ ولين والآخرين لميقات يوم
٦ ـ معلوم فاجعل عبدك أبو*
٧ ـ القسم عل (كذا) بن
٨ ـ (محـ) مد بن عبد الرحمن
٩ ـ من (الف) ائزين ان الذين سبقت
١٠ـ (لهم) منا الحسنا او
١١ـ (لئك) عنها مبعدون لا
١٢ـ (يسمـ) عون حسيسها و
١٣ـ (هم فيـ) ـها فيما اشتهت انفسهم
١٤ـ خالدون

★ **المحرر :** لم يتنبه الكاتب الى وقوع خطأ نحوي في كلمة «ابو» وصححتها «ابا» ٠

ا
ٮ
ح
د
ر
س
ص
ط
ع
ف
ق
ك
ل
م
ن
ه
و
لا
ى

الشكل ١٩ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٧** .

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم « أبو القسم على بنمحمد بن عبد الرحمن » ، على هيئة كتلة من حجر بركاني تهشم جانبها الأيمن (الطول ٨٦ سم والعرض ٤٥ سم والسمك ١٤ سم) ، والكتابة بالحفر البارز ، وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ويحد الكتابة اطار على هيئة محراب ٠

يلاحظ التركيز على اسم المتوفي ، اذ رسم بخط اكبر حجما واكثر زخرفة ٠ ونتيجة لتهشم الجانب الأيمن من الشاهد فقدت بعض كلماته ، ومما يلفت النظر حذف الياء الاخيرة من الاسم « على » ، وربما كان اسم والد المتوفي أحمد أو محمد ، اذ أن المتبقى من الاسم هما الحرفان الاخيران فقط « مد » ٠ وقد تضمن النص الجنائزي آية قرآنية كريمة (سورة **الانبياء** الآية **١٠١**) ٠

ومن حيث أسلوب الخط زخرفت الاحرف بالمثلثات وبالتوريق وبالتزهير وبمد نهايات بعض الحروف على هيئة رقبة البجعة ، كما هي الحال في الشاهد السابق (رقم **١٦**) ٠ غير أن نهايات الاحرف في الشاهد الحالى اكثر امتدادا وتقوسا ، اي انها تبدو أكثر تطورا ٠

ويشبه هذا الامتداد شاهدا من مصر مؤرخا في الربع الثاني من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) (٩٧) (اللوحة ٥٢) ، غير ان الشاهد المصري اكثر تطورا واستقامة ٠

كما زخرفت الارضية في أعلى الشاهد برسم بعض الازهار لملء الفراغ ٠

ويتميز الاطار في هذا الشاهد بأنه يعلوه عقد على هيئة حدوة الفرس ، ويزخرفه شريط مؤلف من أنصاف مراوح نخيلية ذات ثلاث شعب ٠

ويشبه الشاهد من حيث أسلوب الخط والعناية بالاطار وزخرفة الارضية وتضمين النص الجنائزي بعض آيات القرآن الكريم الشاهدين رقمي **١٦** و**١٨** (٩٨)٠

وربما يرجع الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٨ (اللوحة ٤٠ والشكل ٢٠)

النص :

١ ـ بسم الله الر
٢ ـ حمن الرحيم قل يا عبا
٣ ـ دى الذين أسرفوا على ا
٤ ـ نفسهم لا تقنطوا من
٥ ـ رحمة الله ان الله يغفر ا
٦ ـ لذنوب جميعا انه هو الغفو
٧ ـ ر الرحيم اللهم صل على
٨ ـ محمد النبي واجعل
٩ ـ اسمعيل بن ابراهيم
١٠ـ بن اسمعيل الجار
١١ـ من الفائزين

ا				
ب				
ح				
د				
ر				
س				
ص				
ط				
ع				
ف				
ق				
ك				
ل				
م				
ن				
ه				
و				
لا				
ى				

الشكل ٢٠ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٨** .

الوصف والتعليق :

شاهد قبر من بني سليم باسم اسمعيل بن ابراهيم الجار ، على هيئة كتلة من حجر بركاني غير مستوية الجوانب (الطول ٧٠ سم والعرض ٣٨٫٥ سم والسمك ٨ سم) ، والكتابة بالحفر البارز ، وخالية من الاعجام (التنقيط) والاعراب (التشكيل) ، وبخط كوفي مزخرف ، ويحد الكتابة اطار اعلاه على هيئة محراب ٠

يلاحظ التركيز على اسم المتوفي ، اذ ترك قبله واعلاه مساحة كبيرة خالية من الكتابة ٠ وورد في نهاية الاسم كلمة الجار مما يثير بعض التساؤل : أهي لقب أم اسم مدينة (٩٩) ٠ وتضمن النص آية قرآنية (سورة **الزمر** الآية ٥٣) ٠

ويشتمل خط الشاهد على أساليبزخرفية مختلفة أغلبها ظهر في الشاهدين السابقين (١٠٠) (رقمي ١٦ و١٧) ، وهي المثلثات في أطراف الحروف ، والتوريق على هيئة نصف مروحة نخيلية ذات شعبتين ، والتزهير على هيئة نصف مروحة نخيلية ذات ثلاث شعب (سطر ١) ، ومد آخر النون مثل رقبة البجعة ، وزخرفت الارضية بين الاسطر برسم بعض الازهار ٠

ولكنه يتميز بالاضافة الى ذلك برسم المدة بين اللامين على شكل قوسين متداخلين (سطري ٥ و٧) ٠

أما اطار الشاهد فقد رسم في أعلاه شبه رباعيين متداخلين حول زخرفة نباتية دائرية الشكل ، يملآن الفراغ بين قمة الاطار المدببة وبين السطر الاول من النص الجنائزي ، واتخذ أسفل الاطار شكلا شبه مثلث ليتفق مع سطح الكتلة الحجرية ٠

ويشبه هذا الشاهد من حيث اسلوب الخط والزخارف والعناية بالاطار وتضمين النص الجنائزي آية قرآنية الشاهدين السابقين (رقمي ١٦ و١٧) ٠

وربما يرجع الى القرن الثالث الهجري او الرابع (التاسع والعاشر الميلاديين) ٠

الشاهد رقم ١٩ (اللوحة ٤١ والشكل ٢١)

النص :

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله
٢ـ عنده اجر عظيم هذا ضريح العبد الفقير الى الله الراجي كرم الله سيدنا ومولانا
٣ ـ المقر الكريم العالى وحائز المفاخر والمعالى صفوة أولاد سيد المرسلين نخبة العترة
٤ ـ الطاهرين مفخر (كذا) الملوك والسلاطين السيد الشريف ذي النسب الطاهر والحسب
٥ ـ الفاخر المنيف المرحوم قايتباي بن شرف بن سيدنا ومولانا سلطان
٦ ـ الحجاز المنيف قايتباي بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بنرميثة بن ابي نمى بن ابى سعد
٧ ـ بن عجلان بن قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن حسن بن عيسى بن سليمان
٨ ـ بن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن
٩ ـ بن الحسن بن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ووصى سيد
١٠ـ المرسلين على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه كان
١١ـ انتقاله الى رحمة الله تعالى يوم السبت النصف من جمادى الاولى
١٢ـ عام خمس والف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة ٠

الوصف والتعليق :

شاهد ضريح من مكة باسم قايتباي بن شرف بن قاينباي بن محمد ثم قتادة ثم الحسن بن علي بن أبي

طالب · ومؤرخ يوم السبت النصف من جمادى الاولى سنة ١٠٠٥هـ (٤ يناير ١٥٩٧م) ، وهو على هيئة لوح من حجر بركاني مستطيل الشكل (الطول ٦٨ر٥ سم والعرض ٤٧ سم والسمك ١٦ سم) ، والكتابة بالحفر البارز وبالخط الثلث ، ويحد الكتابة اطار على هيئة محراب ·

وواضح من التاريخ أن الشاهد يرجع الى العصر العثماني ·

ومن الملاحظ ان الكلمة الثانية في السطر الرابع تنقص التاء المربوطة في آخرها ، وصحتها « مفخرة » ·
وقد افتتح النص الجنائزي بآية قرآنية (سورة **التوبة** الآية **٢١**) ·
ولهذا الشاهد أهمية من حيث التاريخ وتحقيق النسب ودراسة الالقاب والنظم ·

فمن حيث التاريخ يلاحظ أن الشاهد باسم احد أفراد أسرة بني قتادة التي تولت امـارة مكـة فترة من الزمن (١٠١) ، وهو حفيد قايتباي بن محمد أمير مكة (سنة ٩١٠ـ٩١٨هـ) (١٠٢) (١٥٠٤ـ١٥١٢م) ·

ويذكر الشاهد نسب قايتباي بن شرف مرفوعا الى على بن أبى طالب · غير أن سلسلة النسب الواردة على الشاهد تختلف عن سلسلة النسب التي يوردها ويستنفلد لولاة مكة (١٠٣) في ثلاثة مواضع :

أولها عندما يذكر ويستنفلد : « موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن على » في حين يرد على الشاهد فقط : « موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على » (سطر ٨) ، ويتفق الشاهد في ذلك مع الفاسى فيما نقله عن ابن حزم في **الجمهرة** (١٠٤) ·

وثاني مواضع الاختلاف حين يذكر ويستنفلد : « عبد الكريم بن عيسى بـن حسين » متفقا فـي ذلك مع الفاسى (١٠٥) ويذكر الشاهد : « عبد الكريم بن حسن بن عيسى » (سطر ٧) ·

أما ثالث المواضع فيتمثل في ذكر ويستنفلد : « ابو سعد على بن قتادة » (١٠٦) وذكر الشاهد « ابو سعد بن عجلان بن قتادة » (سطر ٦و٧) ·

ومن جهة أخرى يختلف الشاهد معسلسلة النسب التي يوردها زامباور لأسرة بني قتادة في موضع واحد وذلك عندما يذكر زامباور : « أبو عزيز قتادة بن ادريس المطاعن » (١٠٧) في حين يرد الاسم على الشاهد بصيغة « قتادة بن ادريس بن مطاعن » (سطر ٧) · غير أنه من المعروف ان الصيغتين متفقتان من حيث المعنى ·

ومن حيث النظم يشتمل الشاهد على كثير من الألقاب تلقى الضوء على دراسة النظم ·

ومن الملاحظ ان الالقاب الواردة على الشاهد منها ما يتعلق بالمتوفي او بجده قايتباي بن محمد او بعلى بن ابى طالب ·

وتنقسم القاب المتوفى من حيث المضمون الى نوعين هما :

ألقاب تواضع وألقاب تفاخر ·

وألقاب التواضع هي : العبد ، الفقير الى الله ، الراجي كرم الله ·

ولقب العبد الفقير الى الله من ألقاب التذلل لله تعالى ، ويكثر ذكره في الكتابات الجنائزية ، ومن أمثلة

استخدامه وروده ضمن ألقاب سيف الدين سلار نائب السلطنة في عصر المماليك ، في نقش على مشكاة برسم تربته (١٠٨) ٠

أما لقب « الراجي كرم الله » فلم يصادف على الآثار قبل العصر العثماني (١٠٩) ٠

أما ألقاب التفاخر التي تسبق اسم المتوفي فهي : سيدنا ومولانا ، المقر الكريم العالى ، وحائز المفاخر والمعالى ، صفوة أولاد سيد المرسلين ، نخبة العترة الطاهرين ، مفخرة الملوك والسلاطين ، السيد ، الشريف ، ذو النسب الطاهر والحسب الفاخر ، المنيف ، المرحوم ٠

وهذه الالقاب لم يسبق ورودها على الآثار قبل العصر العثماني ، باستثناء الالقاب الآتية : سيدنا ومولانا ، المقر الكريم العالى ، السيد الشريف (١١٠) ٠

وبعض الالقاب ذات مغزى شيعي وهي : صفوة أولاد سيد المرسلين ، نخبة العترة الطاهرين ، السيد الشريف ، ذو النسب الطاهر والحسب الفاخر ٠

ومن الالقاب ذات الدلالة الخاصة لقب سيدنا ومولانا ، اذ أنه من المرجح ان هذا اللقب كان يطلق على كبار رجال الدين في أواخر عصر المماليك (١١١) ، ومن المحتمل انه صار يستخدم بهذا الاسلوب في أوائل العصر العثماني ، ومن ثم فانه يرجح ان قايتباي بن شرف كانت له مكانة دينية ومن هنا أطلق عليه هذا اللقب (١١٢)٠ ويؤيد ذلك ذكر لفظة الضريح على الشاهد (سطر ٢) ٠

ويرجح ذلك أيضا ان لقب « المقر الكريم العالى » الذي أطلق ايضا على المتوفى ، كان قد اجيز اطلاقه في أواخر عصر المماليك على اصحاب الوظائف الدينية ومشايخ الصوفية وأهل الصلاح (١١٣) ٠

وكان هذا اللقب أقل رتبة من لقب « المقام الشريف العالى » الذي كان يلقب به أمراء مكة في عصر المماليك وبداية العصر العثماني (١١٤) ٠

ومن ثم فان عدم اطلاق لقب المقام الشريف العالى على قايتباي بن شرف والاقتصار على لقب « المقر الكريم العالى » يدل على انه لم تتسن له الولاية السياسية ، كما يتضح من المؤلفات الادبية (١١٥) ٠

أما لقب « السيد الشريف » فمن الالقاب التي اصطلح على اطلاقها على ابناء على بن أبى طالب ، وربما كان اقدم ورود له على الآثار اطلاقه على معاذ بن داود بن محمد بن عمر بن الحسن بن على بن أبى طالب ، في نقش جنائزي مؤرخ في شهر ربيع الآخر سنة ٢٦٥هـ (ديسمبر ٨٧٨م) ، على باب زاوية بنى معاذ بالقاهرة (١١٦) ٠

وبالاضافة الى ألقاب المتوفى ، ورد على الشاهد ألقاب خاصة بجد المتوفي وسميه « قايتباي بن محمد » (١١٧)، وهي : « سيدنا ومولانا ، سلطان الحجاز ، المنيف » (سطري ٥ و٦) ، ولم يسبق ذكر هذه الالقاب على الآثار قبل العصر العثماني ، باستثناء لقب « سيدنا ومولانا » ٠

وقد سبقت الاشارة الى أن لقب « مولانا وسيدنا » قد سبق اطلاقه في الشاهد على المتوفى نفسه ، غير ان دلالته في حالة اطلاقه على قايتباي بن محمد تختلف على الارجح عن الدلالة السابقة ، اذ انه يتضمن في حالة قايتباي بن محمد دلالة سياسية ، ذلك ان هذا اللقب شاع استخدامه للولاة بصفة عامة (١١٨) ، واستعمل

م				
ب				
ح				
د				
ر				
س				
ص				
ط				
ع				
ف				
ق				
ك				
ل				
م				
ن				
ه				
و				
لا				
ى				

الشكل ٢١ : نماذج من الحروف والزخرفة تخص **الشاهد رقم ١٩** ٠

بصيغة « مولانا وسيدنا » للخلفاء الفاطميين ، كما اطلق على السلاطين السلاجقة وسلاطين المماليك (١١٩) ، وربما كان اقدم استخدام له معروف على الآثار اطلاقه على الخليفة الفاطمي العزيز ، في نقش بمقام الخضير في دير البلح (١٢٠) ٠

أما لقب « سلطان الحجاز » (سطري ٥ و٦) ، فيستشف من وروده ان بعض ولاة مكة كانت تسند اليهم الولاية على الحجاز في أواخر عصر المماليك ٠ ويؤيد ذلك ما ذكره الفاسي من أن « حسن بن عجلان » (سطر ٦) ولى في ربيع الاول سنة ٨١١هـ نيابة السلطنة لجميع الحجاز ، وكذلك رميثة بن محمد بن عجلان (١٢١) ٠

أما المجموعة الثالثة من الالقاب التي ترد على الشاهد ، فتخص على بن ابي طالب وهي : « سيدنا ومولانا ، امير المؤمنين ، ووصى سيد المرسلين » (سطري ٩ و١٠) ، وقد سبق ذكرها على الآثار قبل العصر العثماني باستثناء لقب « وصى سيد المرسلين »، وهو يختص بعلى بن أبى طالب وذو دلالة معينة عند الشيعة ٠

وبالاضافة الى ذلك ورد على الشاهدين دعاءان لعلى بن ابى طالب ، هما « كرم الله وجهه ورضى عنه » (سطر ١٠) ويختص الدعاء الاول بعلى بن أبى طالب ٠

أما عبارة « كان انتقاله الى رحمة الله » فتعنى وفاته ٠

ومن حيث شكل الاطار واسلوب الخط ، شكل اعلى الاطار على هيئة قوس نصف دائري ورسم في التوشيحتين أو المثلثين بين زاويتي المستطيل العلويتين وبين قوس العقد ، زخرفة نباتية مؤلفة من أنصاف مراوح نخيلية مرتبة ترتيبا هندسيا (١٢٢) ٠ ويشتمل قوس المحراب على البسملة مكتوبة بالخط الثلث الجلى ، باسلوب مركب ذى ثلاث طبقات وبحروف معجمة (منقطة) ومعربة (مشكلة) ٠

أما باقي النص فيشغل المستطيل اسفل قطر العقد على هيئة اسطر يفصل بينها خطوط ، وهو مكتوب بالخط الثلث الخفيف وبه بعض الاعجام (التنقيط) وبعض الاعراب (التشكيل) ٠

والخط الثلث من أشهر أنواع الخط المقور (١٢٣) ٠ ومن المرجح أن بداية استخدام الخط المقور في كتابة شواهد القبور كانت في القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى) ، ثم شاع استخدامه في العصور التالية ٠ ومن أقدم الشواهد المدونة نصوصها الجنائزية بالخط المقور ثلاثة شواهد من مصر ، أحدها مؤرخ سنة ٥٦٧هـ (١١٧٢م) (١٢٤) ، والثاني مؤرخ سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨م) (١٢٥) (اللوحة ٥٣) ، والثالث مؤرخ سنة ٥٩٤هـ (١١٩٨م) (١٢٦) (اللوحة ٥٤) ، وتمثل خطوط هذه الشواهد مراحل مبكرة لتطور الخط المقور على شواهد القبور ٠

ويعتبر الخط الثلث من اجمل افرع الخط المقور واكثرها استخداما على الآثار ، وقد شاع استخدامه بصفة خاصة في عصر المماليك وعصر سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وفي العصر العثماني ٠

الهوامش

(١) Max van Berchem, *Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum* (Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale).

(٢) E. Combet, I. Sauvaget et G. Wiet *Répertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe.*

(٣) *Stèles Funéraires* (Catalogue générale du Musée Arabe).

(٤) انظر مثلا الشاهد رقم ١٦ (لوحة ٣٨) ، في مجموعة المتحف الاثري بكلية الآداب بجامعة الرياض ، والشاهد رقم ٣٩٠٤ (اللوحة ٥١) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ٠

(٥) انظر مثلا الفاسي ، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، جـ٢ ، ص ٢٠٨ ٠

(٦) حسن الباشا ، **الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية** ، جـ٣ ، ص ١٢٦٧ــ١٢٦٩ و١٣٥١ و١٣٦٣ ٠

(٧) **المرجع نفسه** ، جـ٣ ، ص ١٣٥٢ ٠

(٨) حسن الباشا ، **الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** ، ص ١١٣ــ١١٥ ٠

(٩) اللوحات ٢٣ــ٤١ والاشكال ٣ــ٢١ ، يجدر بي ان أنوه بالمساعدات القيمة التي قدمها الدكتور عبدالرحمن الطيب الانصارى رئيس قسم التاريخ (حاليا الآثار) بكلية الآداب بجامعة الرياض في سبيل هذه الدراسة ٠ وكذلك اشكر السيد عبدالمحسن احمد عطية الرسام بالمتحف الاثري والسيد محمد علي المصور بالقسم على معاونتهما في رسم الاشكال وعمل لوحات البحث ٠

(١٠) انظر عبد القدوس الانصاري ، **بين التاريخ والآثار** (بيروت ، ١٩٦٩م) ، ص ٦٠ــ٦٣ ٠

(١١) **المرجع نفسه** ، شكل على صفحة ٥١ ٠

(١٢) **المرجع نفسه** ، ص ٤٧ــ٥٦ ٠

(١٣) بالمتحف شاهدان آخران من بني سليم يقوم بدراستهما احد مبعوثي كلية الآداب بجامعة الرياض ٠

(١٤) انظر ما بعد ٠

(١٥) يقوم بها قسم التاريخ بالكلية باشراف الدكتور عبد الرحمن الانصاري ٠

(١٦) اسم تركي سبق اطلاقه على احد سلاطين المماليك ٠

(١٧) انظر **تاج العروس** ، مادة « سندل » ٠

(١٨) انظر **لسان العرب** ، مادة « شوب » ٠

(١٩) انظر **تاج العروس** ، مادة « هلبث » ٠

(٢٠) « أم الحسن » ٠

(٢١) رقم السجل ٩ ٠

(٢٢) راعينا اثبات أطول الابعاد ٠

(٢٣) من مصر ومحفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١٥٠٨ــ٢٠ ٠
Hawary, "Ancient Islamic Monuments", *JRAS*, (1930), p.p. 322-333.

(٢٤) باسم معاوية بن ابي سفيان ٠

(٢٥) ناجي زين الدين ، **مصور الخط العربي** ، شكل ٥ ٠

(٢٦) Hawary, *op. cit.*, IV, C.

(٢٧) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١٥٠٦ــ٧٣٤ ٠ *Stèles Funéraires*. I, pl. 2. b.

(٢٨) بالمتحف نفسه سجل رقم ٢٧٢١–١٠٧٤ . *Ibid* I, pl. 3 b.

(٢٩) عبد القدوس الانصاري ، **المرجع نفسه** ، ص ١٣٢–١٤٣ .

(٣٠) دون عليه رقم ٨٥ م٠أ٠ج٠ر٠

(٣١) K.A.C. Creswell, *A Brief Account of Early Muslim Architecture*, pl. 5.

(٣٢) *CIA* (Jerusalem) I, no. 1, 2, p. 21, fig. 1,2, pl. II, van Berchem, *Inscr. ar. de Syrie; MIÉ*, III, pp. 418-432.

(٣٣) Moritz, *Arabic Palaeography*, pls. 107-110; Creswell, *Brief Chronology*, BIFAO, XVI, p. 62.

(٣٤) Clermont - Ganneau, "Notes d'Épigraphie", *JA* I (1887), p. 485, Planche.

(٣٥) Encyclopedie, art. "Arabie", pl. VI.

(٣٦) بالمتحف الاثري بكلية الآداب جامعة الرياض ، **سجل حفائر الفاو ، الموسم الثاني** ، رقم ف ١٨٣ .

(٣٧) ربما كانت تصحيفا لكلمة « الجحور » .

(٣٨) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١١٩٦ . *Stèles Funéraires*, I, pl. 18 a.

(٣٩) بالمتحف نفسه سجل رقم ١١٩٧ . *Ibid.* pl. 21 b.

(٤٠) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١٥٠٦–٧٤٧ . *Ibid.* pls. 10, 5c

(٤١) بالمتحف نفسه سجل رقم ٩٨٢٠ ، ١٢٧١ . *Ibid.* II, pl. 10 a, 12 a.

(٤٢) بالمتحف نفسه سجل رقم ٣٢٦–٣٣٧ . *Ibid.* V pl. 13 a

(٤٣) انظر الشاهد السابق رقم ٣ .

(٤٤) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١٥٠٦–٥٨١ . *Ibid*, I, pl. 15 c.

(٤٥) عبد الرحمن فهمي ، **النقود العربية ماضيها وحاضرها** ، ص ٢٤ .

(٤٦) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١٥٠٦–٦٨٧ . *Ibid*, I, pl. 4 a.

(٤٧) انظر التعليق على رقم **٣** .

(٤٨) سبق نشر هذا الشاهد وقراءته باختلاف ضئيل بمعرفة الاستاذ عبد القدوس الانصارى انظر **بين التاريخ والآثار** ، ص ٦١ .

(٤٩) دون عليه رقم ٨٦ م٠أ٠ج٠ر٠

(٥٠) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ٣٣٦٠ . *Stèles Funéraires* I, pl. 3 a.

(٥١) بالمتحف نفسه سجل رقم ١٥٠٦–٥٨١ . *Ibid*, I, pl. 15 c.

(٥٢) *A. Grohmann, BIÉ*, T. XXXVII, 2; *The Origin and Early Development of Floriated Kufic* (Ars Orientalis II, 1957).

(٥٣) عبد القدوس الانصاري : المرجع السابق ص ٥٦ .

(٥٤) Karabacek, *Beiträge zur Geschichte der Mazjaditen*, p. 53., 1; A Grohmann, *op. cit.*

(٥٥) A.U. Pope, *A Survey of Persian Art* II, fig. 526 b, p. 1447,

(٥٦) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١١٩٧ . *Stèles Funéraires* I, pl. 21 b.

(٥٧) بالمتحف نفسه سجل رقم ١١٩٣ . *Ibid.* I. pl. 66.

(٥٨) عبد القدوس الانصارى ، **المرجع نفسه** ، ص ٥٦ .

(٥٩) انظر التعليق على الشاهد رقم ٤ .

(٦٠) عبد القدوس الانصارى ، **المرجع نفسه** ، ص ١٤٠ـ١٤١ .

(٦١) ورسمت النجمة داخل دائرة كفاصل بين الآيات في المصاحف في مرحلة متأخرة من تطور اشكال الفواصل .. د. محمد عبد العزيز مرزوق ، « المصحف الشريف » ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** المجلد ٢٠ ، ص ٤١ .

(٦٢) انظر ايضا التعليق على الشاهد رقم ٤ .

(٦٣) انظر التعليق على الشاهد رقم ٦ .

(٦٤) كان ممن برز في علوم الدين من بني سليم هياج بن العلاء السلمي وكان من اصحاب واصل بن عطاء . عبد القدوس الانصاري ، **بنو سليم** ، ص ٣١٩ .

(٦٥) انظر الشاهد رقم **٣** .

(٦٦) انظر وصف الشاهد المذكور والتعليق عليه .

(٦٧) اسحاق بن عيسى .

(٦٨) هلبوث بن عمرو بن عيسى *Stèles Funéraires*, I, pl. 29 b.

(٦٩) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ١٥٠٦ـ٦٦٥ .

(٧٠) بالمتحف نفسه سجل رقم ١١٩٣ . *Op.* cit., pl. 6 b.

(٧١) بالمتحف نفسه سجل رقم ١١٩٧ . *Op.* cit, pl. 21 b.

(٧٢) اسحاق بن عيسى .

(٧٣) هلبوث بن عمرو عيسى .

(٧٤) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، سجل رقم ١٥٠٦ـ١٣٥ . *Op. cit*.. pl. 39 d.

(٧٥) انظر التعليق على الشاهد رقم ٤ .

(٧٦) انظر **لسان العرب** ، مادة « هلبث » .

(٧٧) عبد القدوس الانصارى ، **بنو سليم** ، ص ٩٤ .

(٧٨) المؤلف نفسه ، **بين التاريخ والآثار** ، ص ٥١ .

(٧٩) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ٢٧٢١ـ٨٩ .

(٨٠) بالمتحف نفسه سجل رقم ١٢٣٤ .

(٨١) دون عليه رقم ٨٨ م.أ.ج.ر.

(٨٢) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة سجل رقم ٣٠٨٧ .

(٨٣) عبد القدوس الانصارى ، **المرجع السابق** ، ص ٥١ .

(٨٤) عبد القدوس الانصاري ، **المرجع السابق نفسه** ، ص ٢٣٢ .

(٨٥) قارن ايضا اللوحة ٤٩ .

(٨٦) انظر **تاج العروس** ، مادة «سندل» .

(٨٧) انظر **لسان العرب** ، مادة «شوب» .

(٨٨) ربما تقرأ الكلمة « الفذ » .

(٨٩) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة سجل رقم ٢٧٢١ـ٨١ وباسم سالم بن موسى الهاشمي . *Stèles Funéraires*, I, pl. 12 b.

(٩٠) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ٢٧٢١ـ٦٩ . *Op. cit*, pl. 45 c.

(٩١) A Grohmann, *op. cit*., p. 274, fig 1.

(٩٢) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ٣٣٧٧ .

(٩٣) *Ibid,* fig 2; E.J. Grube, *The World of Islam,* 2 b.

(٩٤) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة سجل رقم ٧٠١١ · *Stèles Funéraires,* I, pl. 59 c.

(٩٥) بالمتحف نفسه سجل رقم ٧١٣٨ · *Op.* cit., II, pl. 38.

(٩٦) بالمتحف نفسه سجل رقم ٣٩٠٤ · *Op. cit,* I, pl. XVI.

(٩٧) بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة سجل رقم ٩٨١٠ · *Op. cit.* VI, pl. 37.

(٩٨) انظر التعليق على الشاهد رقم **١٦** ·

(٩٩) الجار اسم فرضة المدينة المنورة في صدر الاسلام · انظر عبد القدوس الانصارى ، **بنو سليم** ، ص ١٢٢ و١٢٤ و١٢٥ ·

(١٠٠) انظر التعليق على هذين الشاهدين ·

(١٠١) انظر زامباور ، **معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي** (ترجمة الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود وآخرين) ، ص ٣١ـ٣٥ ·

(١٠٢) **المرجع نفسه** ، ص ٣٣ ·

(١٠٣) F. Wüstenfeld, *Die Chroniken der Stadt Mekka, Stammtafel der Scherife von Mekka.*

(١٠٤) تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد الفاسى ، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، جـ٢، ص ٢٠٥ـ٢٠٦ ·

(١٠٥) **المرجع نفسه** ، جـ٢ ، ص ٢١٤ ·

(١٠٦) F. Wüstenfeld, *op. cit*

(١٠٧) زامباور ، **المرجع نفسه** ، ص ٣١ ·

(١٠٨) G. Wiet, *Lampes et bouteilles,* p. 25.

(١٠٩) انظر حسن الباشا ، **الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار** ·

(١١٠) **المرجع نفسه** ·

(١١١) **المرجع نفسه** ، ص ٥٢٢ ·

(١١٢) اطلق اللقب في الشاهد نفسه على جد المتوفي قايتباي بن محمد غير انه في هذه الحالة كانت له دلالة سياسية · انظر ما بعد ·

(١١٣) القلقشندى ، **صبح الاعشى في صناعة الانشا** ، جـ٦ ، ص ١٥٤ـ١٦١ ·

(١١٤) انظر **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، جـ٣ ، ص ٣٣٠ و٣٤٧ نقلا عن كتاب **الاعلام باعلام بيت اللـه الحرام** لقطب الدين النهروالى حيث اطلق اللقب « المقـام الشريف العالى » على « محمـد بـن بركـات بن حسن بن عجلان » (سطر ٦ في الشاهد) ·

(١١٥) انظر F. Wüstenfeld, *op. cit.* وزامباور ، **المرجع نفسه** ، ص ٣٠ـ٣٥ ·

(١١٦) E. Combet, J. Sauvaget et G. Wiet. *Rèpertoire Chronologique d'Épigraphie Arabe.* III, no. 871.

(١١٧) ولي امارة مكة كما سبقت الاشارة الى ذلك ·

(١١٨) حسن الباشا ، **المرجع نفسه** ، ص ٣٤٥ـ٣٥٠ ، ٥١٩ـ٥٢٢ ·

(١١٩) **المرجع نفسه** ، ص ٥٢١ـ٥٢٢ ·

(١٢٠) E. Combet, I. Sauvaget et G. Wiet, *op. cit.* V, no. 1937.

(١٢١) **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** ، جـ٢ ، ص ٢٣٧ـ٢٣٨ ·

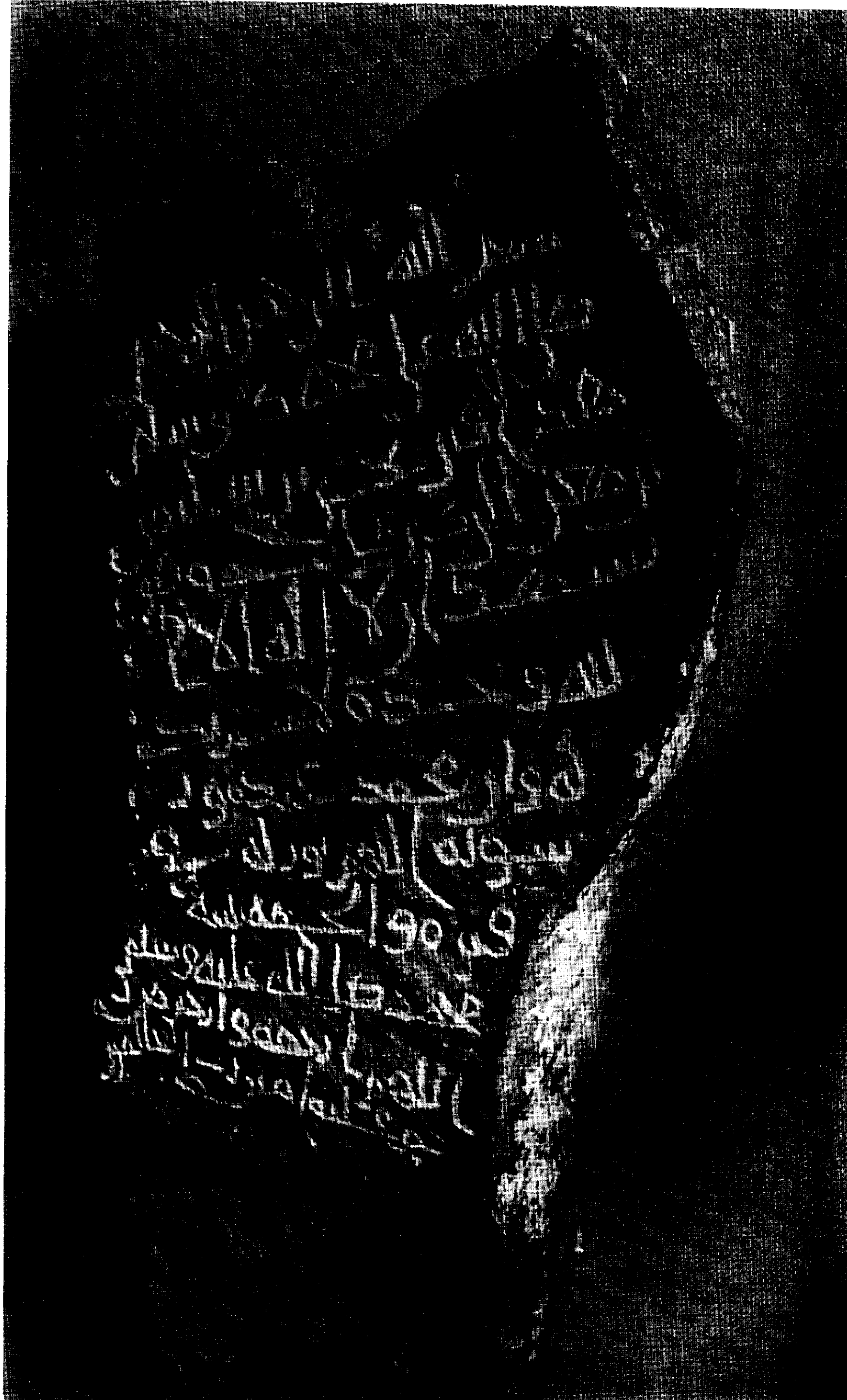
(١٢٢) اصطلح البعض على تسمية هذه الزخرفة باسم الارابسك Arabesque انظر *Encyclopaedia of Islam*

(١٢٣) اصطلح على تسميته باسم النسخ ·

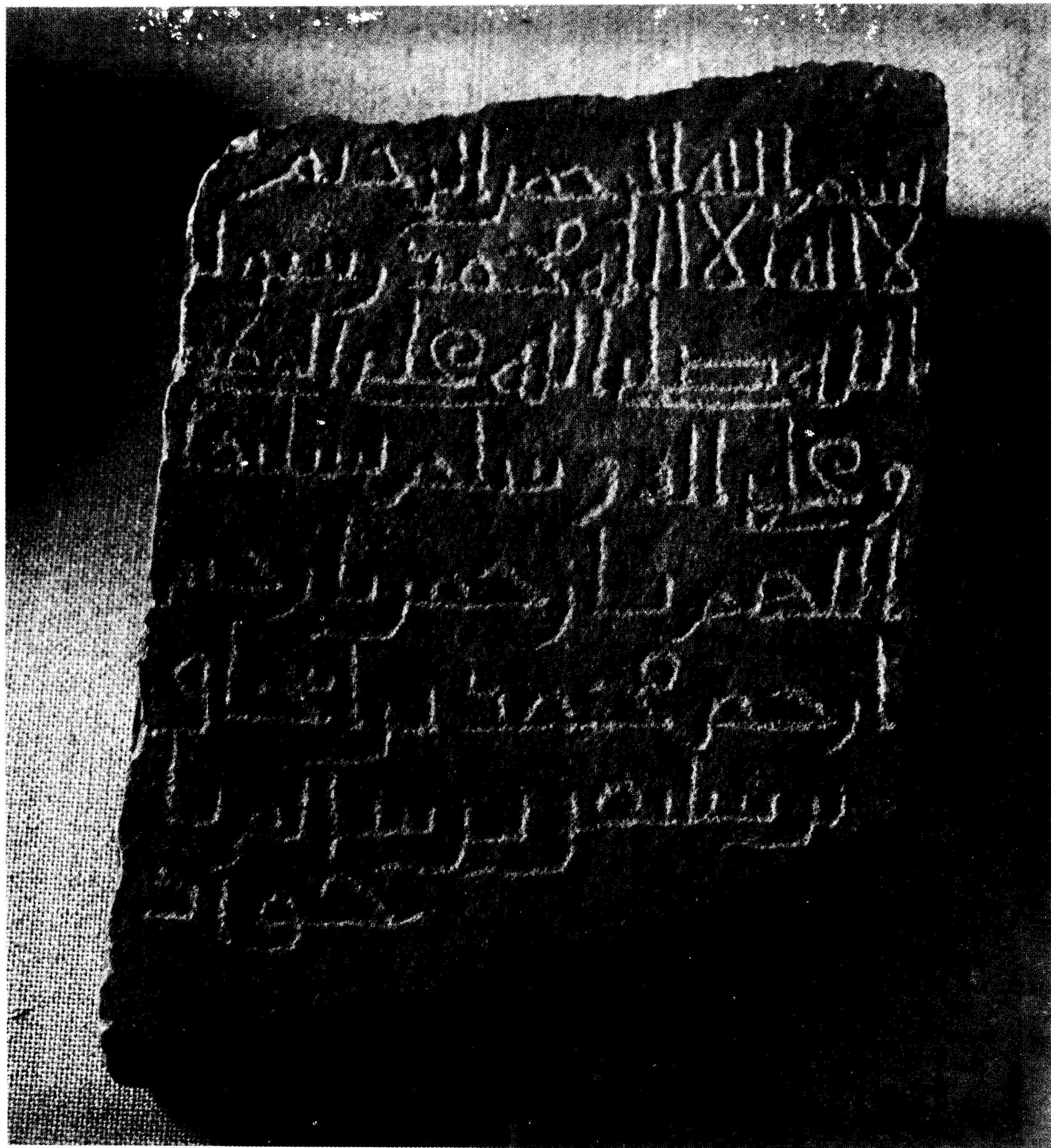
(١٢٤) بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة سجل رقم ٥٣ · *Stèles Funéraires* VI, pl. 37.

(١٢٥) بالمتحف نفسه سجل رقم ٦٧١٧ ·

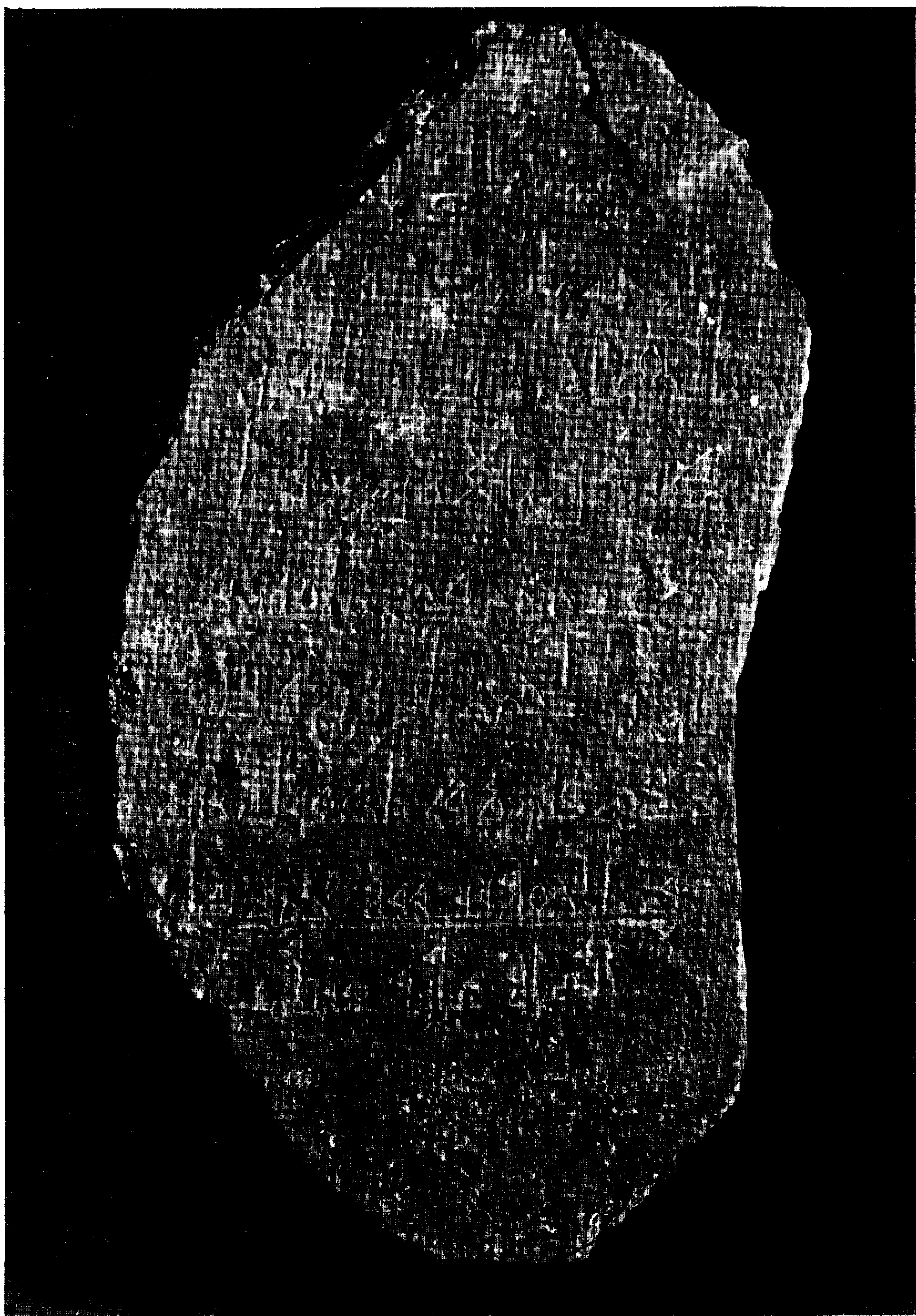
(١٢٦) بالمتحف نفسه ، سجل رقم ١١٧٠١ ·



اللوحة ٢٣ : شاهد قبر من البجادية باسم **يحيى بن سليمن بن معن الزكى** (يخصه الشكل ٣) .

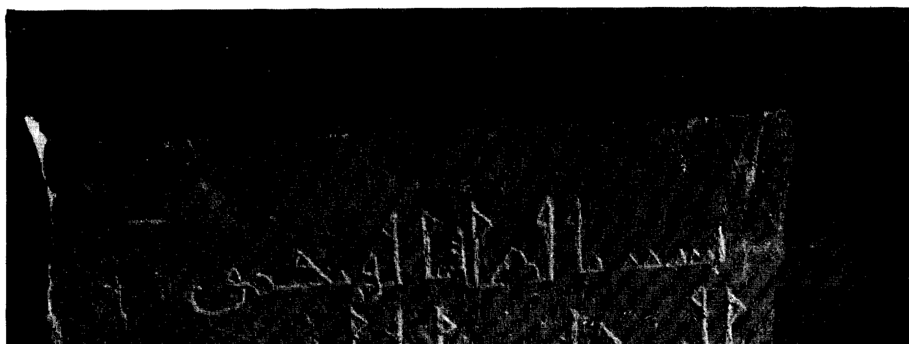


اللوحة ٢٤ : شاهد قبر من بني سليم باسم **محمد بن اسحق بن سليمن بن سالم** (يخصه الشكل ٤)



اللوحة ٢٥ : شاهد قبر من بني سليم باسم **حمدان بن فوزان** (يخصه الشكل ٥) .

أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الاسلامي

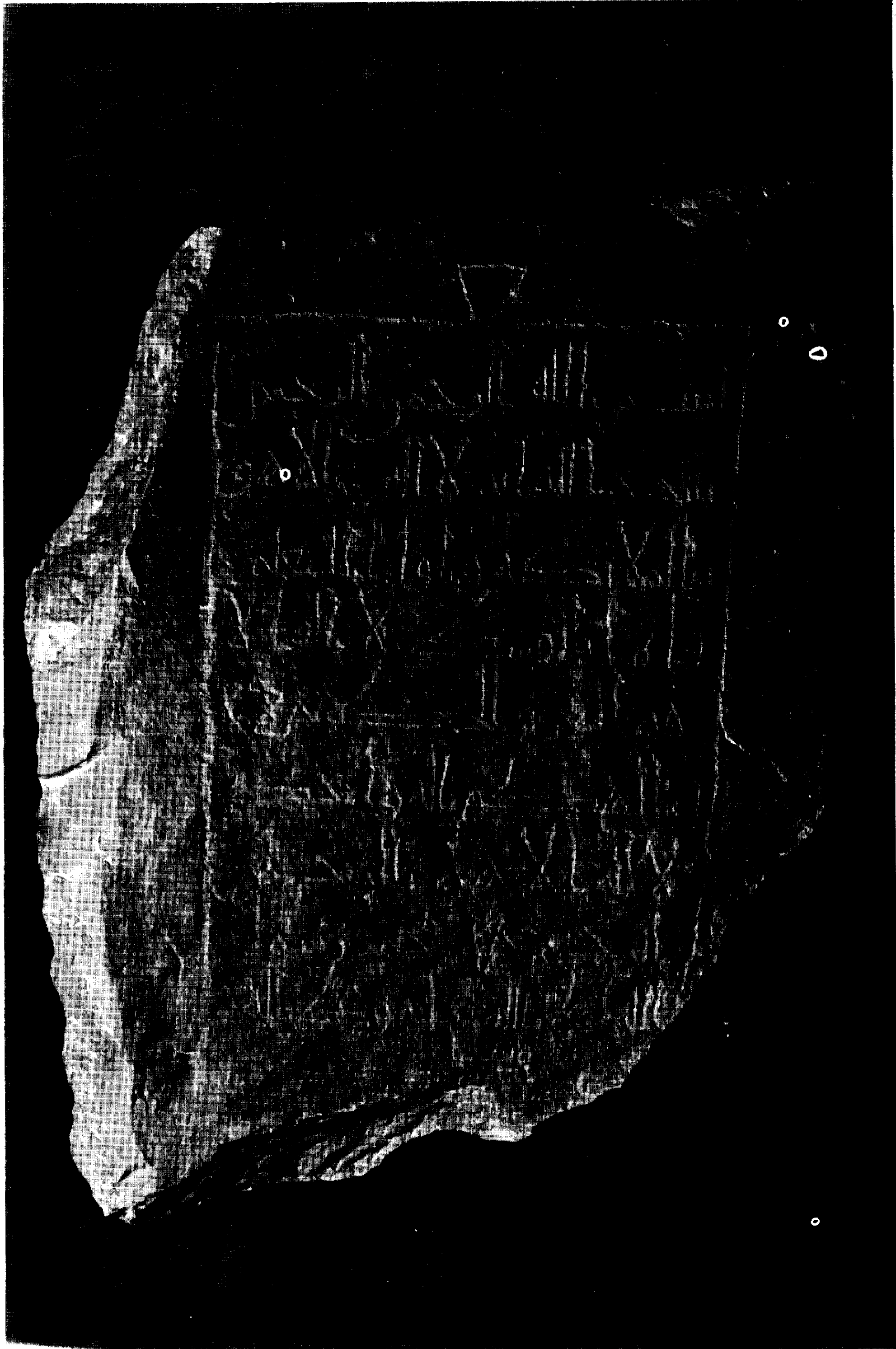




اللوحة ٢٧ : شاهد قبر من بني سليم باسم **احمد بن محمد بن صلح** (يخصه الشكل ٧) .



اللوحة ٢٨ : شاهد قبر من بني سليم باسم **محمد بن سليمن بن داود** (يخصه الشكل ٨) .



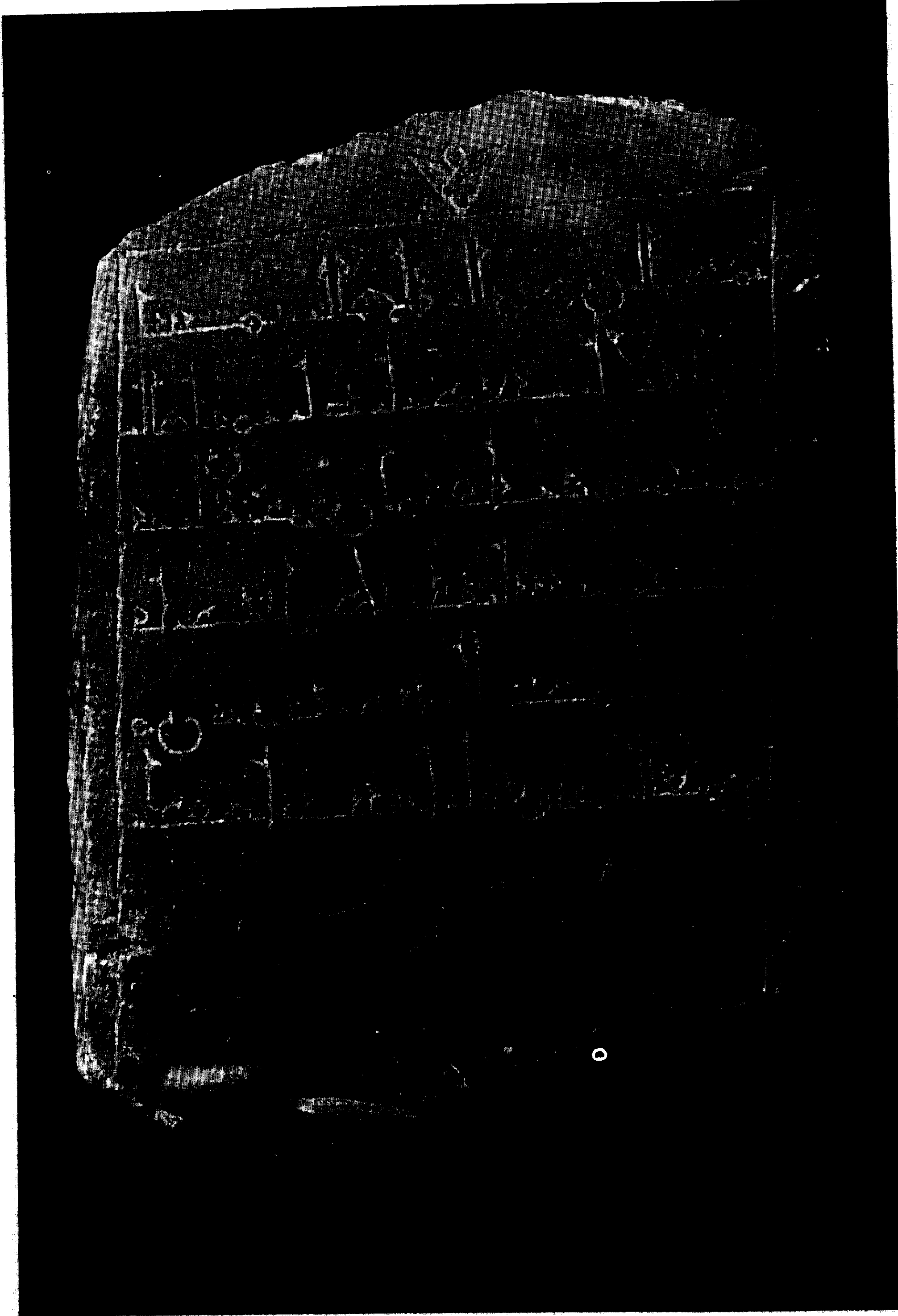
اللوحة ٢٩ : شاهد قبر من بني سليم بدون اسم (يخصه الشكل ٩) .



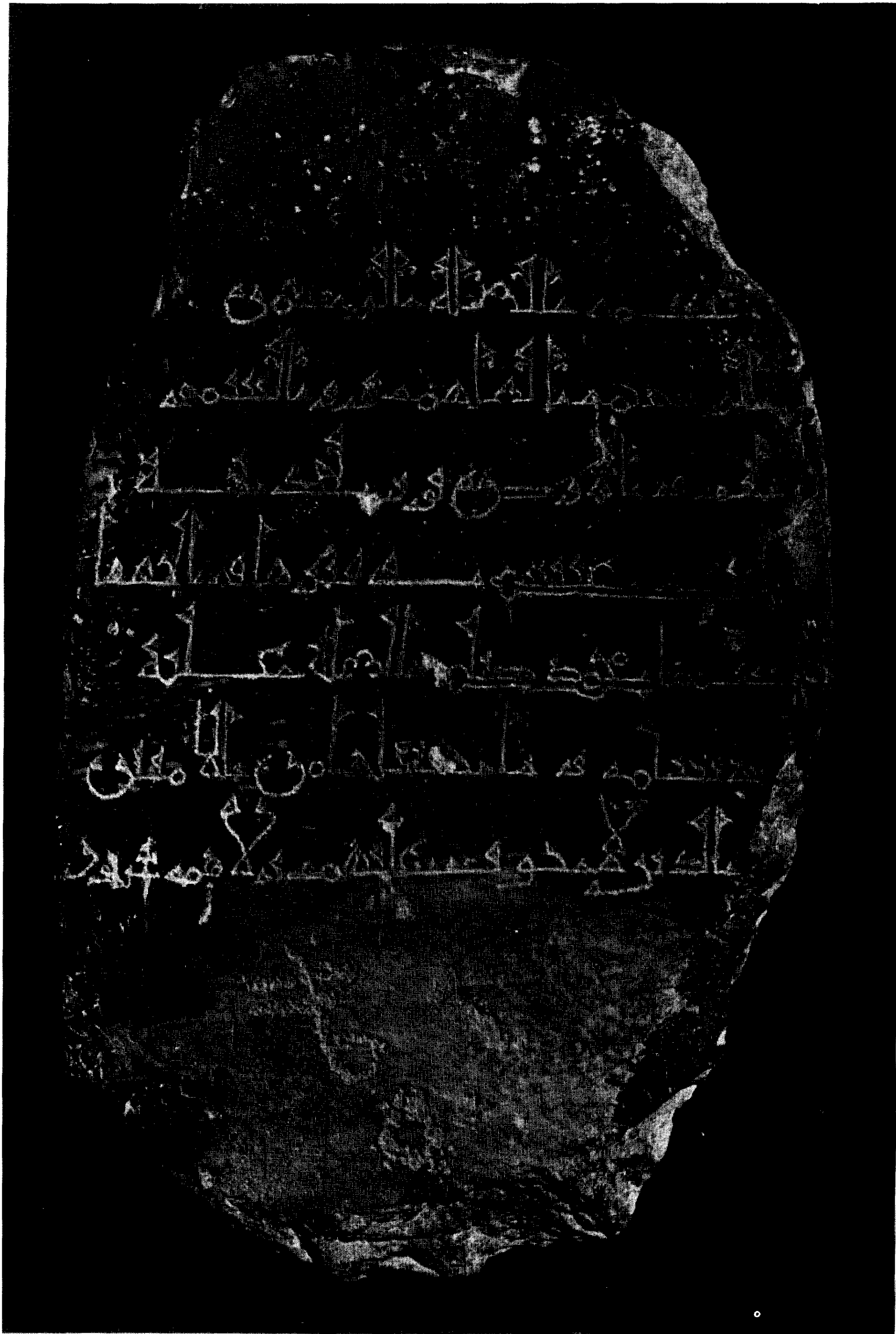
اللوحة ٣٠ : شاهد قبر من بنى سليم باسم **ابراهيم بن سميع** (يخصه الشكل ١٠) ٠



اللوحة ٣١ : شاهد قبر من بني سليم باسم **أم الحسن ابنت احمد بن العلا** (يخصه الشكل ١١) .



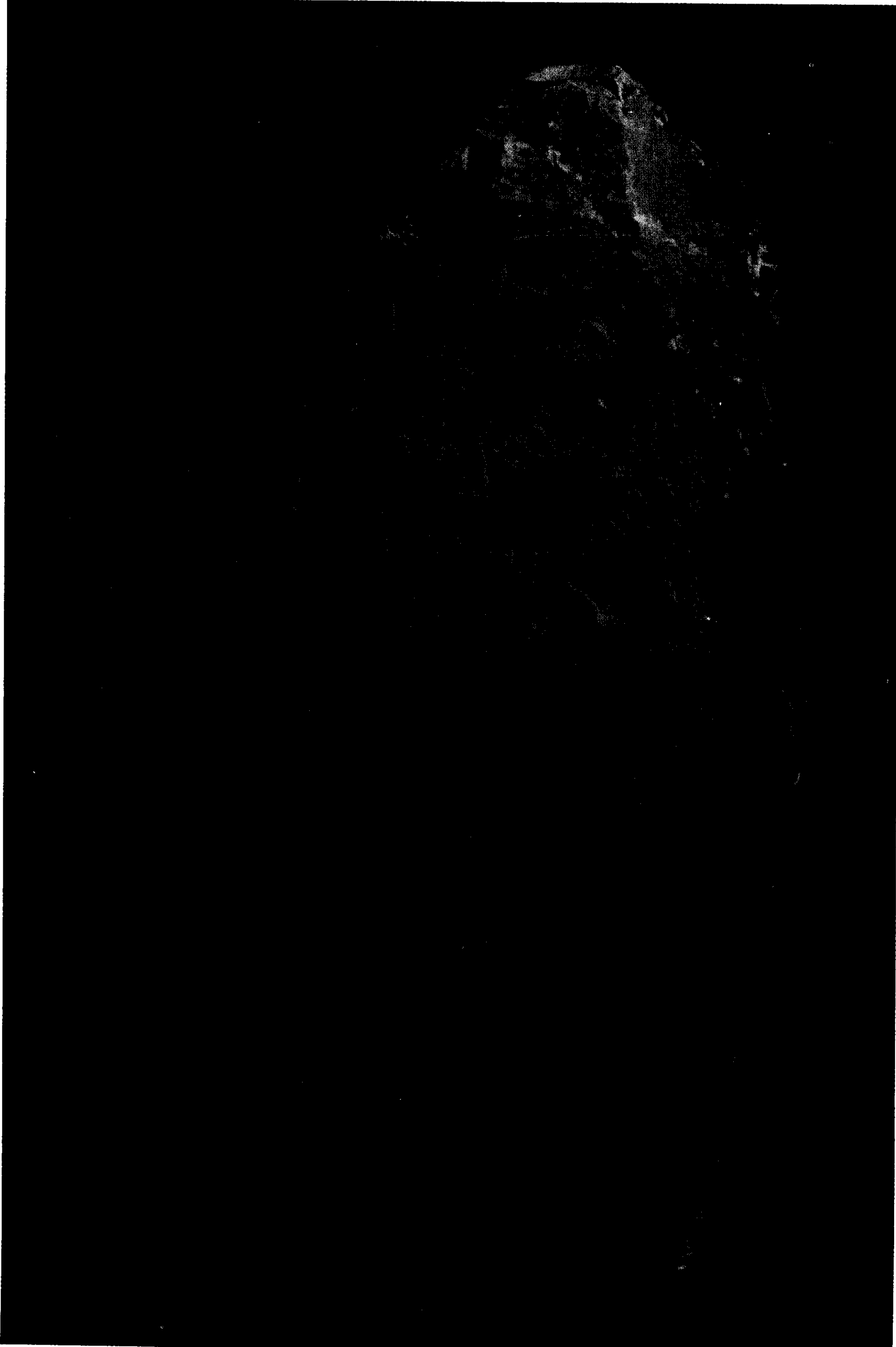
اللوحة ٣٢ : شاهد قبر من بني سليم باسم **خديجة ابنت عيسى** (يخصه الشكل ١٢)



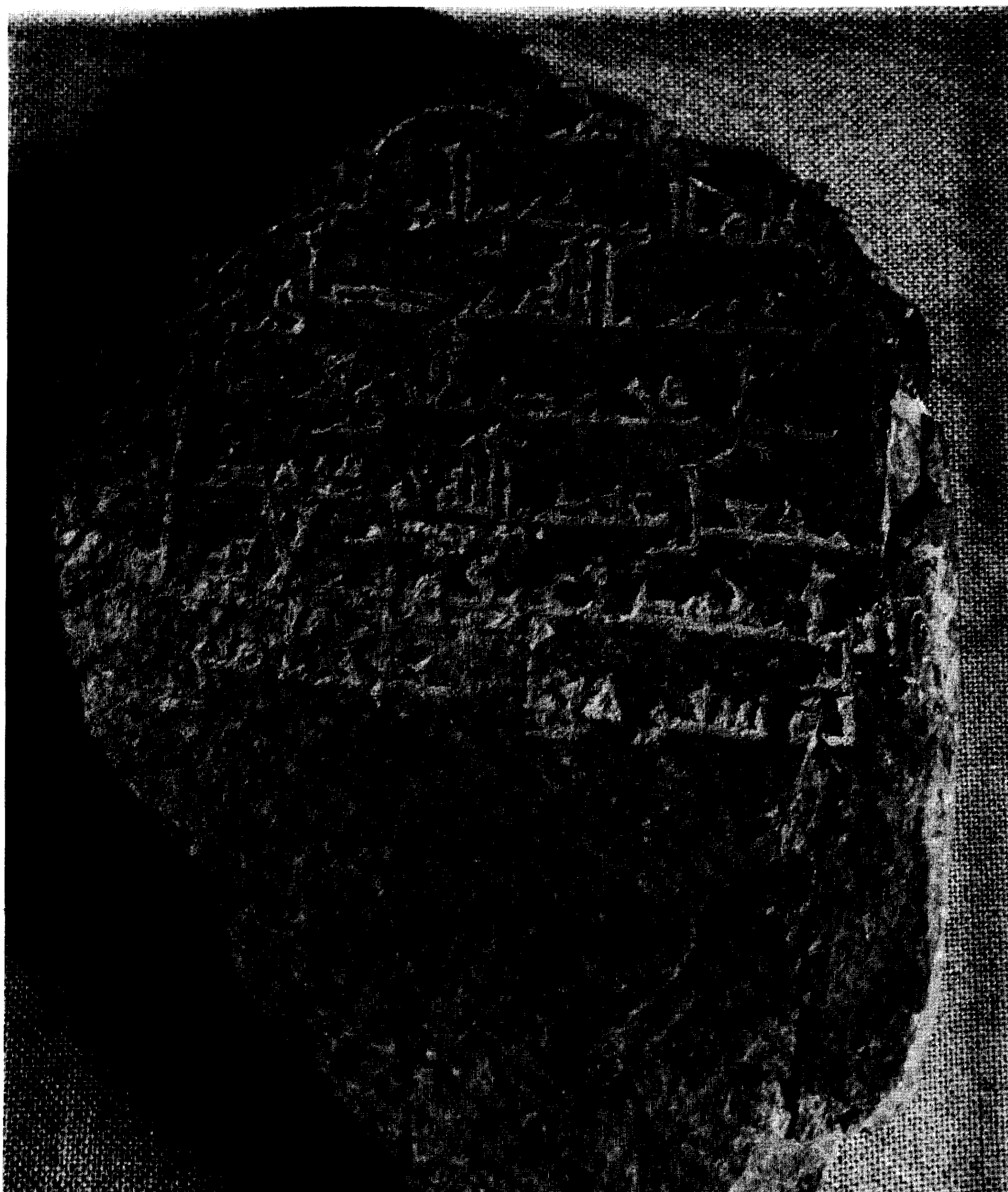
اللوحة ٣٣ : شاهد قبر من بنى سليم باسم **خديجة ابنت عيسى** (يخصه الشكل ١٣) .

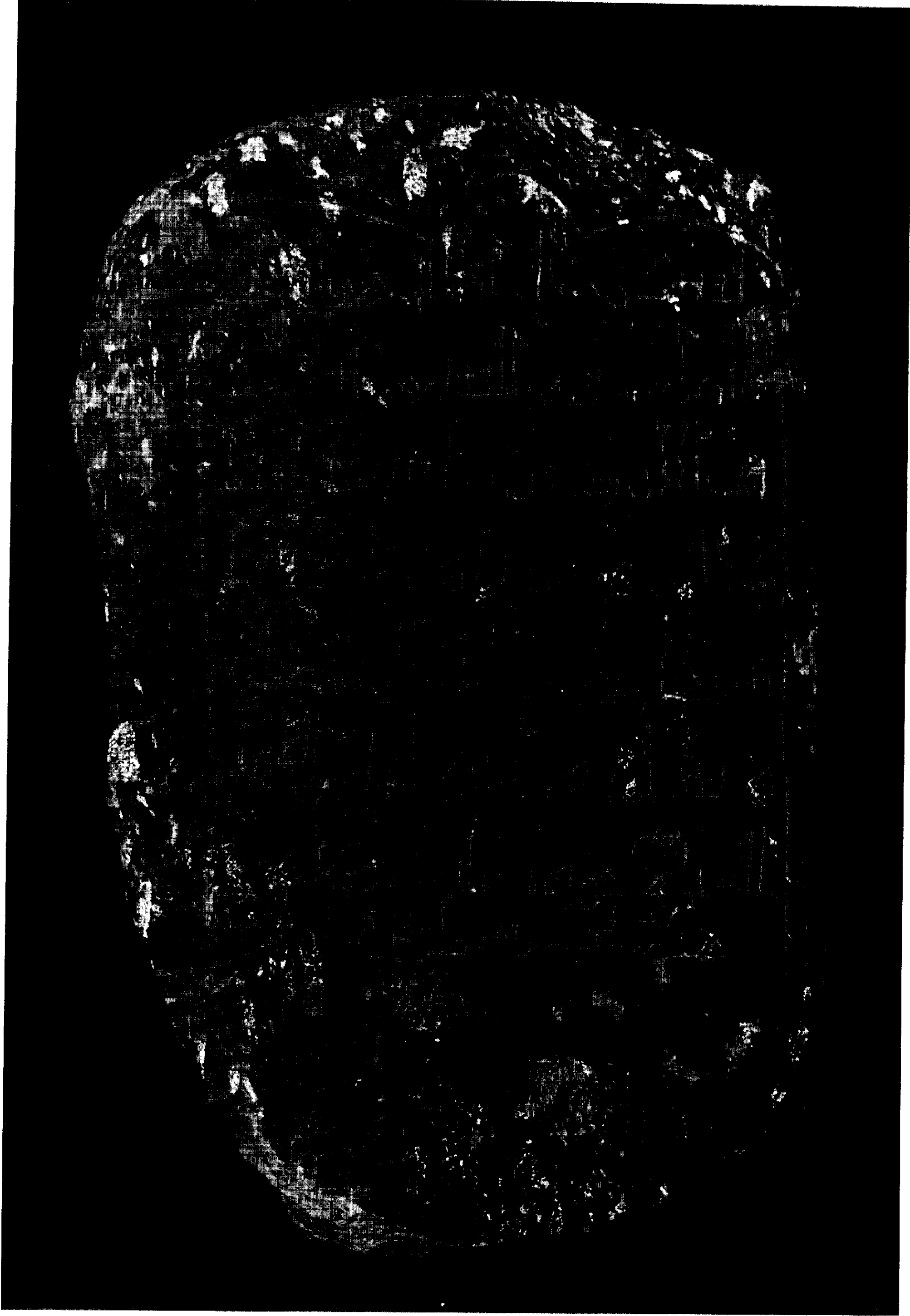


اللوحة ٣٤ : شاهد قبر من بني سليم باسم **اسحاق بن عيسى بن يحيى** (؟) (يخصه الشكل ١٤) .

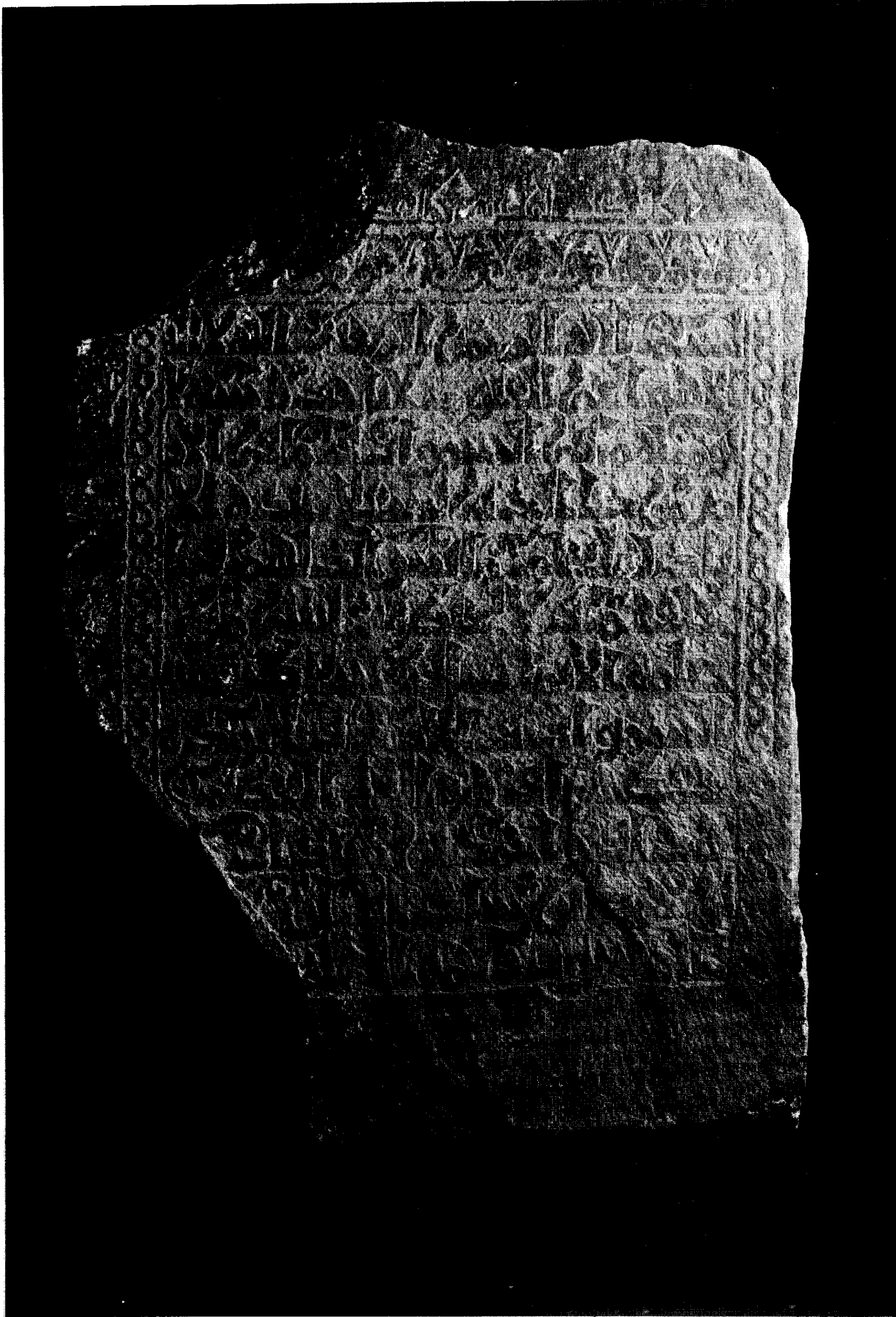


اللوحة ٣٥ : شاهد قبر من بنى سليم باسم **هلبوث بن عمرو بن عيسى** (يخصه الشكل ١٥) .

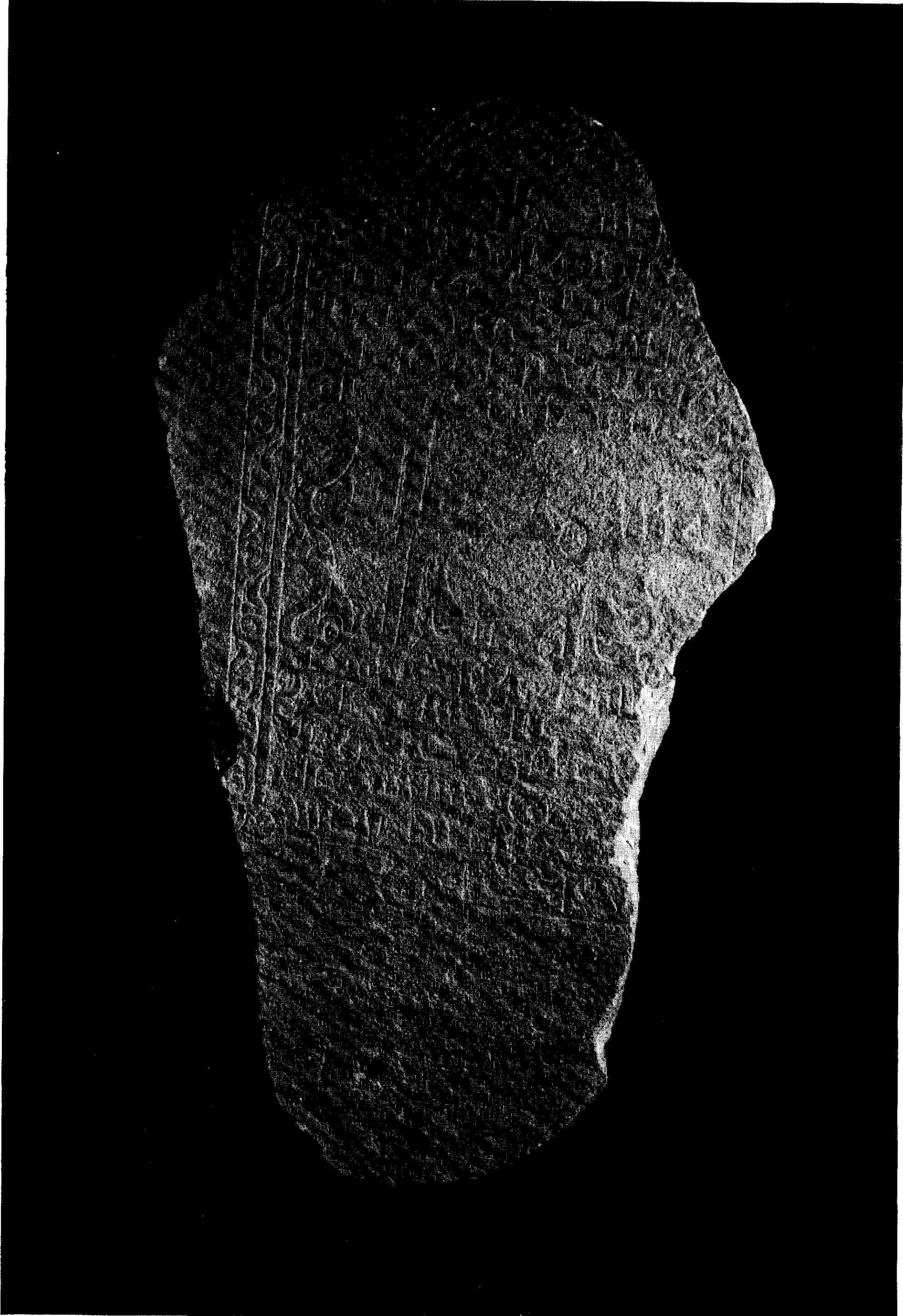




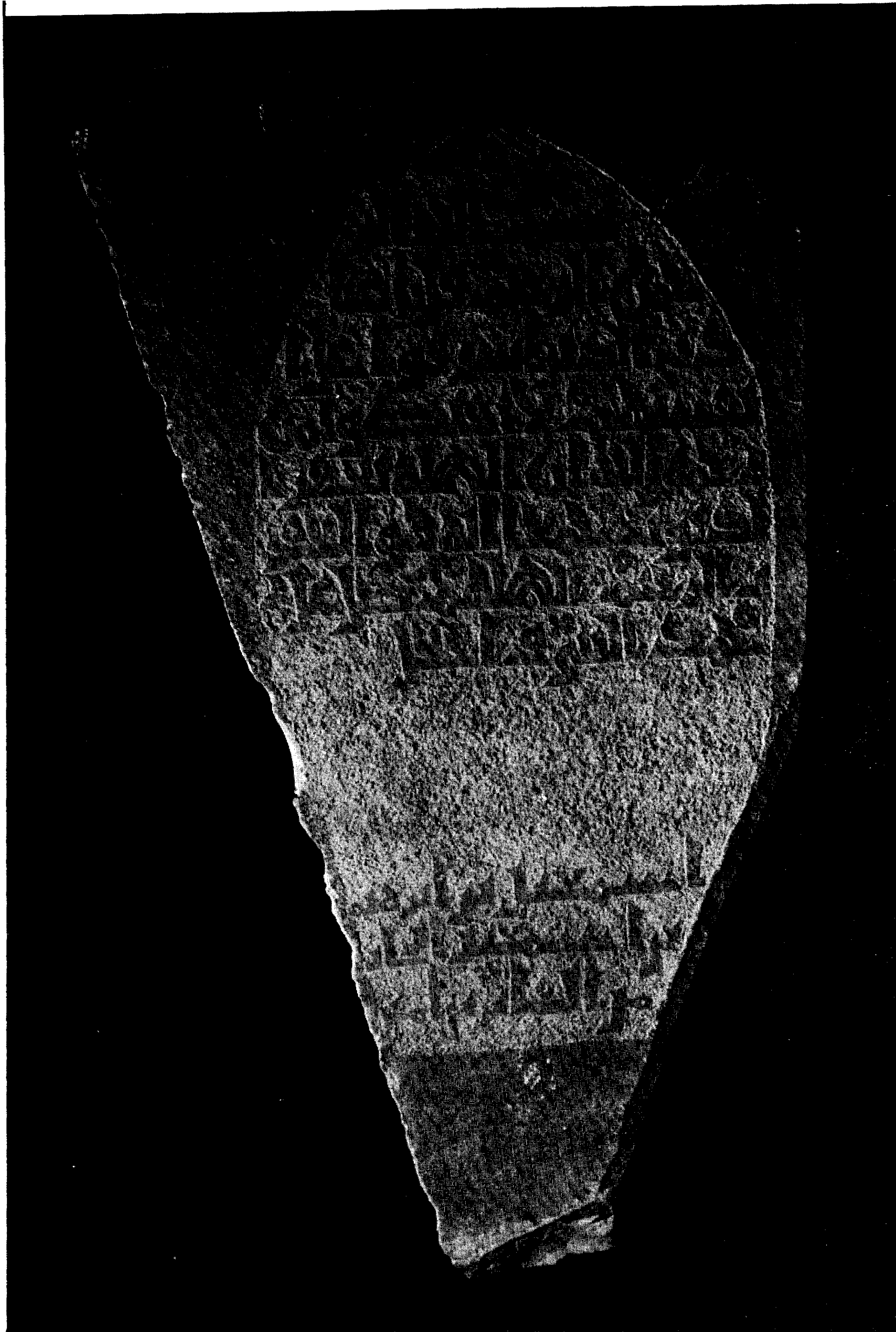
اللوحة ٣٧ : شاهد قبر من بنى سليم باسم **عبسة ابنت هلال** (يخصه الشكل ١٧) ٠



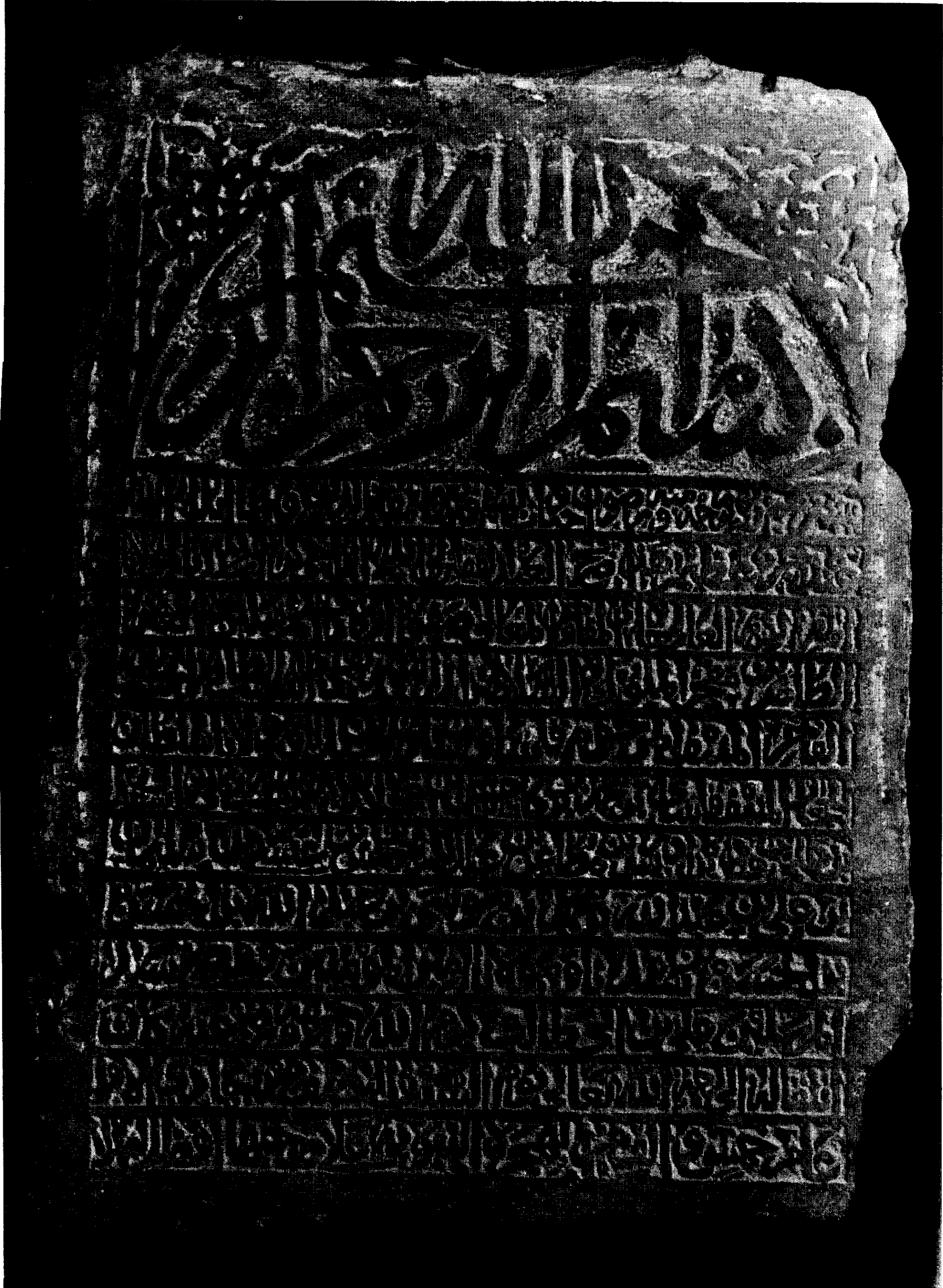
اللوحة ٣٨ . شاهد قبر من بنى سليم باسم **أحمد** بن سندال بن محمد بن سندال بن المشاوب (يخصه الشكل ١٨) .



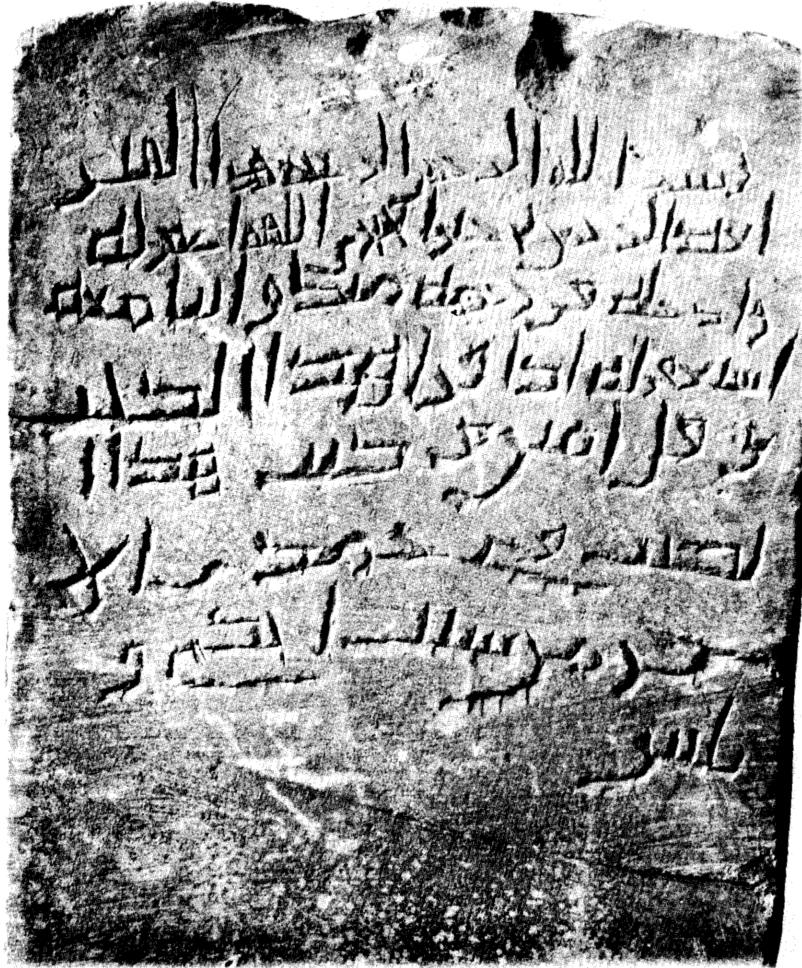
اللوحة ٣٩ : شاهد قبر من بنى سليم باسم **أبو القاسم على بن محمد بن عبد الرحمـن** (يخصه الشكل ١٩) .



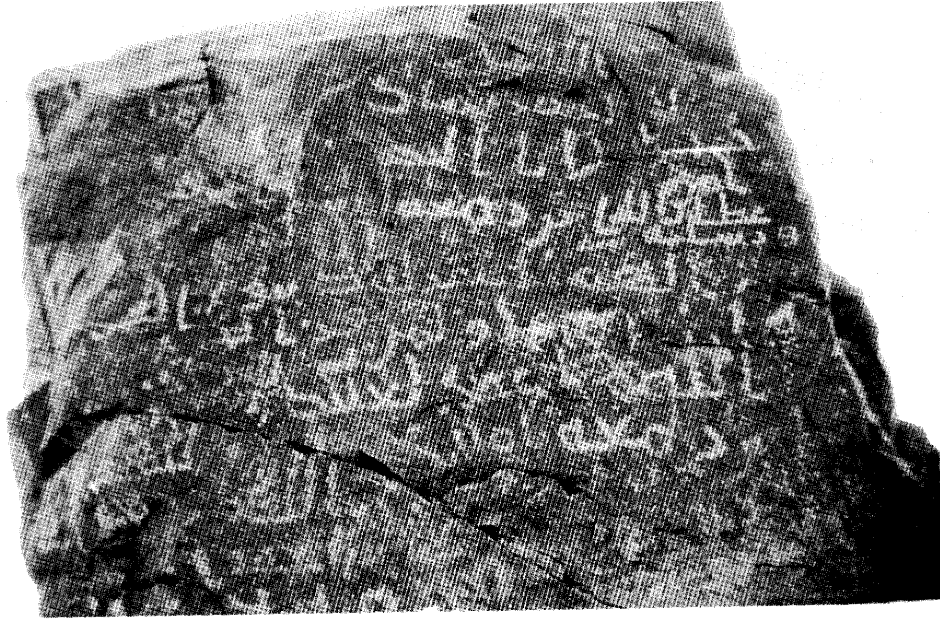
اللوحة ٤٠ : شاهد قبر من بنى سليم باسم **اسمعيل بن ابراهيم الجار** (يخصه الشكل ٢٠)



اللوحة ٤١ : شاهد ضريح من مكة المكرمة باسم **قايتباي بن شرف بن قايتباي بن محمد** ثم قتادة ثم الحسن بن علي بن أبى طالب (يخصه الشكل ٢١) .



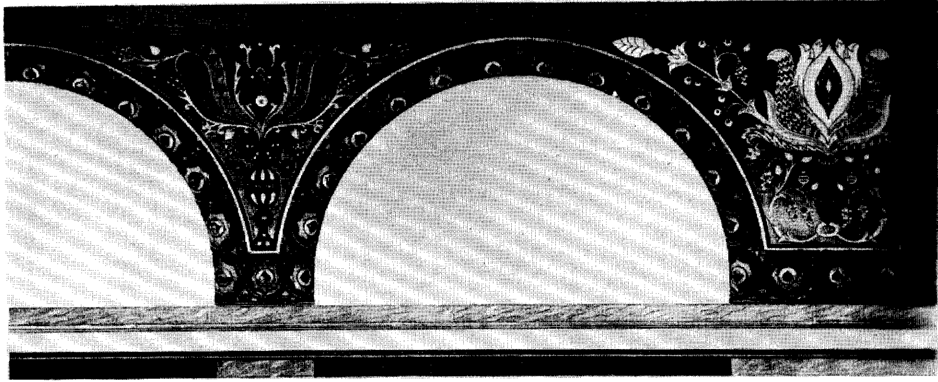
اللوحة ٤٢ : شاهد قبر من مصر لعبد الرحمن بن خير الحجرى . متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ١٥٠٨ ــ ٢٠** . مؤرخ سنة ٣١هـ (٦٥٢م) .



اللوحة ٤٣ : نقش على تل في آبار علي بالمدينة المنورة .



اللوحة ٤٤ : نقش سد العيَّار بالطائف ، باسم معاوية بن أبى سفيان ، المؤرخ سنة ٥٨هـ (٦٧٨م) ٠



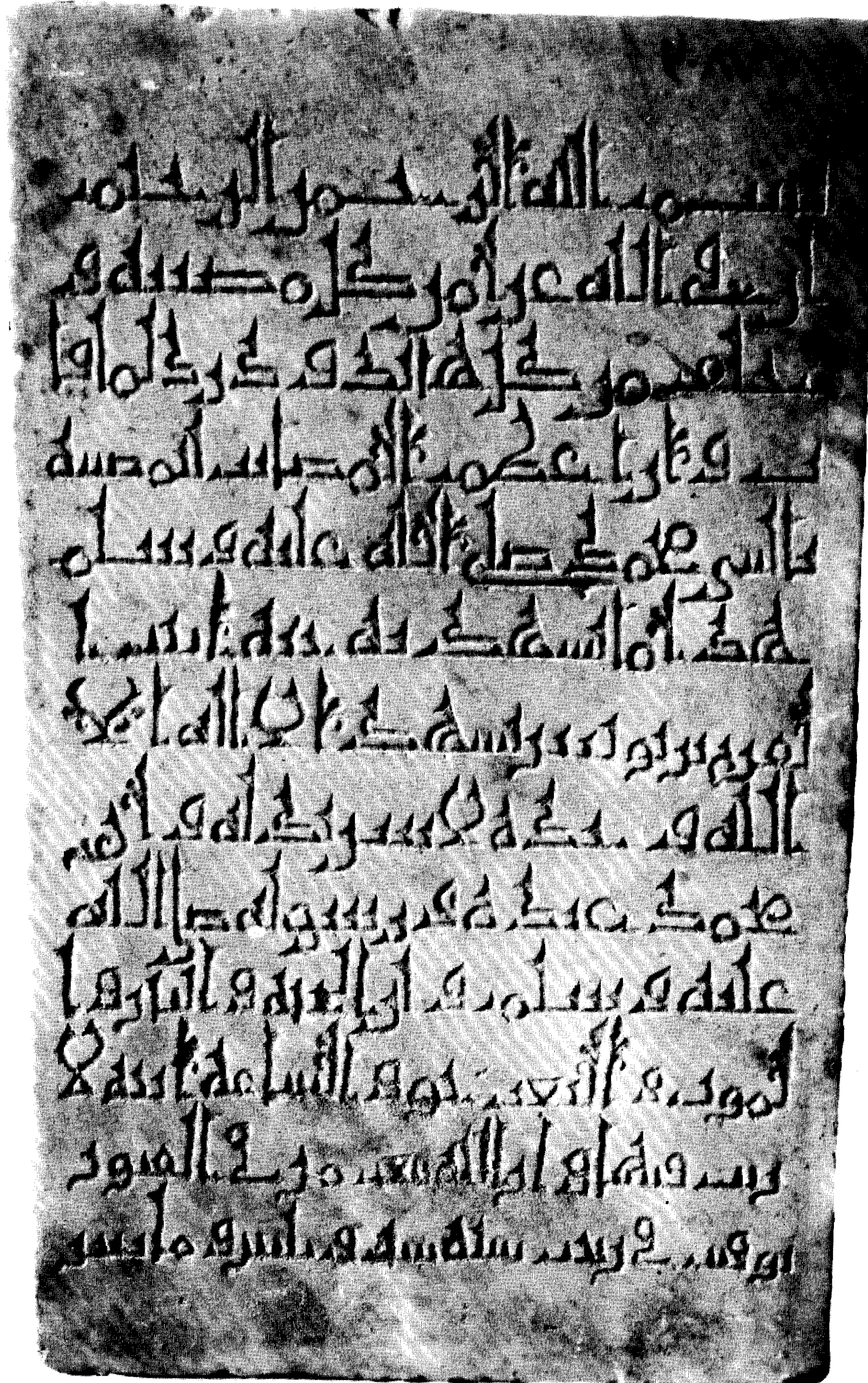
اللوحة ٤٥ : نص تذكاري بالفسيفساء في قبة الصخرة بالقدس ٠ مؤرخ سنة ٧٢هـ (٦٩٠-٦٩١م) ٠



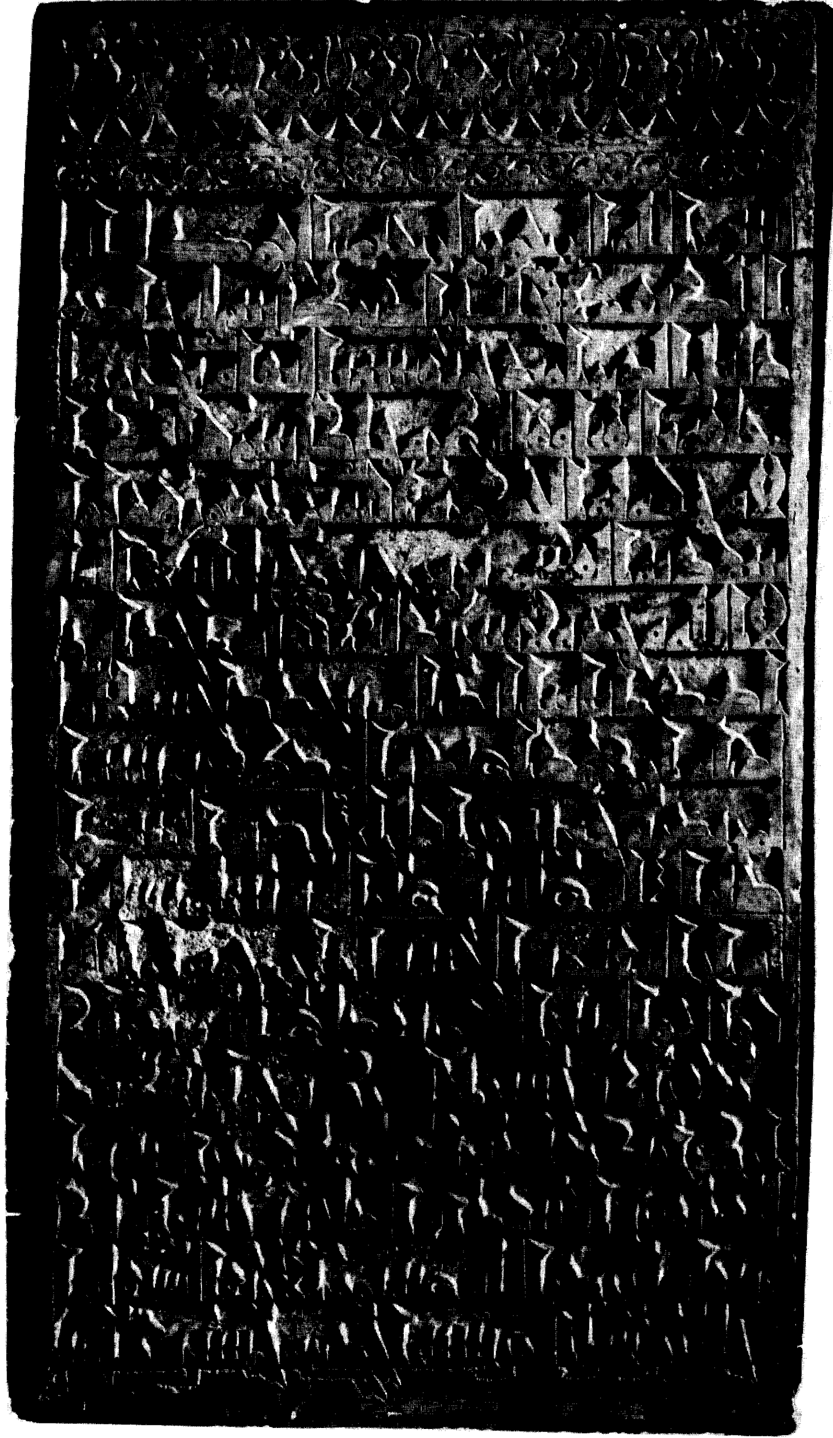
اللوحة ٤٦ : اميال عبد الملك بن مروان ٠



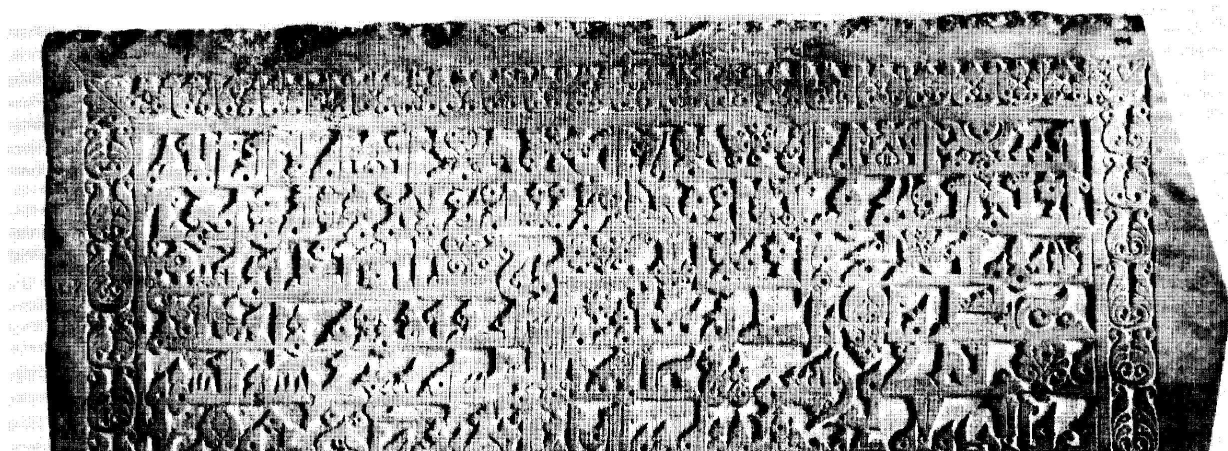
لوحة ٤٨ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٣٥٥هـ (٩٦٧م) ٠ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ١٢٣٤** ٠



اللوحة ٤٩ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠م) متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ٣٠٨٧ .**



اللوحة ٥٠ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٢٥١هـ (٨٦٥م) ٠ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ٣٣٧٧ ٠**

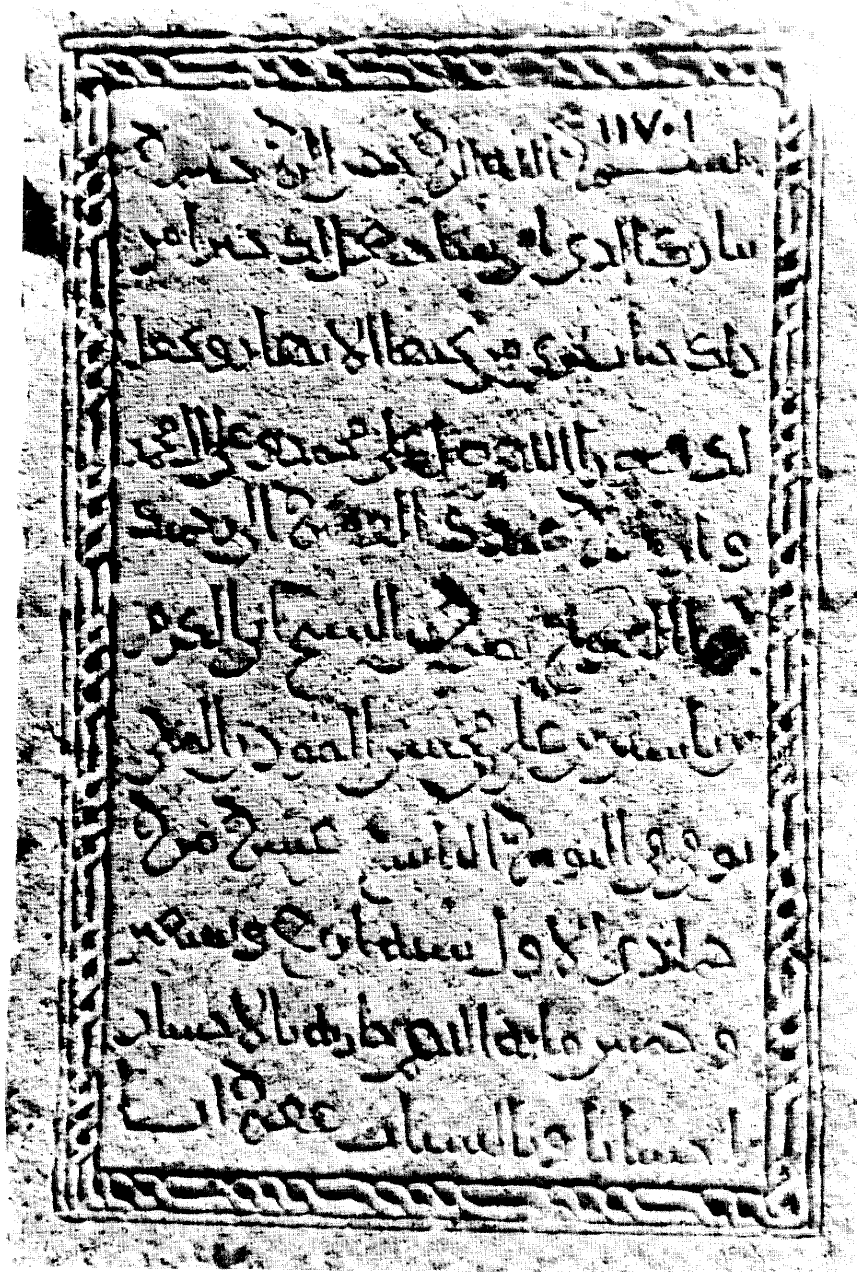




اللوحة ٥٢ : شاهد قبر من مصر مؤرخ بالربع الثاني من القرن السادس الهجرى (الثاني عشر الميلادى)٠
متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ٩٨١٠** ٠



اللوحة ٥٣ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٥٨٤هـ (١١٨٨م) · متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ٦٧١٧** ·



اللوحة ٥٤ : شاهد قبر من مصر مؤرخ سنة ٥٩٤هـ (١١٩٨م) ٠ متحف الفن الاسلامي بالقاهرة ، **سجل رقم ١١٧٠١** ٠

فكثير من المصادر التاريخية التي تعرضت للنقد لكنها ظلت من حيث الحكم التاريخي العام عليها من المصادر المهمة التي لا غنى عنها حتى للناقد نفسه ٠

فمؤلف عبد الرحمن بن ناصر عالج حوادث هامة ، خاصة في القسم الاول وهو القسم الذي نقدّر أهميته٠ فهو يعالج حوادث الحروب في البلاد ، ويسرد اخبارا عن البلدان خاصة بلد المجمعة٠ وفيه سجل لتراجم مشاهير علماء نجد عند ذكر وفياتهم ، وخاصة تراجم علماء بلد المجمعة ، واسماء من تولى القضاء في البلاد ، واسماء الحكام الاداريين في المناطق ٠

وتزداد ثقتنا بحوادث هذا القسم من المخطوط ، عندما نعرف ان القسم الاول من معلوماته كان من املاء الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى ، من مطلع القرن الرابع عشر الهجرى حتى سنة ١٣١٥هـ ٠ والشيخ عبد الله العنقرى من علماء البلاد العارفين لاخبارها ، ويروى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر عن الشيخ العنقرى انه قال له اثناء املائه المعلومات عليه : « انني أميز من ابن عيسى بما حدث في ذلك الوقت وأحفظ منه » (١١)٠ وقد اعترف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ان الشيخ العنقرى هو الذي أملى عليه الحوادث من عام ١٣٠١هـ حتى سنة ١٣١٥هـ ، زمن وفاة محمد بن رشيد ٠ وما بعد ذلك كان المؤلف يدونه من حفظه ثم يقرأه على الشيخ العنقرى٠ فيقول المؤلف عن هذا : «٠٠٠ وانما طريقتي في كتابة التاريخ انني عندما أردت أن أسود التزم لى فضيلة الشيخ العنقرى (رحمه الله) باملائه عليّ من موقف ابن عيسى الى وفاة محمد بن رشيد ٠٠٠ وأملاه عليّ من حفظه (رحمه الله) ٠ واما ما كان بعد وفاة محمد بن رشيد وكان غير خاف عليّ وعلى الشيخ ٠ فكنت أسعى في رقمه وأقرأه على الشيخ واتراود انا واياه فيما يشكل ، فاذا نقحه اثبته ٠٠ » (١٢) ٠ وفي اعتراف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بان القسم الاول من مؤلفه هو من املاء الشيخ العنقري ما يزيد ثقة بمؤلفه ٠ وقال لى أحد المعاصرين ان جماعة ممن كانوا يحضرون قراءة المعلومات ومناقشتها ، قالوا للشيخ العنقرى لماذا لم تدون انت هذه المعلومات فتكون مؤلفها ؟ فأجابهم الشيخ العنقرى : لا ، لان جهد نقلها وتدوينها وجمعها والبحث عنها هو للشيخ عبد الرحمن بن ناصر ٠

وأشير هنا الى انني وجدت أثناء قراءتي في المخطوط ما يتعلق بموضوع الهجر في عهد الملك عبدالعزيز ، قضية هامة تحتاج الى دراسة واستقصاء وتفتح بابا واسعا امام رواد الدراسات التاريخية الميدانية التي تحتاج الى سماع الاخبار من الرواة المعاصرين ، والقضية تدور حول فكرة تأسيس أول هجرة من هذه الهجر ٠ فيقول صاحب المخطوط :

« قدم بلد حرمة جماعة من حرب ومطير راغبين في الدين مختارين الحضارة وتعلم اصول الاسلام وشرائعه ٠ ومن أعيانهم : سعد بن مثيب واخوه راضى ، وصالح بن فايز الحربي وجلوى الاشقر وعياله ومحمد بن فهيد وجماعة من مطير وغيرهم ٠ ثم لم يزل يزيدون الى ما مالوا اليه من محبة الدين والخير وساعدهم على ذلك جماعة من طلبة العلم من الحاضرة حتى بلغوا نحوا من خمسين رجلا ، **ثم حصل بينهم وبين اهل حرمة مخالفات أوجبت انهم يختطون الماء المعروف بالارطاوية وتكون وطنا لهم ٠ فاختطوها وبنوا فيها قصرا واقاموا فيها جمعة ٠ ثم انتشرت دعوتهم في البادية ، وصار لهم ذكر عند القبائل، فصاروا يهاجرون اليها من كل أوب٠** والامام ـ ايده الله ـ لم يزل يحثهم على الاستقامة ويساعدهم بما يحتاجون من المعلمين وبناء المساجد والمصاحف والكتب والاطعمة وغير ذلك ٠٠٠ » (١٣) ٠

رابعا : رواية فلبى عن مخطوط « السعد والمجد »

يقول فيلبي ان بعض موضوعات مخطوط **السعد والمجد** هي الجزء المتبقى من كتاب الشيخ ابراهيم بن عيسى المسمى **عقد الدرر** ٠ فيقول فلبى ما نصه : « ان الجزء الثاني المفقود من كتاب **عقد الدرر** هو منصب على أحلك

أيام التاريخ الوهابي وظاهر ان هذا الجزء الاخير صودر في احد العهود المشرقة ، بقصد سدل الستار على فترة من التاريخ موصومة بالعار ، ومشحونة بالمصائب . **وظاهر ايضا ان الجزء الثاني ظل سليما ، باعتباره مسودة احد الموضوعات الاخرى المسمى « السعد والمجد » الذي قام بجمعه وتنسيقه عبدالرحمن بن ناصر ، وذلك بالشطب على الفقرات غير المستحبة واستبدالها بتصحيحات على الهامش** . ولحسن الحظ فانه بالرجوع الى المخطوط الذي كان من نصيبي والذي تسلمته من الامير مساعد بن عبد الرحمن ، وجدت أن جميع الفقرات المشطوبة ظاهرة وفي الامكان قراءتها بسهولة ، وعلى ذلك فالمخطوط يعتبر مرجعا موثوقا للتاريخ ...» (١٤).

نستخلص من رواية فلبى الامور التالية :

أ ـ يقول بوجود قسم ثان لكتاب **عقد الدرر**

ب ـ ان القسم الثاني لكتاب « **عقد الدرر** » صودر لانه يدون التاريخ الموصوم بالعار بالنسبة للتاريخ الوهابي (فترة الشقاق بين ابناء الامام فيصل بن تركي وما تلاها) .

جـ ـ ظل هذا القسم سليما لانه ظل مسودة لاحد موضوعات مخطوط « **السعد والمجد** » الذي جمعه ونسقه عبد الرحمن بن ناصر بعد ان شطب على الجمل غير المستحبة واستبدلها بتصحيحات على الهوامش .

د ـ ان مخطوط **السعد والمجد** مؤلف تاريخي موثوق به .

وأحاول هنا أن اناقش بنود رواية فلبى معتمدا على المنطق في سير الحوادث ، مضافا اليه حصيلة استشارة اصحاب الرأي من المهتمين بهذا المجال . فان استطعت الوصول الى الحقيقة فهذا هو هدفي ، والا ظل الامر لا يعدو كونه محاولة من محاولات فتح الباب امام دراسات لاحقة ارجو لاصحابها حظا أوسع في النجاح .

مناقشة رواية فلبى

ان المتتبع لحياة المؤرخ ابراهيم بن عيسى العلمية لا يراوده ادنى شك في أن المؤرخ كان قد ترك كتابات وتعليقات وحواشى بعد وفاته في مدينة عنيزة في ٢٣ شوال ١٣٤٣هـ . وهذا تؤيده الوقائع حيث ان المؤرخ ظل ينشر العلم ويجمع كل ما يستطيع من اخبار بلاده حتى ايامه الاخيرة بالرغم من تأثير الشيخوخة عليه .

وتأسيسا على هذا فان هناك كتابات تاريخية لابن عيسى جاءت مكملة لمؤلفه **عقد الدرر** الذي ينتهي بحوادث ١٣٠٢هـ حسب الكتاب المطبوع والمتداول بين ايدي المؤرخين وغيرهم ، او ينتهي بحوادث عام ١٣١٥هـ حسب المخطوط غير المنشور الذي اشار اليه الشيخ عبدالله البسام في رسالة وجهها الى الاستاذ حمد الجاسر الذي نشرها في مجلة **العرب** ، عدد ربيع الثاني ١٣٩١هـ فيقول الشيخ البسام : « ... وافيد الاستاذ حمد الجاسر انني كنت قد اطلعت على نسخة من تاريخ الشيخ ابن عيسى بقلم يده متفقة مع المطبوعة الا في ألفاظ يسيرة لكنها تمتاز عليها بثلاثة اشياء :

١ ـ انها تزيد عليها بذكر بعض الحوادث والقصائد في اثناء تلك المدة المؤرخة .

٢ ـ لم يوجد في المطبوعة اخبار من عام ١٢٩٤ ـ ١٢٩٨هـ ، أما النسخة التي اطلعت عليها ففي كل هذه السنين حوادث وأخبار .

٣ ـ تنتهي المطبوعة بنهاية عام ١٣٠٢هـ ، وتمتد التي اطلعت عليها الى ١٣١٥هـ .

وروى الاستاذ حمد الجاسر ان بعض الباحثين قالوا له بان المؤرخ ابن عيسى كان قد ترك كتبا بعد وفاته من بينها تاريخ مطول من تأليفه كانت في حوزة احد أهل تلك المدينة وكان بها ضنينا (١٥) .

ومع أننا نسلم بوجود كتابات للمؤرخ ابن عيسى ، ومع انه لا يوجد الى الان أي دليل مادي بين ايدينا يؤكد وجود تكملة لكتاب **عقد الدرر** ، الا ان المنطق لا يجعلنا نميل الى قبول ما ادعاه فلبي من ان هذه التكملة لكتاب ابن عيسى هي احد موضوعات مسودة مخطوط **السعد والمجد** ، وذلك للاسباب التالية :

١ ـ لان الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام الذي اطلع على مخطوط ابن عيسى غير المنشور لم يؤيد رواية فلبى في ان هذا الجزء المفقود صودر لانه يسجل حوادث الحكم الوهابي الموصوم بالعار فيقول في هذا : « ٠٠٠ والتاريخ الموصوف بالظلام والمشحون بالمصائب هو تاريخ الشقاق بين ابناء الامام فيصل وهو الذي أرخه ابن عيسى، فانه لم ينته من كتابة تاريخه الا حين وقف النزاع بينهم بموت بعضهم وضعف امر الباقين ٠ اما التاريخ (المظنون) فان كان يوجد ، فهو تاريخ لحكم آل رشيد وصراعهم مع اهل القصيم وآل صباح ، ولن يجد ما يقوله عن السعوديين حتى بداية تاريخهم الحديث بقيام جلاله الملك عبد العزيز ، فما الذي يحمل ابن عيسى على اخفائه اذن ؟» ونحن نتفق مع فلبى في ان ابن عيسى قد اخفى تكملة تاريخه ، الا اننا نختلف معه في تعليل اخفائه ، لانه من المتوقع ان السبب في اخفائه هي انها سجل تاريخي لحكم آل رشيد ٠

٢ ـ كيف يروى فلبي رواية مبنية على الظن ؟ فهو لم ير القسم المفقود ، والا لتغير ظنه الى يقين ٠ ثم كيف وصل الجزء المفقود الى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر مع العلم بان الجميع ما زال يشك ويتردد في الحكم على وجود هذا الجزء او عدمه ٠٠٠؟

وهنا لا بد ان نكون دقيقين في التحليل والاستنتاج ، ووضع الكثير من علامات الاستفهام ٠ اذ ليس ببعيد ان يكون الشيخ عبد الله بن محمد البسام قد عثر على مؤلفات ابن عيسى واستخدمها في كتابة تاريخه المخطوط **تحفة المشتاق من اخبار نجد والحجاز والعراق** ، الا اننا لا نجد الى الان برهانا ماديا وملموسا لهذا الافتراض ، واعني افتراض وجود مؤلف ثان **لعقد الدرر** والذي اشار اليه فلبي بانه احد موضوعات مخطوط **السعد والمجد**٠ وهنا نحن لا نبرىء المؤرخ عبد الله بن محمد البسام وانه لم ينقل مما كتبه ابن عيسى ، بل على العكس تماما فقد نقل عنه اشياء كثيرة دون ان يشير الى هذه الكتابات على انها من بين مصادر كتابه (١٦) ٠ وهذا ايضا ما اكده لي احد المعنيين بهذا الموضوع ٠

ونلاحظ ان رواية فلبي عن مصادرة هذا الجزء لم تكن صائبة وسليمة ٠ وفي اعتقادى ، ان غياب المؤلفات الاخرى لابن عيسى يعود الى عدة احتمالات :

فربما وقعت بايدي اناس بخلوا بها على المؤرخين والباحثين ، كان قصدهم من ذلك الافادة منها في المستقبل ٠ او ربما انها اهملت لعدم معرفة قيمتها العلمية ٠ او ربما يعود ذلك الى فكرة الخوف والتحفظ التي تسيطر على عقلية اولئك النفر من الناس ٠ وفي اعتقادي ان كشف هذه المؤلفات لا يعني بالضرورة تحمل كاشفها مسئولية ما فيها من معلومات ، لان تبعة ذلك تعود على المؤلف ٠

واذا اخذنا بعين الاعتبار رأي المؤلف عبد الرحمن بن ناصر في هذه القضية فانه ينفي صحة الرواية ويدافع عن مؤلفه فيقول : « واحب بهذه المناسبة ان احيطكم علما وأبين لكم الحقيقة ان ما ذكره عبد الله فلبي غير صحيح اذ انه مجرد ظن (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) ، ولم يسبق لى ان اطلعت على الجزء المفقود من التاريخ المذكور » (١٧) ٠ وهذا ما اكده لى الشيخ حمد الحقيل ، في مقابلة معه ، فقال : « كان المؤلف يخرج مع الشيخ العنقري وطلبته بين بساتين النخيل بعد صلاة العصر ، فيقرأ المؤلف على الشيخ ما كتبه قبلا فينقحه ثم يثبته » ٠

وقد اشار المؤلف في مخطوطه الى أن الشيخ عبدالله بن عبد العزيز العنقرى كان قد اشار عليه ان يضع هذا المؤلف فيقول : « ٠٠٠ فحينئذ اشار الى الحقير الفقير من اشارته محمولة على الراس ، واجابتي لاشارته واجبة بلا شك ولا التباس ، شيخنا عبد الله بن عبد العزيز العنقرى ــ فسح الله في اجله وبارك في صالح عمله ــ أن اضع كتابا يتضمن ذكر ما وقع في اول القرن الرابع عشر مــن الحوادث والوقائــع وملوك الاوطــان ووفيات الاعيان ، وغير ذلك الى وقتنا هذا ٠ فأجبته طائعا ولبيته مسارعا ٠٠٠ » (١٨) ٠

وقد اثبت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر قوله هذا حين يقول ان الشيخ العنقرى قال له بانه (اي الشيخ العنقرى) اميز من ابن عيسى بما حدث في ذلك الوقت واحفظ منه (١٩) ٠ وهذه العبارة نستدل منها على ان الشيخ العنقرى والمؤلف يعرفان ان لابن عيسى تاريخا لهذه الفترة ، الا انهما ارادا ان يسجلا الاحداث بشكل واسلوب يختلف عن ابن عيسى ٠ وكان المؤلف قد اعتمد على الشيخ العنقرى في كتابة الجزء المهم من مؤلفه من سنة ١٣٠١هـ حتى ١٣١٥هـ ٠ وفي هذا كله دحض لرواية فلبى ٠

ثم ان ما ادعاه فلبى من ان المؤلف شطب على العبارات غير المستحسنــة ، واستبدلهــا بتصحيحــات على الهوامش ، كان ادعاء غير صحيح ، لانني راجعت معظم الشطب فوجدته لا ينطبق على ما ادعاه فلبي ، وهذا ما سأوضحه فيما بعد ، ان شاء الله تعالى ٠ وهذا يعطينا فكرة واضحة على ان رواية فلبي كانت رومانتيكية وفيها تحامل واضح ، خاصة عندما وجدت ان المؤلف يحذف حادثة في سنة ثم يثبتها في سنة اخرى ٠ وهذا خير ما يثبت ان كلام فلبى عن المخطوط غير صحيح ٠

خامسا ــ مناقشة قضية الشطب والتعديل :

يقول فلبى ان الشيخ عبد الرحمن شطب واستبدل العبارات غير المستحسنة في الجزء المفقود ، وظل هذ الجزء سليما لان الكلام المشطوب ظل مقروءا وفي الامكان معرفته بشكل واضح ٠

وللتحقق من صحة هذا الادعاء او عدمه كان لا بد ان استقصى العبارات المشطوبة والزيادات والاستبدالات التي جاءت في الهوامش ، خاصة في القسم المهم من المخطوط وهذا ما يعنيه فلبى ٠

بعد ان استقصيت امر الشطب وتتبعت العبارات المشطوبة والاخرى المستبدلة ، لاحظت الامور التالية:

١ ــ ان معظم العبارات المشطوبة كانت لغرض المراجعة والتصحيح ، وليس كما اشار فلبى الى انها جمل غير مستحبة أو غير مستحسنة ٠

٢ ــ كان المؤلف احيانا يشطب حادثة كاملة في ورقة ما ، الا انه كان يثبتها في ورقة اخرى ، وهذا يدل على ان المؤلف كان يدخل حوادث سنة ما في سنة اخرى ٠ فعند المراجعة يتضح له الخطأ ، وربما يكون ذلك بعد قراءة المعلومات على الشيخ العنقرى فيكتشف الخطأ فيثبته في السنة التي وقع فيها ٠

٣ ــ نلاحظ ان المؤلف كان يستخدم دائما كلمة « صح » عند اي تعديــل او استبدال ، وهــذا يدل على مراجعة علمية للمخطوط وليس شطبا ، كما يدعى فلبى٠

٤ ــ نلاحظ الكثير من الزيادات والتعديلات والحواشى على هوامش الاوراق ، وهي ما يرى المؤلف ضرورة اثباتها ٠

٥ ــ ان كل ما حدث من استبدال وزيادة وتعليق كان عبارة عن معلومات تكمل بعضها بعضا ٠

٦ ــ نلاحظ ان المؤلف يكثر من عبارات المدح والاطناب ، ثم بعد ذلك يعود فيشطب على كثير منها ٠ وهذا يخالف ما ادعاه فلبى بأن الشطب كان للعبارات غير المستحبة او لمدلولات سياسية غير مستحسنة ٠

٧ ـ نلاحظ أن معظم أوراق المخطوط كان قد تناولها الشطب والتعديل ، وهذا اثبات اخر يدحض رأي فلبي ، لان فلبي اشار الى ان الشطب يشمل الجزء الذي قال عنه بأنه مؤلف ابن عيسى المفقود ٠

٨ ـ اذا نظرنا الى العبارات الموجودة في الهوامش ، نجدها تحمل المعنى نفسه للعبارات المشطوبة ، أو انها زيادة لمعلومات تكون أوفى للسنة التي يتكلم عن احداثها* ٠

وانصافا للحق رأيت ان اثبت هنا ما جاء من شطب* وتعديل في الاوراق التي تمثل القسم الاول من هذا المخطوط ، وهذا القسم الذي عناه فلبي في روايته وسأتتبع ذلك من بداية احداث سنة ١٣٠١هـ حتى ١٣١٩هـ ٠

المسلسل	السنة	الورقة
	١٣٠١هـ	٢٧

يقول « ٠٠٠ وجعلت ما جمعت ذيلا على تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن ابراهيم بن عيسى وسميته عنوان « **السعد والمجد فيما استظرف من اخبار الحجاز ونجد** » ٠ والله اسأل ان ينفع به من نظر اليه واعتبر ٠ (**وسلم من الحقد والحسد والشر**) وسار على منهاج اهل السنة والاثر ٠

٢	١٣٠٤هـ	ورقة ٣٣ر٣٤

(وفيها سار الامير محمد بن عبد الله بن رشيد بحاضرته وباديته فأغار على عتيبة على الموضع المعروف بعروة ورئيسهم محمد بن هندى ٠ فحصل بينهم وقعة تضعضعت فيها جنود ابن رشيد وكان ابن رشيد قد كتب الى حسن آل مهنا يستحثه فحين أراد ابن رشيد ومن معه ان يولوا الادبار ، اقبل حسن بن مهنا بمن معه من اهل القصيم ، فثبت جنود ابن رشيد ٠ فتصادمت الفئتان ثانيا ٠ وصبر الفريقان ، وحصل وقعة عظيمة كثر فيها القتلى من الجند بينهم ـ فانهزمت البادية هزيمة شنيعة واخذ ابن رشيد وابن مهنا غالب ابلهم واغنامهم واثاثهم وفيها يقول بعض شعراء البادية) ٠

(لولا حسن هزلق ** بذر بين الايمان ٠ صارت عليكم يبوما جد كبيرة (٢٠) ٠ ثم ان ابن رشيد وابن مهنا اقاما اياما ثم رجعا الى اوطانهم) ٠

شطب المؤلف هذا الكلام وكتب في الهامش الايمن من الورقة ما يلي :

« فأغار ابن رشيد على عتيبة على الموضع المعروف بعروة فاخذهم ورجع قافلا الى وطنه صح ٠ وفيها (سنة ١٣٠٤هـ) سار الامير محمد بن عبد الله بن رشيد بحاضرته وباديته وأغار على عتيبة فسبقه النذير وسلموا ورجع قافلا الى وطنه صح ٠ ونلاحظ ان المؤلف استخدم كلمة هذلق ، بينما ذكر المؤرخ مقبل الذكير انها « نوخ » وذكر الذكير كلمة « كسيرة » بدل من كلمة « كبيرة » عند ابن ناصر ٠ وكلمة « كسيرة » ادق لانها تعني هزيمة ٠

★ **المحرر** : المشطوب الذي ود الكاتب تثبيته هو المكتوب بالاسود بين قوسين ٠ وهو موافق لما ورد في البحث ٠

★★ **المحرر** : كذا وردت في الاصل مرة بالزاي ومرة بالذال، ويرى الدكتور عبدالله العثيمين ان العبارة في الاصل هي « مدّك » و « ذربين » ٠ والاخيرة كلمة واحدة ٠

٣   ١٣٠٥هـ   ورقة ٣٤

نلاحظ انه لا يوجد شطب يذكر وانما جاءت بعض الاضافات على الهامش الايسر وهي :

« وفي هذه السنة عزل الامير محمد بن عبد الله بن رشيد سالم بن سبهان عن امارة الرياض وأمر فهاد بن رخيص صح » ٠ وكذلك « وفيها سار الامام عبد الرحمن بن فيصل لزيارة اخيه في الجبل » ٠ وكذلك « ثم دخلت السنة السادسة بعد الثلاث مائة والالف وفيها استقضى ابن رشيد الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ على بلدان سدير فباشر القضاء بعفة وديانة وجلس للتدريس والتعليم كما سيأتي صح » ٠

٤   ١٣٠٦هـ   ورقة ٣٦و٣٧

يقول عن الشقاق بين الامام عبد الله بن فيصل وأخيه سعود « ٠٠٠ وصار بينهما وقعات يطول ذكرها ٠ وكان في آخر امره (عن الامام عبدالله) منغصة عليه ايامه ، مكدرة عليه من كثرة المخالفين **(ومع ذلك لم يزل صابرا وللخصوم مصادقا الى ان توفي وكان لعمري صاحب المقامات المشهورة والاعمال المشكورة والافعال المرضية ، ولو فصلت القول في وقائعه وفضائله وما مدح به من الاشعار وما فعله من الخيرات اوجب الى عدة اسفار ٠ وبالجملة ففضائله اشهر من ان تذكر ومناقبه اكثر من أن تحصر)** ٠

ونلاحظ انه شطب كل هذا واستبدله بعبارة جاءت على الهامش الايمن للورقة ٣٧ « ٠٠٠ ولم يزل على هذه الحالة الى أن توفي » ٠

٥ ـ **الاوراق ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠** لا توجد فيها شطوبات ولا اضافات ٠

٦   ١٣٠٨هـ   ورقة ٤١

ذكر في الهامش الايمن عبارة « فهذه صفة الوقعة على ما حدثني بها من أثق به صح » ٠ وذكر في الهامش الايسر اضافات عن طلب الامام عبد الرحمن من الشيخ عيسى بن خليفة السماح للنساء والعائلة السعودية بالاقامة في البحرين ، وكان ذلك عن طريق محادثات قام بها ابنه عبد العزيز الذي ارسله والده الى البحرين ٠

وفي **ورقة ٤٢**

اضاف في الهامش الايسر عبارة عن ارسال الامير عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل الى الاحساء ، كي يفاوض حاكمها التركي بالسماح لهم بالاقامة فيها ، الا ان الاتراك رفضوا الطلب ٠

٧   ١٣٠٩هـ   ورقة ٤٣

« ٠٠٠ وقد وقع الاتفاق (بين الامام عبد الرحمن ومتصرف الاحساء) على ان الدولة تدفع اليه ستون (كذا) جنيها اجرة مشاهرة ، وان ينزل اعني الامام حيث شاء **(وما قصدها الا لتأمن من حركاته ووثباته ٠ فقصد الامام بلد الكويت)** فسكن به واستقر ٠٠٠ »

نلاحظ ان المؤلف شطب هذه الجملة واستبدلها بـ « فاختار بلد الكويت وارسل الى عائلته ونسائه » ٠

٨   ١٣١١هـ   ورقة ٤٥

« ٠٠٠ ومنها استعفى الشيخ حسن من القضاء ، فأذن له ابن رشيد بالرجوع الى بلده واستقضى الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ رحمه الله على جميع بلدان سدير وجلس للتدريس والتعليم ، كما سيأتي انشاء الله تعالى » ٠

نلاحظ ان المؤلف شطب هذا وكتب في الهامش الأيمن عبارة « مكانه صح » ٠ وربما يكون المؤلف قد عدل عن الشطب فذكر هذه العبارة للدلالة على ان الشطب ملغى ٠

٩ــ ١٣١٤هـ ورقة ٤٧

« ٠٠٠ فكتب أهل المجمعة (**كتابا وبعثوه**) الى ابن رشيد ليجعل منهم قاضياً ، فاستقضى فيهم **وفي** سدير الشيخ احمد بن ابراهيم بن عيسى ، (**فلم يزل فيها الى ان استولى الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل حفظه الله ، فعزله فجعل مكانه شيخنا الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى حفظه الله**) ٠

نلاحظ انه وضع في الجانب السفلي الايسر عبارة « كما سيأتي انشاء الله » ٠

١٠ ــ الاوراق ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

لا يوجد فيها من الشطب أو الاضافات ما يستحق الذكر ٠ وما بعد ذلك تكون قد دخلت سنة ١٣٢٠هـ وما بعدها ، ويكون الشطب والزيادات كما كان عليه من قبل ٠ ففي كثير من الاوراق لا توجد مشطوبات ولا اضافات ٠ ثم نجد هذا في الاوراق الاخرى من المخطوط حتى نهاية سنة ١٣٥٥هـ ٠ وهذا الامتداد في الشطب والاضافات والاستبدالات يدل دلالة واضحة على ان المؤلف كان يراجع ما يكتب ثم يجرى عليه ما يرى من تعديل وتنسيق وتنقيح ٠ والمخطوط الذي بين ايدينا هو المسودة الرئيسة للمخطوط وهذا ما اشرنا اليه في هذا البحث ٠ وأود ان اضيف هنا الى ان كل مسودة تحتاج الى تعديل وشطب وغيرهما ٠

هذا وقد عثرت على نص جعلني ازيد الثقة بالمؤلف ٠ فقد أخذ نصوصا من مؤلف « **عقد الدرر** » ، وعندما انتهى من نقله قال « انتهى ما نقلته من خط ابراهيم بن صالح بن عيسى ــ رحمه الله تعالى ــ » (٢١) ٠

سادسا ــ المخطوط مرجع موثوق به للتاريخ :

مما لا شك فيه ان هذا المخطوط يعتبر من المراجع الموثوق بها ٠ واعتمد هنا على عدة عوامل هي في اعتقادي كافية لان يعتبر هذا المخطوط من المراجع الموثوق بها لدراسة تاريخ البلاد السعودية في عصرها الحديث والمعاصر ٠

فمصادر هذا المخطوط تلزم القبول بثقته ٠ فقد نقل القسم الاول عن الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقرى وغيره من الرواة العارفين والمهتمين بالاحداث التاريخية التي دارت في بلادهم ٠ هذا الى جانب مراجعه عن آخرين دونوا حوادث تاريخ البلاد ٠ ثم الى ما نقله عن الكتب المعاصرة ككتاب الريحاني وعن الجريدة الرسمية للبلاد السعودية **أم القرى** ، وما نشرته من بيانات رسمية واخبار محلية ووثائق خاصة بالمعارك والحروب التي كانت تدور بين الدولة السعودية والبلاد المجاورة ٠ هذا الى جانب ما كان ينقله عن رواة ثقات ، وهذا ما أشار المؤلف اليه في هوامش مخطوطه فكان يقول : « هذا ما حدثني به من أثق بروايته » ، ولكن دون أن يذكر اسم الراوي ، اضافة الى معاصرته للاحداث ٠

يقول المؤلف عن كتابة التاريخ ما يلي :

« ان التصنيف أمر صعب لا يدرك الا بنكد وتعب ، وصاحبه متعرض لألسنة الحاسدين وتنقشات الطاعنين ، متحمل من ذلك أمرا مرا ، متكلف الى مرتقى صعبا وعرا » (٢٢) ٠

ويبين المؤلف منهجه في كتابة التاريخ فيقول : « ٠٠٠ وبذلت جهدي وفوضت الى الله المهيمن أمرى مع التحري للصدق ٠ ولم اكتب الا ما تحقق عندي انه انشاء الله هو الحق ٠ ولم اعتمد في ذلك الاثبات الا عن ذوى العقول والأثبات ، فمن عثر على زيادة او نقص او تقدم او تأخر ، فانما هو من خطأ الناقل وعهدته عليه ٠ واستعذر من الله الزلل ، ثم من عباده المؤمنين » (٢٣) ٠

كان المؤلف يشير الى المصادر التي ينقل منها ٠ فمثلا عندما تكلم عن بداية التاريخ ، ارجع ذلك الى

الشعبي (٢٤) ٠ وعندما ذكر نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قال : « منقول من خط احمد بن منيف ابن بسام القاضى ، ومن خط علماء الوهبة المشهورين مثل الشيخ احمد بن البسام وحمد بن محمد بن حسن القصير والشيخ سليمان بن علي واحمد البجادي وعبد المحسن بن شارخ البشرى وغيرهم » (٢٥) ٠ ويقول عندما أورد بنود الاتفاق بين الملك عبد العزيز والامام يحيى حميد الدين ، بشأن تسوية الخلافات بينهما : « فهذا صيغة ما صدر بينهما من المعاهدة ونشراه في المعمور من الارض ٠ نقلته من جريدة مكة ٠٠٠» (٢٦)٠ وينسب الى ابن بشر ان بلاد نجد لم تكن تعنى بالتاريخ ، وان بدء الكتابة للتاريخ في نجد كانت بمجيء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٧) ٠

وبالرغم من هذا كله فكانت حوادث المخطوط مختصرة جدا وخاصة في السنوات الاولى من بداية تسجيله للحوادث ، وهو يسير على الطريقة الحولية ٠ فكان يذكر السنة ويسجل فيها الحوادث حتى انه كان احيانا يشير الى اليوم والشهر الذي وقعت فيهما الحادثة التاريخية ٠ واسلوبه يختلف عن اسلوب معاصريه ممن اعتنوا بكتابة التاريخ كالشيخ مقبل العبد العزيز الذكير والشيخ عبد الله البسام ٠ فنلاحظ ان الشيخ عبد الرحمن بن ناصر يسرد حوادث ، بينما نلاحظ من قراءتنا لمخطوطي مقبل الذكير وعبد الله البسام ان هناك دراسة للاسباب وهناك تحليلا واستنتاجات للحوادث ، وهذا ما اوصل الشيخ مقبل الذكير الى نقد ابن بشر ، وهذا في اعتقادي يشفي غليل القارىء والباحث عندما يستخدمه كمرجع من المراجع اللازمة للبحث ٠ اما عن معلومات مخطوط **السعد والمجد** ، فجاءت يسيرة جدا ولا تعطى للباحث ما يتطلبه ٠ كما ان طريقته لمعالجة الاحداث تختلف عن طريقتي مقبل وعبد الله البسام ، فقد سجلا الحوادث بطريقة تجعل الانسان ينظر اليها نظرة معينة منشؤها ان هذين المؤرخين كانا كثيري الاسفار وفي بلاد مختلفة ، مما أكسبهما ثقافة عالية وأفقا واسعا ودراية بالتحليل والاستنتاج ومعرفة بمجريات الاحداث والسياسة الدولية المعاصرة ٠ وهذا مما لم يتوفر للمؤلف ٠ وتجدر الاشارة هنا الى ان مخطوط **السعد والمجد** يعتبر من المراجع التي تعطى معلومات جيدة لتراجم العلماء عند ذكر وفياتهم وخاصة علماء المجمعة ٠ وأريد أن انبه الى ان الاختصار الشديد في المعلومات كان في القسم الاول من المخطوط ، ثم بعد ذلك بدأت المعلومات في التوسع اكثر فأكثر ٠

الهوامش

(١) أفادني الاستاذ حمد الجاسر بانه كان قد اطلع على الجزء الثاني عندما كان صاحبه يعتزم طبع مخطوطه. وهو يسجل الحوادث بعدما انتهى اليه الجزء الاول ، أي بعد عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) حتى قبيل وفاته .

(٢) يقول الشيخ عبد الرحمن بن ناصر عن والده : « وفي سنة ١٣٣٨هـ توفي الفقيه الزاهد العالم العابد الوالد محمد بن عبد الله بن ناصر في بلد المجمعة . اخذ العلم عن جماعة اجلاء منهم الشيخ عبدالله ابن عبدالرحمن ابابطين والشيخ محمد بن سليم والشيخ حسن بن حسين والشيخ حمد بن عبد العزيز وغيرهم . أخذ عنه العلم جماعة منهم عبدالرحمن بن عثمان الثميري وابنيه (كذا) عبد الله وعبدالرحمن وغيرهم . كان ورعا زاهدا عابدا صادقا ثبتا عدلا ناصرا لاهل الدين قامعا لاهل الزيغ والضلال والحاقدين ... » .

وذكر في **ورقة ٦** من المخطوط انه كان ينقل عن خط والده فيقول عند ذكر نسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب : « قال الوالد رحمه الله ومن خطه نقلت ... » .

(٣) **المخطوط ، ورقة ٢٦ .**

(٤) **الموضع السابق نفسه .**

(٥) انظر مقدمة كتاب **العربية السعودية** لفلبى .

(٦) انظر رسالة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر الى الاستاذ حمد الجاسر في ١٣٨٠/٩/١هـ نشرت في مجلة **العرب** (عدد ربيع الثاني ١٣٩١هـ) ، ص ٨٩٩ . وهنا كلمة « يشرف » عليها تعنى « يطلع » عليها .

(٧) **المحرر :** هنا أحال الكاتب على الصورة الفوتوغرافية للصفحة الاولى من المخطوط ، الا أنه لم يبعث بها حتى حين صدور الكتاب ولم تفلح مساعينا في الحصول عليها .

(٨) مقابلة مع الاستاذ الجاسر في ١٣٩٧/٢/١٦هـ.

(٩) هذا ما عرفته من معارفه .

(١٠) انظر مقدمة كتاب فلبي ، **العربية السعودية** .

(١١) انظر مجلة **العرب** (العدد السابق نفسه) ، ص ٨٩٩ .

(١٢) **الموضع السابق نفسه .**

(١٣) انظر **المخطوط ورقة ١١٤ .**

(١٤) انظر مقدمة كتاب فلبي ، **العربية السعودية** .

(١٥) انظر مجلة **العرب** (العدد السابق نفسه) ، ص ٨٩٩ .

(١٦) انظر ما كتبه الشيخ حمد الجاسر عن المؤرخ عبدالله بن محمد البسام في مجلة **العرب** (العدد السابق نفسه) ، ص ٨٨٩ ، ٨٩٠ .

(١٧) من رسالة ارسلها الشيخ عبد الرحمن بن ناصر الى الاستاذ حمد الجاسر . نشرت في مجلة **العرب** (نفس العدد السابق) ، ص ٨٩٩ .

(١٨) من **المخطوط** ، ص ٢١ – ٢٢ .

(١٩) مجلة **العرب** ، (العدد السابق نفسه) ، ص ٨٩٩ .

(٢٠) ذكر المؤرخ النجدي مقبل العبد العزيز الذكير بان وقعة عروى كانت سنة ١٣٠٢هـ ، وقد ذكر بيت الشعر الذي ذكره المؤلف عبد الرحمن بن ناصر ، الا ان فيه بعض التغيير في الكلمات ، فذكر الشيخ مقبل .

(والى هذه الوقعة يشير شاعر عتيبه وهو الامير محمد بن هندى بن حميد شيخ برقا :

لولا حسن نوخ بذ ربين الايمان　　　صارت عليكم يابوما جد كسيرة

وهذا البيت كان يرد فيه على حمود العبيد الذي قال من قصيدة له :

ان كان ابن هندى توانا برزات .　　　فحنا على عروى قصرنا مسيرة)

(٢١) انظر ما جاء في **المخطوط** عن سنة ١٣٠٢هـ ، ورقة ٣١ ، ٣٢ ٠
(٢٢) **المخطوط ، ورقة ٢٢** ٠
(٢٣) **المخطوط ، ورقة ٢٣** ٠
(٢٤) **المصدر نفسه** ٠
(٢٥) **المخطوط ، ورقة ٦** ٠
(٢٦) **المخطوط ، ورقة ٣٣٤** ٠
(٢٧) **المخطوط ، ورقة ٢٤** ٠

المخطوطات

الشيخ محمد بن عمر بن حسن بن محمد بن فاخر المشرفي الوهيبي التميمي ٠
تاريخ الفاخرى (مكتبة جامعة الرياض) ٠ عالج حوادث عام ٨٥٠هـ حتى ١٢٧٧هـ ، وهي سنة وفاة المؤرخ ، وقد اكمل ابنه عمر هذا المخطوط فسجل حوادث متأخرة حتى عام ١٢٨٨هـ ٠

الشيخ مطلق بن صالح بن مطلق ،
تاريخ ابن مطلق المسمى **شذي الند في تاريخ نجد** (المكتبة المركزية بالظهران) ٠ الا اننا لم نعثر على المخطوط على رف المكتبة المذكورة ٠

الشيخ عبد الله بن محمد البسام ،
تحفة المشتاق من اخبار نجد والحجاز والعراق ٠ سجل فيه حوادث سنة ٨٥٠هـ الى ١٣٤٣هـ٠ والمخطوط موجود عند سبط المؤلف محمد بن سليمان البسام ٠ وهناك صور اخرى عنه عند غيره ٠

الشيخ مقبل بن عبد العزيز الذكير ،
لم يقرر المؤلف اسما لكتابه ، بل وضع له الاسماء التالية **العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية** ، **مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود** ، **تاريخ نجد القديم والحديث** ٠ (مكتبة خودا بخش ، موجود في معهد المخطوطات) ٠

الشيخ ابراهيم بن ضويان ،
كشف النقاب في تراجم الاصحاب (مكتبة الحرم المكي) ٠ فيه تراجم للعلماء ٠

الشيخ احمد بن محمد الاسدى ،
اخبار الكرام باخبار المسجد الحرام (دار الكتب ، **رقم ٧١١ تاريخ**) ٠

الشيخ محمد كبريت بن عبد الله الحسنى المدنى الموسوى ،
الجوهرة الثمينة في محاسن المدينة (دار الكتب ، **رقم ٧٣٧٠ج**) ٠

الشيخ محمد بن احمد بن سالم الصباغ المكي ،
تحصيل المرام في اخبار بيت الله الحرام (دار الكتب ، **رقم ٢١٦٣ تاريخ**) ٠

الشيخ تقي الدين محمد بن احمد الحسنى الفاسى ،
تحفة الكرام باخبار البلد الحرام (مكتبة الحرم المكي ودار الكتب ، **رقم ١٣٨١٣ج**) .

الشيخ محمد بن علي بن فضل الله الطبرى ،
اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن شرفاء مكة (مكتبة الحرم المكي) .

الشيخ نجم الدين ابي القاسم محمد المدعو عمر بن ابى الفضل محمد تفي الدين بن فهد الهاشمي الشافعي ،
(أ) **اتحاف الورى بأخبار أم القرى** ، اربعة اجزاء (دار الكتب ، **رقم ٢٢٠٤ تاريخ تيمور**) .
(ب) **بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى** (مكتبة الحرم المكي) .

الشيخ قطب الدين ،
تاريخ المدينة المنورة (معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، **رقم ٩٦٥ تاريخ**) .

الشيخ ابراهيم بن محمد بن عيسى ،
تهنئة اهل الاسلام بتجديد بيت الله الحرام (معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية **رقم ١٠١٣**) .

عبد الرحمن بن احمد البهى واخوه الحسن بن احمد ،
نفح العود في سيرة ايام دولة الشريف صمود (١٢٨٥هـ) (مكتبة عارف حكمت **رقم ٨٤ر٥٩٣ عب**) .

الشيخ محيي الديـن عبد القادر امـام المقام الشافعي الحسيني الطبرى ،
الارج المسكى في التاريخ المكي (مكتبة الحرم المكي) (دار الكتب ، **رقم ٢٢٠٥ تاريخ تيمور**) .

الشيخ ابو محمد زين الدين بن الشيخ المقرى بن بدر الدين الحسين بن الشيخ سراج الدين عمر المراغي ،
تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (دار الكتب ، **رقم ١٦٤١ تاريخ**) .

الشيخ عبد الله غازى ،
افادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام . ٤ مجلدات (مكتبة محمد نصيف) .

الشيخ ابو عبد الله محمد بن احمد بن خلف جمال الدين الخزرجي المطرى ،
التعريف بما انست الهجرة من معالم الهجرة (دار الكتب ، **رقم ٥٦٤ تاريخ**) .

الشيخ محمد صالح الشيبى ،
اعلام الأنام بتاريخ البلد الحرام (مكتبة الحرم المكى ـ دارة الملك عبد العزيز) .

الشيخ عبد الله عبد الملك القرطبي ،
بهجة النفوس والاسرار في تاريخ دار هجرة المختار (مكتبة الحرم المكى ـ دارة الملك عبد العزيز) .

الشيخ عبد الشكور الهندى المكى ،
تاريخ أشراف وامراء مكة المعظمة (مكتبة الحرم المكى – دارة الملك عبد العزيز) .

عبد الحفيظ القارى ،
رسالة في اخبار الطائف (مكتبة الحرم المكى – دارة الملك عبد العزيز) .

الشيخ علي بن الحنفي السنجارى ،
منائح الكرم في اخبار البيت وولاة الحرم (مكتبة الحرم المكي – دارة الملك عبد العزيز) .

حسن بن علي العجمي الحنفي ،
أهدى اللطايف من اخبار الطايف (مكتبة عارف حكمت ، **رقم ٨٠١ر٨٥٣ ح ع**) .

الحسين الفاسى ،
تاريخ حلل ابراهيم باشا وغيره (مكتبة عارف حكمت ، **رقم ٩٢٣/ح ف**) .

الشيخ عبد الله بن صالح المطوع ،
عقود الجمان في ايام آل سعود في عمان (المكتبة المركزية بالظهران) .

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر ،
عنوان السعد والمجد فيما استظرف من اخبار الحجاز ونجد (المكتبة المركزية بالظهران) .
مراجعنا هنا : فهارس المكتبة المركزية بالظهران ، شركة أرامكو ومقالات للاستاذ حمد الجاسر بعنوان « مؤرخو نجد » ، مجلة **العرب** عدد ربيع الاول ١٣٩١هـ ، وعدد ربيع الثاني ١٣٩١هـ وعلي بن حسين السليمان ، « **العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك** » (القاهرة ، ١٩٧٣م) ، ص ٢٥٤ – ٢٥٦ .

مصادر تاريخ الجزيرة العربية : عرض وتقويم لدراسات عالمين عراقيين

محمد بهجة الاثري

معالم البحث

١ ـ **المقدّمة :**

الماع الى جلال شأن تاريخ الجزيرة العربية

٢ ـ **القسم الأوّل (دراسة في تاريخ نجد) :**

أ ـ **المؤلف :** ابراهيم فصيح الحيدريّ

ب ـ **دراسته :** عرض وتقويم ٠

٣ ـ **القسم الثاني (دراسات في تاريخ العرب) :**

أ ـ **المؤلف :** محمود شكري الألوسيّ ٠

ب ـ **دراساته في تاريخ العرب :** عرض ووصف وتقويم ٠

جـ ـ روادف لها تتصل بدعوة الاصلاح الديني في نجد ، في المئة الثانية عشرة الهجرية ٠

مصادر تاريخ الجزيرة العربية : عرض وتقويم لدراسات عالمين عراقيين

المقـدّمـة

لعل القول بأن (الجزيرة العربية) هي مهد البشر الاول لا يعدو الحقيقة التاريخية ٠ ومما لا ريب فيه أن تاريخها ــ بأصوله وفروعه ــ تاريخ عريق تضرب جذوره فـي أعماق العصور السحيقـة ، ويتميز بـأن أجل الحضارات وأعرق الدول والامارات انما قامت على أرضها الزكية الطيبة ، في مختلف بقاعها في جهاتها الاربع وفي قلبها ٠ وقد كان آخر ما قام فيها من حضارة بدّلت وجه الارض ، هذه الحضارة الزهراء التي أنشأها الاسلام في قلب الحجاز ، وسطع شعاعها على آفاق العالم ، ونفذ الى مختلف الشعوب والامم ، فدانت لعقيدتها وشريعتها وآدابها رغبة وحبا وطواعية ، ايمانا بجلالها وصلاحها لانتظام القلوب المتباعدة فـي وحدة انسانيـة جامعة متراصة : قوامُها الأخوة والعدل والمساواة والمرْحمة ، وبلاغُها رفاهية نوع الانسان وحريته وصيانـة كرامته وطمأنينته ما عاش في هذه الحياة ٠

وتاريخ عظيم مثل هذا التاريخ الحضاري ، في مناشئه وبواعثه وغاياته ، خليق بوُرّاثه ــ ولا سيما أهل الجزيرة أنفسهم ــ أن يولوه أبلغ العناية ، فيعكفوا على دراسته ، ويتعمقوا فيه ، ويجلوه للناس كل الناس في مختلف صوره ، ويكتبوه بلغتهم الفصيحـة العذبـة وبمختلف لغات البشر ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ٠

والبحث في جملته من مقدمات التاريخ ، وليس من صميم مادته التي تسجل حركته الدائبة ، وتصور طبائع الأشياء في تقلبها وتشكلها ، وتفلسف مقدمات الحوادث لتبلغ نتائجها ٠٠ ذلك بأنني تناولت فيه ذروا يسيرا من مصادره القريبة ، بعيدا عن أصوله وأحداثه وفلسفته ٠ قصدت الى ذلك قصدا ، لان تقصى المصادر وتحريها وبحثها وتقويمها وتعرّف مبلغ علم كتابها ونوازعهم ، أول ما يجب أن يصار اليه ويتثبت منه عند ارادة تعرّف الحقائق لتدوينها نقية من الشوائب بيضاء ، وقد جعلت ما كتبته رمزا لذلك ، واخترت المثال القريب الذي يُري مدى اتصال العرب بتاريخهم بعيده وقريبه ، ومبلغ نفاذه وتأثيره فـي نفوسهم وعقولهـم ومشاعرهم ، وأردته ــ الى ذلك ــ عراقيا صرفا لدلالة مقصوده ، وفي الميدان متسع للجري البعيد ، وما أقدّمه قليل جدا من كثير كثير ٠٠ تستعلن فيه هذه الحقيقة الخالدة المتجددة مع الحياة ، اجتزأتُ به مراعاة لوقت الندوة وما يمكن أن يتسع صدرها له في مزدحم الكلام٠

وقد قصرته على دراسات عالِمَين من مشاهير العراق في الزمن الأخير عُنيا بتاريخ العرب بعيده وقريبه ، على اختلاف حظوظهما من معرفته ، وجعلت صدر الكلام لسيرتيهما ، ثم أردفت ذلك بعرض دراساتهما وتقويم سريع لها ٠

محمد بهجة الاثري

القسم الأوّل في تاريخ نجد

١ ــ المؤلف :

ابراهيم فصيح الحيدري (١٢٣٥ــ١٢٩٩هـ) ١٨٢٠ــ١٨٨١م ٠

عالم جامع بين العلوم النقلية والعلوم العقلية القديمة ، وأديب ، ومؤرخ ٠ من أعلام الأسرة الحيدرية الصفوية الماورانية ثم البغدادية ٠ ولد ونشأ ببغداد في بيت من بيوتات العلم ، انحصر فيه افتاء الشافعية والحنفية زمنا امتد الى آخر ولاية داوود باشا (١٢٤٧هـ)★ ، ثم انتزع منه خلفه علي رضا باشا افتاء الحنفية وأسنده الى نابغة عصره وامامه أبي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي ٠ ولعل أول سلسلة علماء هذا البيت هو أحمد حيدر صاحب « **المحاكمات** » (١) الذي اتخذ أبناؤه من اسم أبيه حيدر لقبا يعرفون به ، ثم اشتهر من بعده أسعد الحيدري ، ثم صبغة الله الحيدري ، ثم ابراهيم فصيح بن صبغة الله ــ وهو خاتمة أعلام أهل بيته في البحث والتأليف ، وقد أبرّ على أسلافه بمشاركته في علوم كثيرة عدا الفقه والفُتيا ٠ تلقى علوم العربية والعلوم الاسلامية على جماعة من علماء العراق أكثرهم من الأكراد، ونبغ ٠ وكان أجلّ شيوخه والده ، والشيخ أحمد بن علي الكلالي ــ قرأ عليه كتاب سيبويه و**مغني اللبيب** و**خلاصة الحساب** و**حكمة العين** مع **حاشية السيد السند** ، والشيخ المزوري العمادي ــ قرأ عليه **صحيح الامام البخاري** و**شرح النخبة في أصول الحديث** و**الأشباه والنظائر الفقهية** للسيوطي ، والشيخ عبد الرحمن بن حسين بك الروزبهاني ــ قرأ عليه كتب المعقول، وغير هؤلاء كثيرون أخذ عنهم العلم ٠ وأدرك الحاج داوود باشا والي بغداد ثم شيخ الحرم النبوي الشريف واستجازه فأجازه بجميع العلوم النقلية والعقلية المتعارفة ، وكان داوود باشا قبل ولايته وفي أثنائها درس هذه العلوم ثلاثين سنة ، وأخذ عنه اعلام منهم صبغة الله الحيدري ، وممن أدركهم أبو الثناء الألوسي الذي قرظ أحد مؤلفاته في صدر شبابه ٠ ولما استوى عوده ، نشط للرحلة ، فأم استنبول دار الخلافة ، وزار مصر والحجاز ، وعاد الى استنبول ، ثم خرج منها الى بعض بلاد الاناضول وبلاد الشام ، ثم عاد الى بغداد وأقام فيها أعواما ، وقُلِّد قضاء البصرة ، وفي أوائل سلطنة عبد الحميد الثاني سُعي في التنكيل به فعزل من القضاء ، وعاد الى بغداد منصرفا الى البحث والتأليف الى أن أدركته الوفاة ٠ وكان قد جمع كتبا نادرة في فنون كثيرة ، ووقفها قبل وفاته على التكية الخالدية ببغداد ٠ وجملة مؤلفاته تشير الى يده الباسطة في فنون مختلفة ، ومن كتبه : (١) **فصيح البيان في تفسير القرآن** ــ التزم فيه المحاكمة بين المفسرين (٢) **أعلى الرتبة شرح نظم النخبة في أصول الحديث** (٣) حاشية على **كتاب** سيبويه (٤) **راحة الارواح شرح الاقتراح** في أصول النحو(٥) **السنوحات** في التصوف (٦) **الصراط المستقيم** في الرد على النصارى (٧) **فك الاشتباك شرح تشريح الأفلاك** (٨) **امعان الألباب في الأسطرلاب** (٩) **شرح ديوان أبي تمام** (١٠) **شرح ديوان المعري** (١١) **شرح مقامات الحريري** (١٢) **شرح المقامة الطيفية للسيوطي** (١٣) **تعليقات على حكمة العين** (١٤) حاشية على حاشية جده أحمد بن حيدر المسماة **بالمحاكمات** (١٥) **أحسن الكلام في مدينة السلام** (١٦) **كتاب الحسب والنسب** ــ جمع فيه أنساب العرب ومآثرهم ، وأصول الخيل والابل (١٧) **عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد** ، وغيرها كثير في الفقه والفرائض والاصول وآداب البحث والصرف والمنطق والألغاز ٠

والكتابان الاخيران هما الداخلان من كتبه في غرض الندوة ، وأولهما ــ أعني ــ **كتاب الحسب والنسب** ــ ليس في متناول اليد ، ولعل البحث يوصلنا اليه ، وثانيهما وهو **عنوان المجد** معروف ، وكلامنا عليه هاهنا مقصور على قسم نجد منه وتقويمه ٠

★ **المحرر** : أي انحصر الافتاء في هذا البيت خلال المدة المذكورة ٠

٢ ـ قسم نجد من « كتاب عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد » :

ألف السيد ابراهيم فصيح الحيدري هذا الكتاب في مدينة البصرة في أثناء توليه القضاء فيها ، وقال انه أنجزه في شهر رمضان سنة ست وثمانين ومئتين وألف للهجرة ، وذكر باعثه على تأليفه فقال : « لما وردتها ـ أي البصرة ـ ، ورأيت ما فيها من عجائب الانهار ، وغرائب النخيل والاشجار ، الممتنعة العد والحصر ، مع ما فيها من المد والجزر ، في اليوم مرتين ، بحيث تمتلىء الانهار والسواقي وكل عين ، وقد آلت الى الخراب ، فلم يبق منها الا الاسم ، واندرست آثارها فلم يظل منها الا الرسم والوسم ـ أحببت أن أؤلف كتابا في بيان أنهارها ونخيلها وأشجارها، وبيان بيوتها القديمة، من ذوي الثروة العظيمة ، مع بيان أحوال (بغداد) ، وان كنت قبل هذا قد ألفت في « دار الخلافة » : (**أحسن الكلام في مدينة السلام**) ، الا أنني أردت أن أجمع أحوال البلدتين في هذا الكتاب ، وأحوال أراضي (نجد) وقبائله وما يليه من البلاد ، مع تصدير الكتاب ببعض ما ذكره الحكماء في سياسة الملوك ، فشرعت في ذلك ، ورتبته على مقدمة وثلاثة مسالك وخاتمة ، وسميته (**عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد**) » ٠

ومادة هذا الكتاب صحيحة في الجملة، كثيرة الغناء ولاسيما في جوانبه الحديثة ، يقوم تدوين المؤلف لها على مصادر التاريخ والجغرافيا القديمة ، وعلى بعض المؤلفات التي كتبت في عصره ، ويندر ان يعزو المؤلف اليها كلاما ، وعلى ما أفاده من الاخبار من ملابسته الناس وهو شيء غزير ، أو من السماع والمشافهة ، وقد يذكر الراوي ويوثقه ، وقد يغفله ٠ ولا يخلو الكتاب في سرده الاخبار والروايات من التوجيه والترجيح حيث يتطلب البحث ذلك أحيانا ، كما لا يخلو من هفوات وسقطات فاحشة في قسم نجد خاصة ، مصدرُها قلة اطلاع المؤلف على بعض مصادر البحث التي تُغنيه وتقوّمه ، وتحكيمُه اجتهادَه الشخصى حيث لا اجتهاد مع موارد النصوص الثابتة ، على ما سأبين ذلك في مواضعه ٠

والقسم الذي أفرده المؤلف لجزيرة العرب عامة ونجد خاصة يبلغ ٥٤ صفحة من كتابه ، عقد فيها ستة أبواب تناولت جزيرة العرب وأقسامها الجغرافية، وتحديد موقع نجد ، وبلاد نجد ومحّاله وما يتصل به من البلدان والقرى ، وتحديد أبعاد المسافات بين أهم هذه البلدان ، وعشائر نجد ، وآل سعود أمراء نجد منذ المئة الثانية عشرة الهجرية الى زمنه، ومنشأهم ، ورسم الحكومة التي أقاموها ، وتراجم علماء نجد ورأسهم المقدم الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٠ ويمكن أن يضاف الى هذه الابواب الستة معظم الباب الثاني من قسم تاريخ البصرة الذي عقده المؤلف لبيوتات البصرة القديمة والتجار البصريين أصحاب الثروات العظيمة ، اذ كان أكثرها ـ كما قرر ـ نجدية الاصول ، توطن أسلافها البصرة والزبير القريبة منها الى الجنوب ، وأسسوا البيوتات الكبيرة العامرة ، وأثّلوا الاملاك الواسعة ، وتعاطوا التجارات مع الهند وأوربة ، وكان لهم أثر ملحوظ في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتجارية في جنوبي العراق ووسطه حتى بغداد ، مما يتبين منه الباحث قوة الوشائج التي ربطت بين النجديين والعراقيين ، كما يتبين منه نشاط النجديين وقدرتهم في التصرف وتنمية مواردهم بالكسب الحلال مع التنزه عن الربا في التعامل ٠ ولم يعرض المؤلف في قسم نجد لهذا الشأن الا كعابر سبيل ، قال : « وفي نجد كثير من التجار من ذوي الثروة ، وكثير منهم في نواحي (البصرة) ، وبعضهم في (الكويت) ، وبعضهم في (الهند) » ٠ ثم خص واحدا منهم بالذكر ضربه مثلا للباقين في كثرة الثراء ، اجتمع به في (البصرة) ، وهو الشيخ علي بن ابراهيم ، وقال : هو « من ثقات الرجال الاخيار الكاملين ، ويملك مقدار مئة ألف كيس فأكثر ، وله عدة أملاك في نواحي (البصرة) يشرف عليها ابن أخيه وهو من الاخيار أيضا ، وأولاد الشيخ علي المذكور في (الكويت) » ٠ وهذا كلام قليل الغَناء ، وحقه التفصيل وتمامه ما دوّنه عن البيوتات البصرية النجدية الاصول في قسم تاريخ البصرة ٠٠ هذا الذي ألمعت اليه ٠

وفي الباب الاول ، فصل المؤلف الكلام على أقسام (الجزيرة العربية) الخمسة المتعارفة عند قدماء

الجغرافيين العرب ، وهي : تهامة ، والحجاز ، واليمن ، والعروض ، ونجد . ثم ذكر مدن السواحل عامة على البحر الاحمر ، والبحر الهندي ، وخليج عُمان، والخليج العربي ـ وسمى هذا الخليج بحر فارس ، وكان يدعى في زمانه بالتركية (بَصرَه ْ كورْفَزي) أي خليج البصرة كما رُوِّيناه كذلك عن الاتراك ، والجغرافيون القدامى نوعوا اسمه ولم يستقروا على لفظ بعينه متفَق عليه ، فقالوا ـ كما في **أحسن التقاسيم** ١٢ ـ (بحر فارس وكرمان وتيزكرمان) ، هكذا باضافة بحر الى ثلاثة أعلام ، وقالوا (بحر الصين) وجاء هذا في **أحسن التقاسيم** في موضعين ١١٧ ، و٤١٩ ، ولفظه في الموضع الاول كما ورد في كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى صاحبه : أن « ابنِ مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على (بحر الصين) » ، وقال في الموضع الثاني : ان « نهر الاهواز ودجلة يفيضان الى (بحر الصين) » . وذلك لامتداد هذا البحر وشهرته يومذاك .

وفي هذا الباب يبدو وثوقُ صلة المؤلف بأحداث عصره وتنبهه لمطامع الدول الاجنبية في مدن السواحل من (باب المندب) على البحر الاحمر، الى موانىء خليج عُمان ، الى (البحرين) في (الخليج العربي) ، وحيَلِها وذرائعها في التسلل اليها وانشابها مخالبها فيها .. فيقول في جملة كلامه على (باب المندب) : « وهو مضيق في البحر ، واقع في جهة الغرب من اليمن دون شرقيّ السومال [أقول : هكذا كتبها القدماء بالسين وتكتب اليوم بالصاد] ، والباب المذكور بُغاز اليمن [صوابه بوغاز ، وهو الثغر] . وقد أخبرني بعض من أثق به من أكابر تجار (نجد) بأن الانكليز قد سكنوا في البُغاز المذكور من مدة ثلاث سنين ، بحجة أن يجعلوا فيه منارة وعلامة لاهتداء المسافرين في البحر ، مع كونه من أملاك الدولة العَلية ، والله أعلم بعاقبة مرادهم » .

ويؤاخذ الدولة العثمانية على تقصيرها في ادارة البلاد العربية ، فيقول في كلامه على اليمن : « وفي اليمن أمم وقبائل كثيرة من العرب ، وقد قلت أموالهم ، ولم تتصل بهم أنظار الدولة العلية وحسن سياستها وعدالتها ، فآلت بلادهم الى عدم العمارة ثانية » .

ويقول في شأن (عَدَن) ، وكيفية استيلاء الانكليز عليها ثم تنكيلهم بشيخها « الفضلي » بعد أن خادعوه وسلبوه ملكه : « ومن مشاهير بلاد اليمن : (عَدَن) ، وهي فرضة اليمن قديما وحديثا ، ويقال لها (عَدَن أَبيَنَ) .. الى أن يقول : واما في عصرنا هذا ، فقد صارت بلدة عظيمة محصنة غاية التحصين ، معمورة مُزَيَّنة ، قَلَّ أن يوجد مثلها على السواحل . وهي من بر العرب ، ومن أملاك الدولة العلية ، وسكانها شيخهم يقال له (الفضلى) طلب الانكليز منه من مدة أربعين سنة أن يضعوا عنده ذخائر المراكب الانكليزية . ويُبقوا على نَفَرات [يريد : أنفارا من الجند] منهم لمحافظتها ، ثم بعد مدة اشتروا (عَدَناً) من (الشيخ الفضلى) المذكور بألف وخمس مئة ريال !! على ما تواتر ، وتولوها ، وعمروها ، وصرفوا عليها خزائن كثيرة ، وحصنوها بالقلاع تحت الجبل . ثم طلبها (الفضلى) منهم ، فامتنعوا عن تسليمها اليه ، ثم حارَبَهم ، فلم تحصل له الغلبة ، وأيس منها ، وبقيت في أيديهم » .

ويقول في كلامه على (البحرين) ومطامع الانكليز والايرانيين فيها والتجاء أهلها الى حماية الدولة العثمانية : « والناحية الثانية [أي من نواحي العروض واليمامة] بلاد (البحرين) وهي قطر متسع ، مجاور لبحر فارس ، كثير النخيل والانهر والمياه ، واسع التجارة . بحرها معدن اللؤلؤ الفاخر ، وعدد بلدانها يزيد على سبعين لا يوجد مثلها في الممالك .. » الى أن يقول : « وهي من ممالك الدولة العلية العثمانية ، ولكثرة تردد الانكليز عليهم ، فهم على وَجَل منهم ، ولا يَدَّعون الا الانتساب الى الدولة العلية ، الا أن الدولة لم تسكت عنهم الا لبعدهم ، مع كثرة مشاغلها المهمة التي هي أهم من (البحرين) !! ومع ذلك فأهلها في حيرة من الانكليز ، والعجب من ولاة بغداد كيف غفلوا عن هذه البلاد العظيمة ، مع كونها داخلة في (جزيرة العرب) التي هي ملك الدولة العلية العثمانية ! وكانوا قبل هذا تحت يد (ابن سعود) أمير (نجد) الذي هو من تبعة الدولة العلية العثمانية ، وكيف لا يمنعون احتجاجات الدولة الانكليزية عنهم ، مع وجود صداقتهم التامة بين

الدولة الانكليزية ؟ انهم مع صداقتهم مع الدولة العلية كيف يتجاسرون على حركات تستدعـي التصرف فـي أمور (البحرين) مع ظهور أنها ملك الدولة العلية ؟ » ٠

« أما دعوى (الدولة الايرانية) للبحرين ، فهي من قبيل أن مكة والمدينة لهم ، وأن جزيرة العرب من ايران ! وأما انتساب بعض أهل البحرين ، في بعض الاحيان ، الى (الدولـة الايرانية) ، خوفـا مـن تسلط (الانكليز)، فهو من قبيلِ « الغريق يتشبث بالحشيش » ، لانهم يستطيعون دفع عساكر الدولة الايرانية ، ولا يستطيعون منع مراكب الدولة الانكليزية ، فينسبون أنفسهم الى الدولة الايرانية ، لعدم خوفهم منها ، يبتغون بذلك الخلاص من تعرض الدولة الانكليزية لهم ٠ وكانت دعوى نسبتهم الى الدولة الايرانية بعد أن نادوا بأعلى صوت من كل جانب بتبعية الدولة العلية ، فلم يُجِبهم أحد !! ومع هذا فهـم الان معترفون بتبعيتهـم للدولة العلية ، ومتأسفون على اعراض الدولة العلية عنهم ! وبمساعدة قنصل (بندر أبو شهر) عزل محمد بن خليفة عن البحرين ، ونصب محله أخاه (علي) ٠٠» الى آخر ما قال ٠

وضمن المؤلف الباب الثاني مواد جغرافية وتاريخية مفيدة ، ولم يُخلِه كذلك من الاشارة الى الحوادث التي عاصرها ، ومن ذكر بقايا آثار الحضارات القديمة في (نجد) وما تعرضت له من محاولات حيازة الاجانب لها ، فذكر في كلامه على (القرينية) ــ نسبة الى مؤسسها مقران (كذا) ــ : « فيها آثار قديمة جدا، وعليها كتابات غريبة » ٠ وقال في كلامه على (العارض) : « هو مركز امارة (ابن سعود) على كافة نواحي (نجد) الحاضرة والبادية ، وكان مركز ادارته (الدرعية) ، فصار مركز الامارة محل يقال له (الرياض) من محال (العارض) ٠ و (الرياض) بلدة كبيرة ، فيها كثير من الناس ، وهي من أحسن المحال ٠ وأول ناحية العارض: (حريملة) ثم (سدوس) ، وفيه تمثال دفع عنه الانكليز مبلغ ألف وخمس مئة ليرة انكليزية : بارز عن وجه الارض ، وعليه كتابات ، ويقدر طول البارز منه مترين » ٠

وبسط فيه الكلام على بلاد (عسير) ونواحيها وقراها ، وعلى الاحساء والقطيف وقطر ورأس الخيمة ودبي ، وذكر موانىء الخليج العربي ، وسماها بَنَادرَ ، جمع بَندَر ، ووصف أحوالها وعمرانها ، وقال فـي صفة (قطر) انه « قطر واسع ، ذو نخيل كثيرة وفواكه عجيبة وافرة ، وفيه الابل النجائب العمانيات والخيل فيه قليلة ٠ ووصف مدينة مسقط وعمرانها ومرفأهـا وعلاقة أهلها بالهند وجُدَّة ، فقال : هي « بلدة في غاية العمارة ، مشتملة على كثير من التجار المتمولين أهل السفن والمراكب ، ومسافرتهم الى الهند وجُدَّة ، وفي نواحيها بساتين كثيرة ذات نخيل واشجار وأثمار عجيبة ، ولا يوجد مثلها للتجارة ، وقراها المشهورة الكبيرة مقدار خمس عشرة قرية » الى غير ذلك من أمثال هذه الأوصاف لعمران البلاد وتجاراتها وعلاقاتها ، مما يقوم شواهد تسفه مفتريات الاجانب على العرب ووصمهم بالتخلف في ميادين الحضارة ٠ ومن الحوادث الخطيرة التي سجلها المؤلف مثالا لظلم الغزاة الاجانب وركوبهم رؤوسهم في العسف ، هدم الانكليز لمدينة رأس الخيمة وتخريبها وتفريقهم أهلها ٠ ولكن أهلها العرب كانوا بعزائمهم وايمانهم بحقهم أقوى قوة ، فأعادوا بناء مدينتهم ، وعادوا اليها على رغم آناف الغزاة المعتدين ٠ قال المؤلف : ان ذلك حدث من مدة أربعين سنة ، يعني في أواسط المئة الثالثة عشرة الهجرية (١٩م) ٠

وعقد الباب الثالث لبيان بعض المسافات بين البلاد النجدية ، وحـدد المسافـات القصيرة بالساعـات ، والمسافات الطويلة بالايام تارة وبالمراحل تارة ، ولم يذكر الاميال التي اصطنعها العرب ودرج عليها جغرافيوهم في مدوناتهم من أزمان بعيدة ، ولم يذكر في تحديده المسافات الوسائل التي تقطع بها ٠ وذكر في تحديده المسافات بين المدن الساحلية بالسفن الريحية ، يعني الشراعية ، والسفن الدخانية ، يعني البخارية ، وسماها عبد الغفار الاخرس شاعر العراق في المئة الثالثة عشرة الهجرية « مراكب الدخان » ٠ وبدأ بالطرق السالكة من البصرة الى نجد : طريق من البصرة الى الزبير (ست ساعات) ، ثم الى الكويت (يومان) ، ثم الى القطيف

على قرب ساحل البحر (خمسة أيام) ، ثم الى الاحساء (ثلاثة أيام) ، ثم من الاحساء الى نجد (سبعة أيام) ٠ وطريق ثان من البصرة الى الاحساء من غير مرور بالكويت والقطيف (مقدار تسعة أيام) ٠ وطريق ثالث من البصرة الى أول أرض نجد على غير طريق الاحساء (مقدار ثلاثة عشر يوما) ٠ وجميع النواحي المذكورة في (نجد) مسافة ما بينها مقدار مرحلتين أو ثلاث مراحل أو أربع مراحل ، وهي غاية البعد ٠ ثم ثنى على ذلك بذكر المسافات بين موانىء الخليج العربي ، وبين نجد والبحرين ، وبين المدينة المنورة والقصيم ، وبين جدة والبصرة ، وبين عمان والبصرة ٠

وعقد الباب الرابع لعشائر نجد وبطونها وأفخاذها ومشايخها والنواحي التي تسكنها أو ترتادها ، أمثال : مُطَير ، وآل مرة ، وعُتَيبَة ، وقحطان ، والشهول ، والدواسر ، ولغير عشائر نجد أيضا كبني خالد في الاحساء ، وحرب في بادية المدينة المنورة ، وهذيل في جهة مكة المكرمة ، وثقيف في الطائف ، والمناصير ونعيم والسعد في عُمان ، وغامد وزهران وبجيلة وأسعد وشهران وزَبيد ويام في اليمن ، وربيعة وغيرهم في البحرين والقطيف ٠

وعقد الباب الخامس لآل سعود أمراء نجد ، ونسبهم ، ومنشئهم ، ورسم الامارة التي أسسوها في نجد ، وصور من منشورات الامارة الى اهل بلدان نجد ٠ وقد أفاد معظم هذا الباب من تاريخ معاصره ابن بشر النجدي الذي توفي قبله باحدى عشرة سنة ، وأغفل هاهنا ذكره ، وبعضه أفاده من بعض النجديين مشافهة ، وسماهم ٠ وأهم ما أفاده من **تاريخ** ابن بشر سير الامراء من آل سعود ، ومنشورات الاميرين تركي بن عبد الله وفيصل بن تركي بن عبد الله الى بلدان نجد في السياسة والآداب الشرعية التي تتمسك بها الدولة ، لتتلى في المساجد في كل بلد ويلتزم العمل بها الأهلون ، وسماها « مكاتبات » ٠ وألاحظ عليه أنه مزج نقله من ابن بشر في بعض المواضع بآرائه ومسموعاته ، فجافى بذلك منهج المؤرخ ، واضطرب كلامه وتناقض ، على ادعائه التزام جادة الاعتدال والانصاف ٠ وما فعله ذلك بعضه يتصل بالتاريخ ، وبعض آخر يتصل بالعقيدة ، وكلاهما شيء خطير ٠ وما عرض له من هذا وذاك ، قد قتله الباحثون تمحيصا وتحقيقا ، وأقروا كل شيء منه في نصابه الصحيح ، واكتفى هاهنا بالاشارة الى ما ذكره من خبر منع الناس من الحج أيام الامير سعود بن عبد العزيز ، وما أصدره من الحكم العام على جميع الامراء السعوديين الأوائل بأنهم « كانوا على سوء اعتقاد بدليل منع الحج » هذا مع ثنائه على ديانتهم وصلاحهم في مواضع أخرى من كتابه ، وذلك غاية في التناقض والاضطراب ٠ وخبر منع الناس من الحج أيام الامير سعود بن عبد العزيز على اطلاقه ، غير صحيح ، وهو من مفتريات الدعايات المضللة التي كانت الدولة العثمانية تبثها في الناس لاغراضها السياسية ، وكان المؤلف ممن وقعوا في شَرَك هذه الدعايات ٠ أما المؤرخون الذين عاشوا بعيدين عن نطاق هذا الشَّرَك ، فقد دونوا الخبر على جليته في براءة وصدق ، ومنهم المؤرخ المصري المشهور عبد الرحمن الجبرتي وهو ثقة ثبت ٠ قال في كتابه **عجائب الآثار في التراجم والاخبار** (٢) ما نصه : « ومنها [من حوادث سنة ١٢٢٣هـ] انقطاع الحاجّ الشامي والمصري ، معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج ، والحال ليس كذلك ، فانه لم يمنع أحدا يأتي الحج على الطريقة المشروعة ، وانما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع ، مثل : المحمل ، والطبل ، والزمر ، وحمل الاسلحة ٠ وقد وصلت طائفة من حجاج المغاربة ، وحجوا ورجعوا فى هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشيء » ٠

ومن أمارات تحيزه لسياسة الدولة العثمانية وابتعاده عن نهج المؤرخ ، تعظيمه لابراهيم باشا بن محمد علي الألباني الذي قاد الجيوش الى نجد للقضاء على الدولة العربية الناشئة ٠ وقد وصفه بـ «الوزير الغضنفر» ، وعَدَّ الامير عبد الله بن سعود رجلا خارجا على « السلطان الذي هو امام العصر وخادم الحرمين الشريفين » كما قال ، ومعنى ذلك أنه يوثق الحكم الذي صدر عليه بالقتل ، بعد أن اقتاده ابراهيم أسيرا الى مصر ضامنا له حياته ثم خاس بعهده فأرسله الى استنبول، فأمر السلطان محمود خان بضرب عنقه في ميدان جامع السلطان

بايزيد على ملأ من الناس · وقد كان اقدام الدولة العثمانية على هذا الأمر ناشئا من خوفها من القوة العربية الناهضة التي استفحل أمرها أن يمتد سلطانها الى أبعد مما امتد اليه ، وهو ما صرح به المؤلف اذ قال : « ولو أنه ــ أي الامير عبدالله بن سعود ــ اكتفى بنجد وما يليه من عُمان وجزيرة البحرين وغيرهما، لاستقام أمره، وفاز بثواب تعليمه أحكام الدين للقبائل الذين هم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا » · هكذا قال ، وحين يتخذ المؤرخ الفتاوى الدينية ذرائع لتسويغ الاحكام الجائرة ، ويقحمها على حَرَم التاريخ ، ويمزجها في موارده ومصادره ، يخرج كلامه على هذا النحو من الاضطراب والفساد ، ويفقد الكاتب صفة المؤرخ ·

وعلى هذا النحو جرى في الباب السادس ، وهو خاتمة أبواب هذا البحث ، وقد عقده « لبيان علماء نجد وبعض الحوادث الواقعة فيه » ، فأدخل عليه الهوى ، ومزج في توريخ السيرة نوازعه الخاصة ، فأخلّ بالبحث وخرج عن مزاج المؤرخ الى مزاج الداعية الذي يروج لمقاصد معينة تحت ستار التاريخ وكتابة السيرة كما يفعل اخوان له في أيامنا ·

وفي هذا الباب ترجم للامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي بنى الدولة على قواعد الاسلام ، وعقب عليها بتراجم أبنائه وآخرين من الفقهاء والقضاة · وقد استمد مادته من تاريخ ابن بشر ، ولكنه لم يذكره الا مرة واحدة ، وأضاف اليها أقوالا لبعض الناس شافهوه بها فجعلها تاريخا من التاريخ الثابت المتحقق ، ومزج في هذا وذاك هواه ، وحكم عقيدته الخاصة في البحث كما فعل في الباب الخامس ، فجاء هذان البابان أضعف مُدَوّناته في كتابه · والسيرة ذات الشأن هاهنا انما هي سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وهي سيرة فذة يعيش بها تاريخ طويل عريض ، ولم يبلغ المؤلف في الابانة عنها مبلغا · هذا الى انه وقع فيما أقحمه عليها من هواه في تناقض ، فانه اطرى الشيخ واثنى على علمه وتقواه واخلاصه وانابته الى الله ، وذكر جهده في دعوة الناس الى التوحيد وتعليمهم أحكام الاسلام وأدلته وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وفضائله وفواضله ، وأشار الى ما بلغه من طاعة الناس له وانقيادهم لامره ، حتى قال : « وكانت طاعة أهل نجد له كطاعة الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام ، ولم يتفق لاحد من العلماء ما اتفق له من ذلك»· ولكنه ما لبث أن عزا اليه منع زيارة النبي عليه الصلاة والسلام ، وتكفير المخالفين والحث على قتالهم ·· الى غير ذلك من أقوال تشيل بها كِفّةُ الميزان حين توضع في الكفة المقابلة كتُبُ الرجل ورسائلهُ ومكاتباتهُ · وما يحكيه المؤلف انما هو من المسموعات التي حاك لحمتها وسداها المخالفون ، لا يستند شيء منه ــ بقدر ما أعلم ــ الى كتبه ومدوناته ، بل الذي في كتبه ومدوناته العكس ·

وجاء في كلام المؤلف على هذه السيرة قوله : « وقد أخبرني والدي رحمه الله : أنه ــ أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب ــ قدم بغدادَ· وأخذ أيضا عن العلامة النحرير جدي السيد صبغة الله الحيدرى (؟) طاب ثراه · ولما رجع جدي العلامة السيد أسعد الحيدري من مكة على طريق الدرعية ، اجتمع به في الدرعية ، واحترم جدي المذكور غاية الاحترام ، وأعزه وأكرمه (سعود) اكراما لائقا ، وجلس جدي في الدرعية مقدار ثلاثة أشهر ، ثم حملوه بالاحترام والاكرام الى البصرة » ·

[illegible]

القسم الثاني

دراسات في تاريخ العرب

١ ـ المؤلف :

محمود شكري الألوسى (١٢٧٣-١٣٤٢هـ) ١٨٥٧-١٩٢٤م ٠

امام دعوة الاصلاح الديني في العراق ، وباعث النهضة العلمية والادبية فيه ، واستاذ نوابغه الذين أمدوها بالقوة والاستمرار٠ ورث فضائل أسرته العظيمة ، وتلقى راية العلم باليمين من أبيه عبد الله بهاء الدين وعمومته ابناء امام المئة الثالثة عشرة الهجرية غيرَ منازع المجددِ أبي الثناء محمود شهاب الدين الالوسى العلامه الحبر الجامع الى المعقول والمنقول والفتيا الادبَ وفقهَ اللسان وبلاغة النثر البارع الزاخر بالروعة والجمال ، وسار الى أبعد الاشواط بقلب عقول وفكر نيِّر متفتح ، منقطعا للعلم والبحث والتأليف والتحقيق والتدريس والنشر انقطاعا أنساه حظوظه من لذات الدنيا ، لينقل آثار العلم النافعة الى حياة الامة ، وفضَّل أن يعيش صَرُورةً فعلَ كثير من علماء الملة أمثال شيخ الاسلام الامام أحمد تقي الدين ابن تيمية في القدماء والمصلح المفكر الثائر السيد جمال الدين الأفغاني في المعاصرين ، وكلا العبقريين النابغين كان موضع اعجابه واكباره ٠ وأعان هذا الانقطاع التام مواهبَه على الاحاطة بعلوم العربية والعلوم الاسلامية والدخيلة، وأن ينبغ فيها ، ورَفَدَ ذلك بتعلم اللغتين الشرقيتين الشائعتين لعهده : التركية والفارسية ، وأقبل على التأليف ناشئاً حَدَثاً ، وشغف بتاريخ العرب حتى ارتفع بعلمه الى القمة في حدود الثلاثين حين ألَّف كتابه الشهير **بلوغ الأرب في أحوال العرب** ، في ثلاثة أجزاء كبار ، الذي فاز بجائزة ملك السويد والنرويج أسكار الثاني ، وذاع به صيته في الشرق والغرب، فرحل اليه طلاب العلم من أنحاء العالم الاسلامي ومن أوربة ، واعترف المستشرق الفرنسى لويز ماسينيون L. Masignon بأنه منه ومن ابن عمه العلامة علي علاء الدين الألوسى فَهِمَ ملتقى الادبين الشرقي والغربي ، وافتن في التأليف في ضروب المعرفة لعهده ، وكتب مقدمات العلوم للطلاب بلغة سهلة ومَنحَى بريء من التعقيد ، وعُنِي بالمجدى النافع من العلوم ، وتحرر من التقليد ، ونقد بعض قواعد المنطق اليوناني، وتناغى بالاصلاح الديني، ودعا في مجالس الدرس وفي مؤلفاته الى تحرير الحياة العقلية من الجمود الذي ران عليها وبعثِها واقامتها على دعائم الكتاب والسنة وهَدْيِ السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وتجنُّبِ نوازع الخلاف الذي فرق وحدة المسلمين وابطالِ البِدَع التي حجبت محاسن الاسلام واتخذها الأعداء حجة عليه ، فأثار ذلك عليه نقمة أعداء الاصلاح ، واستَعدَوْا عليه السلطان ، فأمر بنفيه مع كبار صحابته الى الأناضول ، وأُخِذ من داره مخفورا ليلة ٢٢ المحرم ١٣٢٣هـ ٠ فلما بلغ ركبه مدينة الموصل ، والموصل مدينة عربية تدين بدعوة الاصلاح الاسلامي ، خرج الناس من كل الطبقات يستقبلونه ، واستفظع أعيانها وعلماؤها معاملة الدولة مثلَه في سموّ الذات وشموخ المقام هذه المعاملة النكراء ، وحالوا دون الخروج به من المدينة الى منفاه ، وعمدوا الى مخاطبة السلطان في استنبول بلسان البرق ، وما زالوا يصححون رأيه فيه حتى ألغى أمره ، وأذن بعودته الى بغداد بعد أن لبث في الموصل شهرين محفوفا بأبلغ التجلّة والحب ، ومشت المدينة لتوديعه ، وبمثل ذلك استقبلته بغداد وهو يعود اليها منتصرا على غرمائه ٠ ثم ما لبثت الدولة بعد حين أن استعانت بمقامه الرفيع ابان الحرب العالمية الاولى ، وقد تتابعت عليها الاحداث ، ورأت أن تستجيش باسم الآصرة الاسلامية أعداءَ الامس البعيد والقريب ، أعني أهل قلب جزيرة العرب الذين أزالت دولتهم الأولى ، فندبته للسفارة الى الامير الناهض مؤسس الدولة السعودية الثانية* عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود في الرياض ، ليحمله بنفوذه الروحي الكبير عنده على أن يقف الى جانبها في تلك الحروب الضروس ، فيتولى من جهته ضرب الانكليز المهاجمين للعراق من المؤخرة على حين تنهد لها الجيوش العثمانية من المقدمة ، وكانت

★ **المحرر** : كذا بالاصل والمقصود « الدولة السعودية الثالثة » ٠

السبل بين العراق ونجد منقطعة غير سالكة ، بسبب هذه الحرب ، فسلك الى الرياض طريق الشام وفلسطين والحجاز ، وكان موضع التكريم في كل بلد حلّه ، ومن الحجاز واصل السير الشاق الى الرياض قاطعا السباسب والمفاوز ، وأدى السفارة ، ولكنه لم يبلغ ما أرادته الدولة ، وكانت للامير السعودي أعذاره المشروعة، فعاد الى بغداد أسفا ، وحاول المنافقون الايقاع به ، وكاد الشر يحيق به وبفريق من أهل بيته ، ولكن قضى الله أن يشغل رجال الدولة عنه في بحران دفاعهم الانكليزَ عن بغداد ، فنجا مما دُبِّر له بخروجهم منها ودخول الانكليز . وحاسنه الانكليز ، وعرضوا عليه منصب قاضي القضاة ، فرفضه ، وانقبض عنهم ، وعاش زاهدا في الدنيا منقطعا في بيته الا عن مدرستَيه : الحيدرية والمرجانية ، معنيا بالتدريس ونشر علوم العربية والعلوم الاسلامية ، وعاكفا على تأليف أحاسن الكتب الى آن حانت وفاته ، رحمه الله وأثابه . وقد جاوزت مؤلفاته خمسين كتابا في تحرير العقيدة والاصلاح الديني ، وفي اللغة والادب ، وفي الهيأة والمنطق ، وفي التاريخ والأنساب وغيرها .

وأقف عند الكتب التي تعني موضوع « الندوة » .

٢ ـ دراساته في تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده :

وهي نوعان : **(أ)** كتب أفردها لتاريخ العرب قبل الاسلام وبعده ، **(ب)** كتب في تحرير العقيدة والاصلاح الديني ، تتصل بموضوعات حركة الاصلاح الديني في الجزيرة العربية في المئة الثانية عشرة (١٨م) ، لا معدى لمؤرخها من درسها وتفهمها لرسم صورتها الصحيحة .

أ ـ النوع الأول :

١ ـ **بلوغ الأرَب في أحوال العرب :** هذا الكتاب له شأن عظيم في هذ االعصر الثقافي الحديث ، لا بد من ذكره والدلالة عليه ، اذْ كان أول كتاب وآخر كتاب حتى يومنا هذا نال جائزة من دول الغرب ، وقد غَبَر على تأليفه أكثر من تسعين عاما ، نشأت فيه أجيال تجهل خبر هذا الحادث في مطالع نهضة العرب الحديثة . وقد ألف السيد الألوسى هذا الكتاب في عنفوان شبابه تلبية لدعوة وجهتها اليه « لجنة اللغات الشرقية » في « استوكهولم » كما وجهت مثلها الى علماء الشرق والغرب في سنة ١٣٠٢هـ ـ١٨٨١م ، اذ عهد اليها أسكار الثاني ملك السويد والنرويج أن تذيع في العالم رغبته في كتابة تاريخ العرب قبل الاسلام وتخصيصه جائزة للفائز ، فأعجب هذا المطلبُ المقترَحُ السيد الألوسى الشاب المولع بتاريخ العرب في الجاهلية لان من لا يعرف ذلك لا يعرف ما الاسلام حق المعرفة ، ونقر منه وتر محبته هذه ، ولكنه تردد في التصدي لتأليف الكتاب مخافة أن يظن فيه الطمع في الجائزة ، فصرفه خلصاؤه عن هذا الظن ، وحضوه على وضع الكتاب اعلاء لشأن العرب ، فاقتنع برأيهم ، وألف كتابه هذا خلال المدة المحددة في كتاب التكليف مراعيا فيه الشروط مع زيادات عَنَّت له ، واستوى له الكتاب في أقصر مدة في ثلاثة أجزاء ، فرغ منها في غرة جمادى الآخرة ١٣٠٤هـ ، وقدمه الى اللجنة المذكورة ، وكانت الكتب التي قدمت اليها كثيرة العدد ومختلفة المصادر من الشرق والغرب ، فعُقد مؤتمر برئاسة الملك أسكار الثاني نفسه لدراستها وتعيين مستحق الجائزة منها ، وقد شهد هذا المؤتمر طائفة من علماء المشرقيات وممثل للخليفة العثماني ، وهو الاديب التركي المشهور أحمد مدحت أفندي أحد رجال الدولة العثمانية (٣) ، فسجل أحداثه تفصيلا في كتاب خاص به ، ونوقشت هذه الكتب مناقشة دقيقة جادة في عدة جلسات الى أن أسفرت عن اتفاق كلمة المؤتمرين على تفضيل كتاب السيد الألوسى ، ومنح مؤلفه الجائزة وهي وسام من الذهب وطبعُ الكتاب بنفقة الملك أسكار الثاني .

والكتاب فريد في جمعه وتقصيه لأحوال العرب قبل الاسلام وفي طريقة تأليفه . عرّف العرب وأنواعهم وأقسامهم ، وبحث في معنى الجاهلية وما تطلق عليه ، وألمّ بخصائص جنس العرب وما امتازوا به

من الصفات النفسية والخلقية التي أعدتهم اعدادا كاملا لحمل الدعوة الاسلامية الى أهل الارض شرقا وغربا بعقول أساطين الحكماء وقلوب أرق الرُحماء وسياسة أبرع الدهاة ، وعرض لمذهب الشعوبية الذين يصغِّرون شأن العرب ويحقرونه وهم الذين أذاعوا في الدنيا أرقى دعوات الاخاء والعدل والمساواة والحرية ، فأبطل شُبَهَهم في أصول العرب وأنسابهم ، والفضائلِ النفسية والعقلية التي امتازوا بها على أجناس الناس ، وحضارتهم في الايام الخالية ، وما كان بعد الاسلام من شأنهم العظيم في الدين والملك والحضارة والعمران والعلوم والفنون والصناعات ، وأبلغَ في حججه ودفاعه المجيد ، وأحسبه أول مؤرخ عربي بسط هذا الموضوع الخطير في العصر الحديث ، بعد الجاحظ وابن قتيبة في المئة الثالثة (٩م) ثم ابن عبد ربه في المئة الرابعة (١٠م) ، وكان العرب المعاصرون في غفلة عن هذا المذهب السياسى ومقاصده ، فَلَفَتَهُم السيد الالوسى اليه ، لا ليثير العصبية ، ولكن ليبصر أمته ، وما برح هذا المذهب الخبيث يتراءى لها في صور مختلفة ويقعد لها على طريقها المستقيم ليضلها عنه ، وغايةُ مِثلِ السيد الالوسى أن يضع حقائق التاريخ في نصابها الطبيعي السليم . ثم تناول جغرافية الجزيرة العربية ، ومدنها ، وعمرانها القديم في اليمن والحجاز وتهامة ونجد ، وذكر المعادن والقصور والمباني الشهيرة في هذه الاقطار وما جاورها في الشمال من أرض الشام والعراق ، وأبعد النُجعَةَ فتحدث عن شأن العرب الذين هاجروا من اليمن عند حادثة سيل العَرِم ، وسكنوا شمال الجزيرة الفراتية . ثم تناول الحياة الاجتماعية ، والحياة التجارية والاقتصادية عندهم ، وتحدث عن الاسواق وعن مجتمعات القبائل، وشؤون الحرب والسلم وفصل الدعاوي والخصومات وعقد المعاهدات والاحلاف ، وعن الحكام الذين يتحاكمون اليهم في كل قبيلة ، والحكيماتِ من نسائهم ذوات الكمال والمعرفة والزكانة ممن اشتهرن باصابة الاحكام وحسن الآراء في الحكومة وفصل الخصومات. وتكلم على الاعياد والمواسم والاعراس ، وعلى الازياء والعادات في المآكل والمشارب والاواني التي كانوا يستعملونها وأسمائها المخصوصة . وتناول المرأة العربية وما كانوا يستحسونه منها خَلقاً وخُلُقاً وما تستحسنه هي منهم كذلك ، وعرض لكل ما يتصل بها من الزواج والطلاق وسائر الاحكام . ثم تناول نظام الحروب في الجاهلية ، ووازن بينه وبين نظام الروم ونظام فارس ، وذكر آلات الحرب عندهم ، وأيام العرب المشهورة ، والخيل وما يحمدونه منها ويذمونه ، والحلبة والرِهان ، ومشاهير فرسان العرب . ثم ذكر التاريخ السياسى وملوك اليمن والشام والحيرة ، وبيوتات العرب، وشروط السؤدد عندهم ، والنقود التي كانوا يتداولونها . وعرج على الحياة الدينية ، وذكر أديان العرب من وثنية ويهودية ونصرانية ومجوسية ، كما ذكر المتألمين* وشرح أوابد العرب وهي باب مهم من الحياة العقلية . وتناول العلوم التي كان لهم بها بصر كالشعر والخطابة والانساب وأخبار الامم الماضين ودولهم وسياساتهم ، وما برعوا فيه من علم الأنواء وكائنات الجو ومنازل القمر ، وعلم القيافة والعيافة والفراسة ، والطب ، والريافة وهي معرفة استنباط الماء من الأرض ، وعلم الاهتداء في البراري ، والعلم بخلق الانسان أي علم تشريح الاعضاء ، وعلم المراماة والنضال وأنواعه ، وعلم الملاحة الذي اكتسبوه من ركوبهم البحار التي تحيط بالجزيرة ، والعلم بالكتابة ، وذكر معايش العرب وأسبابها ومنها التجارة ، والصناعات : كصناعة البناء ، وصناعة النجارة ، وصناعة الحدادة ، وصناعة الحياكة ، وصناعة الخياطة ، وختم الكتاب بالكلام على ما أوجب تقدم العرب ، ومن أسبابه اتفاق كلمتهم والعدل ، وما امتاز به سكنة البوادى عن الحضريين في الاجسام والصفات على غرار ما تحدث به المسعودي وابن خلدون من كبار المؤرخين الاجتماعيين العرب . وقد استوفى المؤلف أبعاد هذا التاريخ الحافل ، وكتبه بلغة عالية وبيان واضح ومشرق ، ورجع في كل ما عرض له الى أصدق المصادر مما دونه علماء المسلمين الاثبات ، وكثير مما أفاد منه كان أيام كتابته مؤلَّفَه بعيدا عن متناول الايدي . وفي الجملة ان هذا الكتاب طراز فريد في مادته ومنهجه ، وأصالة بحثه ، وعلو طبقة كتابته، وسيظل الكتاب الخالد على الدهر .

٢ ـ **عقوبات جاهلية العرب وحدود المعاصى التي يرتكبها بعضهم :** وعنوان هذا الكتاب يوضح موضوعه ويحدده ، وهو بحث طريف ممتع .. بدأه بالكلام في الحد وما قيل بوجوب الحد به في سبعة عشر شيئا : ما

★ **المحرر :** كذا بالاصل ولعل المقصود المتألهين اي الذين يؤمنون بالله الواحد الاحد .

اتفق عليه ، وما اختلف فيه ، وأصل معنى الحد في اللغة ، واطلاقه في الشرع ، وانتهى الى بيان المقصود من العقوبات عند العرب أيام الجاهلية ، وقال انه عنى بالعرب عرب الحجاز ونجد وأضرابهم ، لا عرب جميع أنحاء الجزيرة العربية ، اذ كان عرب اليمن منهم يهود ومنهم نصارى ومنهم غير ذلك ، وكذلك عرب الشام والعراق كانوا على نحل شتى ، ولهؤلاء أحكام خاصة بهم • وأما عرب الحجاز ونجد وأضرابهم فقد كانت لديهم أحكام كثيرة لم ينسخها الاسلام • وذكر العقوبات التي كانت عندهم ، ومنها : قطع يد السارق ، وقتل الزاني ، والقصاص (وهو من أحكام الجاهلية التي وافقت حكم الاسلام على تفصيل لم يكن في الجاهلية ، كالقتل العمد وشبه العمد والخطأ وشبه الخطأ ، ومن شواهده عندهم قولهم المشهور : « القتل أنفى للقتل ») ، واعطاءُ دِيَة القتيل ، ودِيَة الملوك ، والعاقلة (وهي الدية التي يوجبونها على أقارب القاتل ، لا على القاتل ، وهم العَصَبَة ، وهم القرابة من قبل الاب الذين يعطون دية قتل الخطأ) ، وفداء الاسير ، وعقاب من هجا من الشعراء ، وجَزّ النواصي : نواصي الرجال الاشراف المأسورين في الحرب اذا أطلقوه ، لتكون الناصية عند الرجل يفخر بها • وهذا البحث ، يشبه أن يكون في بعض فصوله متمما لما ذكره من ذلك في **بلوغ الأَرَب** •

٣ ـ **شرح منظومة عمود النسب وأخيار* أخيار سلف العرب من ذوي الحسب** : وهو كتاب عظيم في فنه ، في نحو ألف صفحة ، تضمن أنساب القحطانيين والعدنانيين ، قبيلة قبيلة ، وجمع فوائد وفرائد من أخبار العرب في الجاهلية والاسلام ، وتناول أنسابهم وأطوارهم ، ومشاهيرهم من الفرسان الاجواد والشعراء والعلماء • بناه المؤلف على منظومة تتألف من ١٥٠٠ بيت ، وضعها العالم النسابة الشيخ أحمد المالكي المغربي الشنقيطي • وقد ترجمه صاحب **الوسيط في تراجم أدباء شنقيط** وقال : انه « أحيا أنساب العرب بنظمه عمود النسب ، وقد أجاد فيه • ومن تأمل نظمه ، علم سعة اطلاعه واقتداره في ذلك الفن » ، ثم قال : « ولا يقدح فيه أنه غلط في مواضع منه ، فأي امام ما وقع في الغلط قَطُّ ، خصوصا مَنْ أقدم على مثل ذلك الفن بما فيه من الاشتباك » • ولم يدر صاحب **الوسيط** في أي زمن عاش صاحب هذه المنظومة • ووجدت خبره في **غرائب الاغتراب** : رحلة الامام أبي الثناء محمود شهاب‌الدين الألوسي الى استنبول ، وقد ذكره في عداد مشايخ معاصره، السيد أحمد عارف حكمةالله شيخ الاسلام في زمن السلطان عبد المجيد خان العثماني ، وقد أجازه اجازة عامة في سنة خمس وثلاثين ومئتين وألف • وهذه المنظومة مشهورة عند علماء شنقيط ، يتناغون بها ويحفظونها ـ أو كثير منهم يحفظها ـ عن ظهر الغيب على طولها وغموض أبياتها ، وقد لقيتُ منهم الشيخ محمداً الشنقيطي نزيل «الزُّبَير» ومؤسس المدارس فيها حافظا لها حفظا تاما لا يخلّ برواية شيء منها ، ووافق مجيئه الى بغداد أيام اشتغال أستاذنا الألوسي بشرحها ، وكانت نسخة المنظومة لديه رديئة سقيمة كثيرة التصحيف ، فقرأتها عليه في مجالس عديدة بحضوره ، فصححها من حفظه لم يرجع الى شيء مكتوب ، وأعجب به السيد الألوسي اعجابا عظيما •

وقد شرح السيد الألوسي هذه المنظومة ـ كما قال ـ « شرحا يكشف عن وجوه مُخَدَّراتها اللثام ، ويزيل عن فرائد فوائدها غياهب الظلام » « تجاوز فيه الاختصار المخل ، والتطويل الممل ، وسلك الطريق الاوسط » واعتمد في شرحه على أصح أصول التفسير والحديث والفقه والسيرة الشريفة وسير الصحابة وكتب التاريخ والانساب واللغة والادب ، ونبه على بعض ما ذكره الناظم « مما لم يصح به اسناد ، بل ربما حكم بوضعه النقاد » •

وساير الشرحُ المنظومة ، فقُسِمَ قسمين : قسم العدنانيين ، وقسم القحطانيين • وصدر القسم الاول بمقدمة ذكر فيها من تداول حرم مكة ، وأول من سكن مكة ، وما كان من أمر ابراهيم عليه السلام في كسر الاصنام ، ورميه بالمنجنيق في نار نمرود ، وخبر الغزالين ، واتخاذ دار الندوة ، والحجابة ، والسقاية ،

★ **المحرر** : كذا بالاصل ولعل المقصود « اخبار » بالباء الموحدة •

والرِفادة ، وحلف المطيبين ، وغير ذلك من شؤون يطول سردها ، وأردفها ببحث **أوابد العرب** في الجاهلية ، ومزاعمهم ، وأعمالهم التي جَبَّها الاسلام وأبطلها ، لكنه اقتصر على طرف منها ولم يستوعبها ، ثم ذكر أجيال العرب وانواعهم وأقسامهم ٠ وذكر نسب النبي عليه الصلاة والسلام من الطرفين على الترتيب ، واستطرد فيه بعض الاستطرادات، حتى اذا فرغ منه شرع في الكلام على « العدنانيين » ثم « القحطانيين » ، وفصل القول في قبائل اولئك وهؤلاء ومن اشتهر منهم بجلائل الصفات وعظائم الاعمال في الجاهلية وفي الاسلام ٠

٤ ـ **تاريخ نجد** : وهذا الكتاب كما وجدته بعد وفاة المؤلف بين أوراقه ومسوداته ، لا أظنه كل ما كتبه في تاريخ نجد ، لانه لم يدوِّن فيها الا القليل من هذا التاريخ ٠ وقد أسلفت في ترجمة المؤلف أنه رحل من العراق الى نجد ابان الحرب العالمية الاولى في سفارة سياسة ، وقطع أرضها من الغرب الى الشرق ، اذ دخله من الحجاز ، حتى بلغ « الرياض » فلا جَرَم أنه شاهد مشاهد كثيرة في هذه الارض ، وتعرَّف من أحوال البلاد ومظاهر الحياة أشياء جمة ذات بال ، ولكن شيئا ما من هذا كله لم ترد اشارة اليه في الكتاب ، فلا يخلو ذلك من أحد أمرين : اما أن يكون المؤلف قد وقف حيث وقف من تأليفه فلم يمض به الى نهايته ، واما أن يكون ما كتبه قد تفرقت مسوداته وأدركها الضياع ، فلم يبق منه الا هذا الجزء الذي نشرته في سنة ١٣٤٣هـ ، ثم في سنة ١٣٤٧هـ ، وقد ألحقت به في طبعته الثانية تتمة صغيرة وافاني بها الشيخ سليمان بن سحمان من علماء نجد مصححا أسماء بعض القبائل، وناقدا خبرا وقولا يرى خلافهما ، ومُوردا فصلا مهما جديدا في المنازل والقرى التي استحدثها الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود لاسكان أهل البادية وتحضيرهم ، وهي المعروفة بالهِجَر ٠ وقد أشرت في تقديم الكتاب الى عثوري أول الامر على قطعة منه بين أوراق المؤلف مُسَوَّدة وناقصة ، وأنني ألفيت من بعدُ في آخر مسودة كتابه **تاريخ بغداد** فصولا هي أشبه بتاريخ نجد ، فألحقتها بالقطعة المذكورة وان كان وقع في روعي ريبٌ من عبارات فيها تخالف ما أعلمه من رأي المؤلف ، فعلقت عليها في الحاشية بما يوافق الحقيقة ، وأخرجت منهما الكتاب في صورته المطبوعة ٠ أما القطعة الاولى منه فتنتهي في الصفحة الثانية والتسعين حيث تبدأ بعدها القطعة الثانية المذكورة ٠ وما من شك عندي في أن القطعة الاولى هي من أصل المؤلف ، وقد بسط فيها القول في تحديد نجد وتغني الشعراء به وبطيب هوائه ، وذكر نواحيه ومدنه وقراه ومنازله وأوديته ، والنواحي التي تتصل به من جنوبيه وشرقيه ، ووصف ادارة الدولة العثمانية في بعض هذه النواحي الشرقية ، وهي الاحساء ، وتكلم على أخلاق أهل نجد وشمائلهم ومعايشهم وزيهم وزينتهم وأقواتهم ، حتى اذا فرغ من ذلك تكلم في معتقدات نجد في الاصول والفروع ، وساق مناظرة طويلة بين عراقي ونجدي في المعتقدات ٠ أما ما ولي ذلك من فصول في قبائل نجد ، وأمراء نجد من آل سعود ، ورسم حكومتهم ، ومكاتباتهم أي منشوراتهم السياسية ، وترجمة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فانها بعض فصولِ قسم نجد من كتاب **عنوان المجد في أحوال بغداد والبصرة ونجد** لابراهيم فصيح الحيدرى الذي أسلفت الكلام عليه في القسم الاول ، تبينتُ ذلك بعد وقوفي على هذا الكتاب ، وقد أسلفت أن معظم مواد هذه الفصول استمدها الحيدرى من **عنوان المجد** لابن بشر النجدي ، ولكنه لم يذكره الا مرة واحدة عَرَضا ، وتصرف فيها على النحو الذي وصفته ونقدته ٠ وما وجدته بخط الألوسى من هذه الفصول ، يقف عند ترجمة الامام محمد بن عبد الوهاب ، ويسقط بقية التراجم التي دونها الحيدرى في كتابه، ويمتاز الكلام في ترجمة الامام محمد بن عبد الوهاب فيها بتجريدها من الآراء التي أدخلها الحيدرى فيها فضامَّها وجانَبَ الحقيقة ، لكن بقي في بعضها من عيوب مدوَّنات الحيدري تلك الشبهةُ التي نسبها الى علماء نجد وعلقتُ عليها في حاشية الصفحة التاسعة والتسعين (ط٢) ، وشبهةُ نسبةِ منع الناس من الحج أيام ولاية الامام سعود بن عبد العزيز التي أسلفت تصحيحها من كلام المؤرخين الاثبات في القسم الاول من هذا البحث ٠ وقد سُقتُ هذه الحقيقة هاهنا أداء للامانة ، ليكون الباحثون على بيِّنة من الامر حين يجددون كتابة هذا التاريخ ٠

ب ـ النوع الثاني :

أما النوع الثاني من مؤلفات الألوسى ، عدا هذه الكتب الخالصة للتاريخ ، فهو روافد تتصل بالاصلاح الديني الذي نادى به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المئة الثانية عشرة الهجرية في نجد، وقامت عليه الدولة، وامتزجت سياستها فيه ، وصدرت عنه في كل شأن من شؤونها العامة والخاصة قولا وعملا وتصريفا وتوجيها، حتى كانتا ، أي العقيدة والسياسة ، شيئا واحدا عندها ، لا ينفك أحدهما عن الاخر في شيء ما من الاشياء . وليس من السهل أن يَفصِل المؤرخ ـ حين يؤرخ هذه الدولة وبناءَها ـ شيئا منهما عن شيء ، بل لا بد له في دراسته لهذه الناحية من تاريخ الجزيرة العربية السياسى من أن يتوجه الى هذا الامر بكل شَراشِرِه، ليستطيع أن يرسم صورتها الحقيقية في نصابها الصحيح خالصة من الشوائب .

وهذه الروافد في كتب الألوسى ، هي :

(١) **فصل الخطاب في شرح مسائل الجاهلية للامام محمد بن عبد الوهاب .**

(٢) **فتح المنّان ، تتمة منهاج التأسيس ردٌّ صُلح الاخوان .**

(٣) **غاية الأماني في الرد على النبهاني** ، جزءان كبيران .

(٤) **الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى .**

وهذه الكتب ، ما عدا الرابع ، مطبوعة متداولة ، وهي من أقوم المصادر التي عالجت الناحية الدينية الاصلاحية على منهج الاسلام الصحيح .

الهوامش

(١) حاشية على **شرح العقائد العضدية** لجلال الدين محمد بن أسعد الصديقي الدَّوَّاني ، القاضى ، الفيلسوف ، من « دوّان » من بلاد كازرون ، المتوفي سنة ٩١٨هـ (١٢٩٦م)* ٠

(٢) جـ٣ ، ص ٢٤٧ ٠

(٣) ترجمته في **دائرة المعارف الاسلامية** (الترجمة العربية ، الطبعة الثانية) ، جـ١ ، ص ٤٩٧ ٠

★ **المحرر :** كذا بالاصل وان سنة ٩١٨هـ تقابل سنة ١٥١٢ ميلادية ٠

رابعا : مصادر أخرى متعلقة

ثبت الأبحاث

تاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام في المصادر الادبية

محمد مصطفى هدارة

التاريخ والمصادر الأدبية :

اذا كان موضوع التاريخ هو الجهد الانساني في شتى مجالاته فان هدفه معرفة الانسان بنفسه (١) ، وهذه المعرفة لا تتم الا بالكشف عن أصوله الممتدة في أغوار التاريخ ٠

ومن التقصير أن ننتمي الى الأمة العربية ولا نعرف شيئا عن تاريخها الموغل في القدم قبل أن تستضىء بنور الاسلام ، وهذا التاريخ ينبغي أن يشمل قدرا من التفصيل عن معتقداتها وعاداتها وأساليب حياتها وعلاقاتها بالأمم القديمة المجاورة ، وكل ما يتصل بوجودها الانساني والحضاري ٠

وما أصدق قول أحد الباحثين ، أن أقرب العلوم الطبيعية شبها بالتاريخ الجيولوجيا ، فكما أن الجيولوجي يدرس الأرض كما هي الآن ليعرف كيف صارت الى حالتها الراهنة ، فكذلك المؤرخ يدرس الآثار المتخلفة من الماضى ليفسر بوساطتها ظاهرة الحاضر ، وكما يجد الجيولوجي مادته الأساسية فيما سلم من أدلة تثبت التطورات الجيولوجية القديمة ، فكذلك المؤرخ يعتمد في معرفة الوقائع الماضية على آثار مادية أو سجلات أو تقاليد سلمت من عوادى الزمن (٢) ٠

واذا كانت جهود الباحثين قد نجحت في اكتشاف نقش هنا وأثر مادي هناك على امتداد المنطقة التي عاشت فيها الممالك العربية القديمة ، مما ألقي بعض الضوء على التاريخ العربي قبل الميلاد وبعده ، فلا يزال تاريخ الجزيرة العربية يكتنفه غموض كثير ، ولا تزال دلائل الوجود الحضاري للعرب مختلطة مشوشة تمتزج بالخرافات والأساطير ٠

وقد بذلت في السنوات الأخيرة جهود كبيرة لتجميع الوثائق التاريخية التي تلقي أضواء جديدة على تاريخ الجزيرة العربية قبل الميلاد وبعده ، كما بذلت جهود أخرى لاكتشاف آثار متخلفة من هذه الحقب التاريخية ، غير أن المصادر العربية الموجودة بين أيدينا التي تؤرخ للجزيرة العربية لا تزال بحاجة الى الاستجلاء وحسن الفهم لمعرفة كل ما تناقله الرواة العرب قبل عصر التدوين من أخبار الأمم السالفة ٠

وما من شك في أننا محتاجون الى الاستعانة بهذه المصادر للاطلاع على نواحي الحياة العربية المختلفة من سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية وفكرية ٠ ومن بين هذه المصادر التي تؤرخ للجزيرة العربية بالمعنى الواسع لعلم التاريخ ، المصادر الادبية وقد عني المؤرخون المحدثون بهذه المصادر عناية حسنة منذ كتب محمود شكرى الألوسى كتابه **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** ، وتبعه جورجي زيدان في كتابه **العرب قبل الاسلام**، واشتدت عناية جواد على بالمصادر الأدبية في كتابه القيم**المفصَّل في تاريخ العرب قبل الاسلام** ، بيد أني لا أزال أعتقد أن ضرورة التركيز على هذه المصادر ومحاولة استخراج كل ما فيها من اشارات تاريخية تؤلف لحياة العرب في جاهليتهم شكلا منتظما تتحدد فيه ملامح حضارتهم وفكرهم وأسلوب معيشتهم ونظام مجتمعهم ٠ ومن المعروف أن علماء الشعر ورواته اهتموا ـ منذ القرن الأول للهجرة ـ بجمع أشعار العرب وتدوينها، وكانت الأخبار القديمة والقصص المتداولة من بين ما جمعوه مع الأشعار ، والخطب ، ولهذا حفلت المصادر الأدبية الخالصة بقدر كبير من العناصر التاريخية القديمة ٠

بين التاريخ والخرافة :

وأول ما ينبغي أن أشير اليه ، أن روح الأسطورة والخرافة تتلبس بمعظم أخبار الأمم البائدة ، ولكن ليست المصادر الادبية وحدها هي التي تتميز بهذه الظاهرة ، فالمصادر التاريخية العربية نفسها التي تتعرض لتاريخ العرب قبل الاسلام ، مليئة بالغرائب والخرافات والمبالغات وليس العرب بدعا في ذلك ، فما أصدق جورجي زيدان حين قال : « لم يختص العرب بادخال الخرافات على التاريخ ، فقد كان ذلك شأن الأمم القديمة» (٣)٠ والمؤرخ لا ينبغي أن يرفض الاسطورة رفضا تاما بدعوى بعدها عن الواقع التاريخي ، صحيح ما يقوله أحد الباحثين من أن « أساطير الجاهلية ومعارفها بقايا أنباء غامضة تداولتها الأجيال فاستقبلتها عقول خضعت لوثنية كلها خرافة وتدجيل » (٤) ٠ ولكن الخرافة موضع اهتمام علماء الأنثروبولوجيا الذين يعكفون على دراستها وتصنيف دلالاتها على أسس حضارية مقارنة ، وهم يرون أن المعتقدات الخرافية هي من صميم الفولكلور أو الآثار الشعبية القديمة ، ذات الدلالة على المستوى الحضارى والثقافي الذي بلغته أية أمة ، بل يرى علماء الأنثروبولوجيا أنه يمكن اعادة بناء الفترات التاريخية الغابرة التي لا توجد عنها الا شواهد متفرقة عن طريق الدراسة الأنثروبولوجية (٥) ٠ والحقيقة أنني لا أريد رفض الأساطير رفضا باتا على أساس بعدها عن الواقع التاريخي ، ولا أريد اعتمادها وثيقة تاريخية صحيحة ، بل أرى ألا تغيب الأساطير ومدلولاتها عن أذهاننا في محاولة استجلاء تاريخ العرب القديم ٠

وقد بالغ أحد الباحثين في محاولة الاعتماد على الشعر الجاهلي وتفسيره عنطريق الأسطورة للاستدلال على التاريخ الديني والاجتماعي عند العرب منذ العصور السحيقة (٦) ، ففهم من قول الأعشى :

أريحي صلت يظل له القوم ركودا قيامهم للهلال

أن الشاعر يتكلم عن عبادة القمر (٧) ٠

وقال في بيت طفيل الغنوى :

عروب كأن الشمس تحت قناعها　　　اذا ابتسمت أو سافرا لم تبسم

« وأما ذكر الشمس التي قيل انها اللات وكانت تعبد بالطائف ، فأكثر من أن يحد ، ولم ينتبه رواة الشعر المسلمون الى ما كان لها من أثر عقدي في نفوس الجاهليين ، وعكف شعراؤهم على استغلالها في التشبيه » (٨) ٠

ثم نراه يوجد علاقة بين الشمس والغزالة ، ويقول ان الغزالة كانت معبودة أيضا في الجزيرة العربية بدليل ما رواه ابن هشام من أن عبد المطلب جد الرسول صلوات الله عليه وجد في بئر زمزم عند اعادة حفرها ، تمثالين ذهبيين لغزالتين ، وبدليل قول امرىء القيس :

وماذا عليه أن ذكرت أوانسا　　　كغزلان رمل في محاريب أقيال (٩)

ثم يقول الباحث نفسه ان دخول الفرس في الحكايات العربية أمر له أهميته ، وتتكشف لنا هذه الاهمية في اعتقاد بعض القبائل العربية بقدرة الفرس على قهر الموت ، فلما كان يوم ذى قار وتمكن فارس بكرى من أن يصرع فارسيا صاح : يا قوم انهم يموتون ، وأنشد عمرو بن معد يكرب الزبيدى :

أنا أبو ثور وسيفي ذو فنون
أضربهم ضرب الذي به جنون
يا لزبيد انهم يموتون (١٠)

ومثل هذه المبالغة في **الاعتماد على الأسطورة** لتفسير الشعر موضع نظر شديد ، وهو اتجاه يبعد كثيرا عن مهمة التاريخ ومهمة النقد الأدبي معا ، لاننا نحمل النصوص الشعرية فوق ما تحتمل ، ونخليها بهذا الاتجاه من التصوير المجازي ٠

القيمة التاريخية للمصادر الأدبية :

وما من شك في أن الشعر يأتي في مقدمة المصادر الأدبية التي يمكن أن نستقي منها أطرافا من تاريخ العرب قبل الاسلام ، ولكن علماء الشعر العربي يقرون بأن ما وصل الينا منه أقل من القليل ، وأنه كان علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه ، ولهذا استحق أن يطلق عليه « ديوان العرب » اذ تتمثل فيه معارفهم وأخبارهم وحكمتهم وأيامهم ٠

ويثير محمد بن سلام الجمحي في كتابه القيم **طبقات فحول الشعراء** عدة قضايا مهمة في مقدمته ، منها أثر الاخباريين الذين لا بصر لهم بالشعر في تناقل أشعار مدخولة منحولة ، وقد ضرب مثلا لذلك بابن اسحق في سيرته ٠ ومنها أيضا أسباب كثيرة لوضع الشعر كرغبة بعض القبائل في تعويض ما فاتها منه في الجاهلية لقلة شعرائها ، ورغبة بعض الرواة في التزيد من أجل الكسب ، وما الى ذلك ٠ غير أن ابن سلام قد أبان في كتابه قدرة علماء الشعر الثقات على اكتشاف الصحيح من المنحول ، مما يجعلنا نطمئن ـ الى حد بعيد ـ الى أن ما بين أيدينا من مجموعات شعرية رواها علماء فحول كالأصمعي وأبي عبيدة والمفضل الضبي صحيح ، أو هو اقرب ما يكون للصحة ، وأن اعتمادنا عليه في استخراج الاشارات التاريخية ، وفهم حياة العرب في الجاهلية ليس بناء على هواء ٠

ثم تأتي بعد ذلك الشروح القيمة التي كتبها العلماء لتفسير الأشعار التي جمعوها ، كشروحهم على المعلقات ، وعلى دواوين الشعراء الجاهليين ، ودواوين شعراء القبائل كديوان الهذليين ، وشرح نقائض جرير والفرزدق ، وشروح دواوين الحماسة والمجموعات الشعرية المختلفة ، **كالمفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب** ، وما اليها ، وهذه الشروح تتضمن قدرا عظيما من المعلومات التاريخية عن حياة العرب في الجاهلية وعاداتهم ومعتقداتهم ونظمهم الاجتماعية في الحرب والسلام ٠

كذلك تعنى كتب طبقات الشعراء التي تترجم لحياتهم وتروي أشعارهم ، بالأخبار التاريخية القديمة للجزيرة العربية ، ويأتي في مقدمة هذه المجموعة **كتاب طبقات فحول الشعراء** لمحمد بن سلام الجمحي ، و**كتاب الشعر والشعراء** لابن قتيبة ٠

وقد اهتمت مصادر الأدب الجامعة بأخبار العرب في جاهليتهم ، وما يتصل بها من عادات ومعتقدات ضمن ما ترويه من شعر ونثر، وأذكر في هذا المجال **الكامل في اللغة والأدب** للمبرد ، **والأغاني** لأبي الفرج الاصفهاني ، **والعقد الفريد** لابن عبد ربه ، **والبيان والتبيين** للجاحظ وكتابه الجامع **الحيوان** ، **ونهاية الأرب** للنويري ٠

كذلك نجد في المصادر الأدبية التي اختصت بدراسة الأمثال العربية **كالمستقصى** للزمخشري ، **والأمثال** لأبي فيد السدوسي ، **ومجمع الامثال** للميداني ، وغيرها ، معينا ثرا من الصور التاريخية لحياة العرب في الجاهلية ٠

بل لا نعدم وجود أخبار تاريخية مهمة عن الحياة العربية الجاهلية في كتب النقد الأدبي، وأخص بالذكر هنا كتابين هما : **عيار الشعر** لابن طباطبا العلوى ، **والموشح في مآخذ العلماء على الشعراء** للمرزباني ٠

وليس هدفي في هذا البحث استقصاء المصادر الابية ذات القيمة من ناحية التاريخ القديم للجزيرة العربية ، كما أنني لن أهتم بجمع المادة التاريخية الموجودة في هذه المصادر ، ولكن غاية ما أهدف اليه أن ألقى الضوء على هذه المصادر ، وخاصة ما غاب منها عن أعين الباحثين المحدثين، وأن أقدم بعض نماذج المواد التاريخية الغنية التي يمكن استخراجها من تلك المصادر .

ولا شك أن هذه المواد بحاجة الى جهد المؤرخ لاستقصاء ما فيها ومقابلته بالمصادر الاخرى للتأكد من صحة ما جاء في ثناياها ، وان كان بعض أصحاب المصادر الأدبية ينبهون الى ما يشكون فيه مما يروونه عن غيرهم ، وقد صرح بذلك أبو الفرج الأصفهاني حين قال : « هذه الأخبار التي ذكرتها عن ابن الكلبي موضوعة كلها ، والتوليد بيِّن فيها وفي أشعارها ، وما رأيت شيئا منها في ديوان دريد بن الصمة على سائر الروايات، وأعجب من ذلك هذا الخبر الأخير فانه ذكر فيه ما لحق دريد من الهجنة والفضيحة في أصحابه ، وقتل من قتل معه وانصرافه منفردا ، وشعر دريد هذا يفخر فيه بانه ظفر ببنى الحارث وقتل أماثلهم ، وهذا من أكاذيب ابن الكلبي ، وانما ذكرته على ما فيه لئلا يسقط من الكتاب شيء قد رواه الناس وتداولوه (١١) .

وقد لا نجد مثل هذا الموقف النقدي عند جميع علماء الأدب ، ولكن تبقى المواد التاريخية التي أوردوها ذات قيمة علمية مؤثرة .

المواد التاريخية في المصادر الأدبية :

وأول هذه المواد الأخبار التاريخية البعيدة عن روح الخرافة والاسطورة ، وهذه الاخبار ، تتصل بحوادث متعددة في حياة العرب ، منها مثلا أن عمرو بن لحي هو أول من دعا العرب الى عبادة هبل ، قدم به من هيت (١٢) ، وأول من أوقد نار المزدلفة التي يراها من دفع من عرفة ، قصى بن كلاب (١٣) ، وأول من كتب الكتائب من العرب هو محلم بن سويط الضبي (١٤) ، وأن الافيال كانت مستخدمة عند حمير والتبابعة والمقاول والعباهلة من ملوكهم (١٥) ، وأن الكتابة قديمة في الجزيرة العربية ، وكان لتسجيلها طرق مختلفة بحسب الموضوع الذي يريدون تسجيله ، يقول الجاحظ : « كانوا يجعلون الكتابة حفرا في الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان ، فربما كان الكتاب هو الناتيء وربما كان الكتاب هو الحفر اذا كان تاريخا لأمر جسيم أو عهدا لامر عظيم أو موعظة يرتجى نفعها أو احياء شرف يريدون تخليد ذكره أو تطويل مدته ، كما كتبوا على قبة غمدان ، وعلى عمود مأرب وعلى ركن المشقر » (١٦) .

فكأن العرب في جاهليتهم عرفوا الحفر والنقش والأنصاب القائمة بذاتها ، وكأن نقوشهم كانت ماثلة معروفة في أبنيتهم القديمة التي ذكر منها الجاحظ ثلاثة مختلفة في طبيعتها : فغمدان قصر ، ثم هناك عمود مأرب ، والثالث حصن كان بالبحرين .

بل نجد الجاحظ يفصل في الأغراض التي كانت تستخدم الكتابة فيها ابان الجاهلية وخاصة الأحلاف والمهادنات حيث يقول : « لولا الخطوط لبطلت العهود والشروط والسجلات والصكاك وكل اقطاع وكل اتفاق وكل أمان وكل عهد وعقد ، وكل جوار وحلف ، ولتعظيم ذلك والثقة به والاستناد اليه كانوا يدعون في الجاهلية من يكتب لهم ذكر الحلف والهدنة تعظيما للامر وتبعيدا من النسيان ، ولذلك قال الحارث بن حلزة في شأن بكر وتغلب :

واذكروا حلف ذي المجاز وما ... قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدى وهل ... ينقض ما في المهارق الأهواء » (١٧)

الأبنية القديمة :

واذا كان العرب قد اختاروا الشعر لتخليد مآثرهم في جاهليتهم ، فقد تأثروا بالعجم منذ زمن بعيد ، اذ قلدوهم في تخليد المآثر بالبنيان أيضا ، يقول الجاحظ في ذلك : « وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها ، ثم ان العرب أحبت أن تشارك العجم في البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان ، وكعبة نجران ، وقصر مارد ، وقصر مأرب ، وقصر شعوب ، والابلق الفرد ، وغير ذلك من البنيان » (١٨)٠

وللجاحظ ملاحظة طريفة يبين فيها كيف أن ملوك العرب في جاهليتهم يستوون مع ملوك العجم في طمس آثار أسلافهم ، ويبدو أن الامم القديمة كان شأنها ذلك فقد شاع هذا الامر بين ملوك مصر القديمة ، يقول الجاحظ في ذلك مشيرا الى ما هدمه عثمان بن عفان رضى الله عنه من آثار قديمة : « لأن من شأن الملوك أن يطمسوا على آثار من قبلهم وأن يميتوا ذكر أعدائهم ، فقد هدموا بذلك السبب أكثر المدن وأكثر الحصون ، وكذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية ، وعلى ذلك هم في ايام الاسلام كما هدم عثمان صومعة غمدان ، وكما هدم الآطام التي كانت بالمدينة » (١٩) ٠

وقد تردد كثيرا ذكر المباني القديمة وآثار العرب في جاهليتهم في كثير من المصادر الادبية ، كما رأينا في نصوص الجاحظ التي مرت بنا ، وكما نجد في مصادر أدبية أخرى كثيرة تهتم بتحديد أماكن هذه الآثار ووصف بنائها ، وتسرد شيئا من تاريخها ، وقد ذكر حصن الحضر الذي كان مبنيا بالرخام وكان يسكنه ملوك الضيازن ، وهو يقع بين دجلة والفرات بحيال تكريت ، ويقال ان بانيه الساطرون (٢٠) ، ويصفه عدي بن زيد العبادي شاعر الحيرة فيدقق في طريقة بنائه ووصفه ويقول :

واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تجبى اليه والخابور

شاده مرمرا وكلله كلسا فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور (٢١) ٠

أما الأعشى فهو يحكي القصة المأساوية لصاحبه وكيف آل الى الهلاك بعد أن كان يتقلب في النعمة فيقول:

ألم تر الحضر اذ أهله ... بنعمى وهل خالد من نعم
أقام به شاهبور الجنود ... حولين تضرب فيه القدم
فلما رأى ربه فعله ... أتاه طروقا فلم ينتقم
وكان دعا رهطه دعوة ... هلم الى أمركم قد صرم
فموتوا كراما بأسيافكم ... وللموت يجشمه من جشم
وللموت خير لمن ناله ... اذا المرء أمته لم تدم (٢٢)

كما تذكر في جملة المباني القليس وهي كنيسة كانت باليمن بناها أبرهة بن الصباح ملك اليمن بصنعاء كما يقول النويري ، ونقل اليها الرخام المجزع والملون والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس (٢٣) ٠

ويذكر الأعشى كعبة نجران التي كانت باقية حتى هذا الوقت المتأخر قرب ظهور الاسلام ، والتي كان يفد الأعشى على اربابها من أمثال يزيد بن عبد المدان وعبد المسيح وقيس بن الحصين ، فهو يقول :

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخـي بأبوابهـا

تزور يزيد وعبد المسيح وقيساهم خير أربابهـا

اذا الحبرات تلوت بهـم وجروا أسافل هدابهـا

لهم مشربات لها بهجة تروق العيون بتعجابهـا (٢٤) .

وتتحدث المصادر الأدبية عن الخورنق والسدير ، أما الخورنق فكان على بعد ثلاثة أميال من الحيرة ، وأما السدير ففي برية بالقرب منه ، كان النعمان بن امرئ القيس ـ وهو النعمان الأكبر ـ قد بناهما ، ويقال ان الخورنق تعريب خورنقاه وهو الموضع الذي يؤكل فيه ويشرب والسدير تعريب سادل ، أي قبة في ثلاث قباب متداخلة (٢٥) .

ويقول الاسود بن يعفر الشاعر الجاهلي في ذكر الخورنق والسدير واصحابهما وما كانوا فيه من نعمة وجاه :

مـاذا أؤمـل بعـد آل محرق تركوا منازلهـم وبعـد ايـاد

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذى الشرفات مـن سنداد

أرضا تخـيرهـا لـدار أبيهـم كعب بن مامة وابن أم دؤاد

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنمـا كـانوا علـى ميعـاد

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة فـي ظل ملك ثابـت الأوتـاد

نزلوا بـأنقرة يسيـل عليهـم مـاء الفرات يجيء مـن أطواد (٢٦)

وتتحدث بعض المصادر العربية عن « الغريان » (٢٧) وهما اسطوانتان كانتا بظاهر الكوفة بناهما النعمان ابن المنذر بن ماء السماء على جاريتين كانتا قينتين تغنيان بـين يديـه فماتتـا فـأمر بدفنهمـا وبنـى عليهمـا الغريين (٢٨) .

ويذكر الأعشى كثيرا من الآثار القديمة في شعره فهو يتحدث عن قصر قديم في اليمن في ظفار يقال له ريمان (وربما غيمان) فيقول مشيرا الى غزو الفرس والحبش لليمن :

يا من يرى ريمان أمس ... خاويـا خربـا كعابـه

أمسى الثعالب أهلـه ... بعد الذيـن هم مآبـه

من سوقة حكم ومن ... ملك يعد لـه ثوابـه

بكرت عليه الفرس بعد ... الحبش حتى هُدّ بابـه (٢٩)

ويقول في الابلق الفرد الذي كان موجودا بتيماء ، والذي تشيع الاخبار بأن بانيه هو سليمان بن داود عليه السلام ، وقد فصل الأعشى في وصف مبناه فقال :

فما أنت ان دامت عليك بخالد ... كما لم يخلد قبل ساسا ومورق (٣٠)
وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه ... له ما اشتهى راح عتيق وزنبق
ولا عاديا لم يمنع الموت ماله ... وحصن بتيماء اليهودي أبلق
بناه سليمان بن داود حقبة ... له أزج عال وطي موثق
يوازي كبيداء السماء ودونه ... بلاط ودارات وكلس وخندق
له درمك في رأسه ومشارب ... ومسك وريحان وراح تصفق
وحور كأمثال الدمى ومناصف ... وقدر وطباخ وصاع وديسق (٣١)

كذلك يصف الأعشى سد مأرب وما كان عليه من منعة وما يفيضه من خير قبل أن يكتسحه سيل العرم فيقول :

ففي ذام للمؤتسي أسوة ... ومأرب قفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير ... اذا جاءه ماؤهم لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها ... على سعة ماؤهم اذ قسم
فعاشوا بذلك في غبطة ... فجار بهم جارف منهزم
فطار القيول وقيلاتها ... بيهماء فيها سراب يطم
فطاروا سراعا وما يقدرون منه لشرب صبي فطم (٣٢)

ومما يذكره الجاحظ من الأخبار التاريخية ، خبر أبي رغال الذي يرجم الناس قبره اذا أتوا مكة ، يقول : كان وجَّهه صالح النبي فيما يزعم الرواة على صدقات الأموال ، فخالف أمره وأساء السيرة فوثب عليه ثقيف وهو قسى بن منبه فقتله قتلا شنيعا ، وفي ذلك يقول أمية ابن أبي الصلت :

نفوا عن أرضهم عدنان طراً ... وكانوا للقبائل قاهرينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال ... بنخلة اذ يسوق بها الظعينا (٣٣)

ويتحدث الجاحظ عن الضرائب التي كانت تأخذها ملوك العرب في الجاهلية فيقول : « ان ملوك العرب كانت تأخذ من التجار في البر والبحر وفي أسواقهم المكوس ، وهو ضريبة كانت تؤخذ منهم ، وكانوا

يظلمونهم في ذلك، ولذلك قال التغلبي (٣٤) وهو يشكو ذاك في الجاهلية ويتوعد :

ألا تستحـي منا ملوك وتتقى   محارمنـا لا يبوؤ الدم بالـدم
وفي كل أسواق العراق اتاوة   وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم (٣٥)

وقال الآخر (٣٦) :

ألا ابن المعلَّى خلتنا أم حسبتنـا   صرارى نعطـى الماكسيـن مكوسا

ويقول الأصمعي في ذكر المكس والسفن التي كانت تعشر في قصيدته التي ذكر فيها من أهلك الله عز ذكره من الملوك وقصم من الجبابرة وأباد من الأمم الخالية :

أعلقـت تبعـا حبـال المنون   وانتحت بعده على ذي جدون
وأصابت مـن بعدهـم آل هرماس   وعـادت مـن بعـد للساطرون
ملك الحضر والفرات الى دجلة   شرقـا فالطور مـن عبديـن
كـل حمـل يمر فوق بعـير   فلـه مكسه ومكس السفـين (٣٧)

وتكثر الأشعار التي تذكر العرب البائدة في مجال العظة والعبرة ، فالأعشى يقول :

أزال أذينـة عـن ملكـه   وأخرج مـن حصنـه ذا يزن (٣٨)

ويذكر في أبيات أخرى عديدا من الاقوام الذين بادوا في الجزيرة فيقول :

ألـم تروا ارمـاً وعـاداً   أودى بهـا الليـل والنهـار
بـادوا فلمـا أن تـآدوا   قفـى علـى اثرهـم قـدار
وقبلهـم غـالـت المنـايـا   طمسا ولـم ينجهـا الحـذار
وحـلّ بالحـي مـن جديس   يـوم مـن الشر مستطـار
وأهـل غمـدان جمعـوا   للـدهر مـا يجمـع الخيـار
فصحتهـم مـن الدواهـي   جـائحـة عقبهـا الـدمـار
وقـد غنوا فـي ظـلال ملك   مـؤيـد عقلهـم جفـار
وأهـل جـو أتـت عليهـم   فـأفسدت عيشهـم فبـاروا

ومـر جـد علـى وبـار فهلكـت جهـرة وبـار (٣٩)

علاقـة العرب بالأمم القديمة :

وفي المصادر الأدبية أخبار كثيرة عن ملوك العرب الاقدمين ودولهـم ، كمـا تكثر أخبـار علاقاتهـم بالأمم المجاورة ، وهي تبين بجلاء أن العرب لم يكونوا منعزلين في جزيرتهم ، بل كانت لهم علاقات وثيقة بجيرانهم بحيث كان التأثير متبادلا بين الفريقين ٠

وكانت العلاقات بين القبائل العربية والفرس من أهم ما دارت حوله الأخبار التاريخية في المصادر الأدبية٠ وقد كشف الأعشى في شعره عن كثير من أصول هذه العلاقات التي كانت تتشابك في الحيرة ، فنراه يهجو بنى شيبان لعلاقتهم القوية بالفرس ، حين يقول ليزيد بن مسهر الشيباني ، ان طعام العراق يأتيك رغدا وأنت قاعد ، ويفيض عليك ملوك العراق الحلل والدراهم بصورة منتظمة :

وذرنا وقومـا ان هـم عمدوا لنا أبـا ثابت واجلس فانـك ناعـم

طعام العراق المستفيض الذي ترى وفـي كـل عـام حلـة ودراهـم (٤٠)

بل نعرف من شعر الأعشى أن المنذر بن ماء السماء كان يحرق السبايا ، لأن الأعشى يمدح واحدا ممن شفع لسبايا بني شيبان خاصة ، وكأن علاقة بني شيبان بالفرس كانت مضطربة مذبذبة ، يقول الأعشى :

ومنا الذي أعطاه فـي الجمـع ربه على فاقـة وللملوك هباتهـا

سبايـا بنـي شيبـان يوم أوارة على النـار اذ تجلى لهـا فتياتهـا (٤١)

وكان هوذة الحنفي ممدوح الأعشى يفد كثيرا على كسرى فينال عطاياه الثمينة ومنهـا أكاليل الياقوت ، يقول الأعشى :

من يلق هوذة يسجد غـير متئـب اذا تعصب فوق التـاج أو وضعا

لـه أكاليـل باليـاقوت زينهـا صواغهـا لا ترى عيبـا ولا طبعـا

وكـل زوج مـن الديبـاج يلبسه أبو قـدامـة محبوّاً بـذاك معـا (٤٢)

ونعرف من شعر الأعشى أيضا أن كسرى كان يطالب القبائل العربية بتقديم رهائن من أبنائها ليضمن ولاء تلك القبائل له ، وكان هؤلاء الأبناء يتعرضون للقتل ، ومن الطبيعي أن يوجد من العرب بعض العملاء لكسرى ، بل فرضت الظروف أن تضطر قبيلة مثل اياد التي تقع مساكنها في أطراف الجزيرة الى ممالأة الفرس ، ولهذا نرى الأعشى يهاجم عملاء الفرس ويخص ايادأ بهجومه فيشبه أهلها بالأنباط ، ويسخر منهم لأنهم يعتمدون على الزراعة ، ولهذا اعتادوا القعود والجبن ، يقول :

مـن مبلـغ كسرى اذا مـا جـاءه عنـى مـآلـك مخمشات شردا

آليـت لا نعطيـه مـن أبنائنا رهنا فيفسدهم كمن قد أفسدا

حتى يفيدك من بنيه رهينة ... نعش ويرهنك السماك الفرقدا
الا كخارجة المكلف نفسه ... وابني قبيصة أن أغيب ويشهدا
أن يأتياك برهنهم فهما اذن ... جهدا وحق لخائف أن يجهدا
كلا يمين الله حتى تنزلوا ... من رأس شاهقة الينا الأسودا (٤٣)
لنقاتلنكم على ما خيلت ... ولنجعلن لمن بغى وتمردا
ما بين عانة والفرات وكأنما ... حسن الغواة بها حريقا موقدا
ضربت بيوت نبيطة فكأنما ... لم تلق بعدك عامراً متعهدا
لسنا كمن جعلت اياد دارها ... تكريت تنظر حبها أن يحصدا
قوماً يعالج قملا أبناؤهم ... وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا (٤٤)

ولكن العلاقة بين اياد والفرس لم تكن سلما خالصا كما ينبئنا أبو الفرج الأصفهاني والمصادر الاخرى ، ففي عهد كسرى غزت اياد سواد العراق واعتدت على ملوك آل نصر فغزاهم كسرى، ولكنهم انتصروا في أول الامر حتى قالوا ان جماجم الفرس كانت كالتل العظيم ، وبعث كسرى في أثرهم مالك بن حارثة ، ومعه أربعة آلاف من الأساورة فبغتهم ، وكان لقيط بن يعمر الايادى قد حذر قبيلته بعد انتصارها قائلا :

يا قوم لا تأمنوا ان كنتم غيراً ... على نسائكم كسرى وما جمعا
هو الخلاء الذي تبقى مذلته ... ان طار طائرهم يوما وان وقعا
هو العفاء الذي يجتث أصلكم ... فمن رأى مثل ذا يوما ومن سمعا
وقد بذلت لكم نصحي بلا دخل ... فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعا (٤٥)

ويحكى لنا أبو عبيدة معمر بن المثنى أخبارا كثيرة توضح علاقات العرب بالفرس فهو يقول : « وكانت بكر تحت يد كسرى وفارس ، فكانوا يقودونهم ويجهزونهم » (٤٦) ، ولا شك أن ذلك كان في مرحلة من مراحل العلاقات بين بكر والفرس ، لأننا سنرى الخلاف يدب بين الفريقين بعد ذلك ٠

وفي مجال العلاقة بين بكر والفرس ، يقول أبو عبيدة أيضا « كان الحارث بن عمرو الكندي بعث به تبع مع بكر بن وائل ملكا عليهم ، وقد ضيق على المنذر بن ماء السماء ملك عذار العراق حتى ألجأه الى هيت وتكريت، وكان الحارث أكثر ملوك معد غزوا حتى غلب على قبائل جمة من العرب غير بكر بن وائل ، وكان يقيل وينزل بطن عاقل ، وكان المنذر يستجيش الملك الذي وضعه بالحيرة وهو أنو شروان فلايمده ، فأشار سفيان بن مجاشع بن دارم على المنذر أن يخطب ابنة الحارث اليه ، فقال : لا يزوجني وبيننا دق منشم ومن لي بمن ينهي ذلك اليه ، قال : أنا لك بذلك ، فلحق بالحارث فخطب اليه هندا بنت الحارث فزوجها اياه » (٤٧) ٠

ويقول أبو عبيدة في موضع ثالث : « وكان عمال الاكاسرة لم يكن أحد من العرب أكثر غارة على أهل مملكتهم من بني يربوع ، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الردافة وأن يكفوا عن الغارة على أهل العراق ، وكانت الردافة ، أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه ، فاذا شرب الملك شرب الردف قبل الناس واذا غزا الملك جلس الردف في مجلسه ، وخلفه الملك على الناس حتى يرجع من غزاته » (٤٨) ٠

ومن الأمثال العربية التي تشير الى معرفة العرب بالفرس وحلفائها في ميدان القتال ، قولهم : « أبطش من دوسر » ، وهي احدى كتائب النعمان وأشدها بطشا ، ونكاية ، يقول الشاعر :

ضربت دوسر فيهم ضربة　　أثبتت أوتاد ملك فاستقر (٤٩)

ويرسم لنا النويرى صورة عن التبادل التجاري بين ملوك الحيرة والقبائل العربية ، فيقول ان النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة كان يبعث الى سوق عكاظ في كل عام لطيمة (أي العير التي تحمل الطيب) في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيرها له حتى تباع هناك ، يشتري له بها من أدم الطائف ما يحتاج اليه ، وكانت سوق عكاظ تقوم في أول يوم من ذى القعدة ، فيتسوقون الى حضور الحج ثم يحجون (٥٠) ٠

ومما تذكره المصادر الأدبية أيضا في مجال العلاقة بين العرب والفرس ، أن اياس بن قبيصة الطائي وأمه أمامة بنت مسعود أخت هانىء بن مسعود الذي أودع عنده النعمان أسلحة قبل أن يقدم على كسرى ، كان عامل كسرى على عين التمر وما والاها الى الحيرة ، وقد أطعمه كسرى أبرويز ثلاثين قرية على شاطىء الفرات واستعمله على الحيرة ، ولما غزا كسرى بنى بكر بعد مقتل النعمان في ذى قار كان اياس أحد قواده (٥١) ٠

ويستدل الباحثون بشعر للأعشى ، على أن النعمان مات عند كسرى سجينا في ساباط ـ خلافا لما ورد في روايات أخرى ـ وذلك حيث يقول :

ولا الملك النعمان يوم لقيته　　بأمته يعطي القطوط ويأفق

فذاك وما أنجى من الموت ربه　　بساباط حتى مات وهو محزرق (٥٢)

أخبار القبائل العربية :

أما أخبار القبائل العربية نفسها فنجد في المصادر الأدبية فيضا زاخرا منها : قسم يتصل بأخبار تاريخية خاصة بكل قبيلة ، أو أخبار تاريخية عامة ، وقسم آخر يتصل بأنسابها وتقاليدها وعاداتها ومعتقداتها ، وثالث يهتم بوقائعها والعلاقات القائمة بينها ٠

فمن القسم الأول مثلا يعرفنا أبوعبيدة بقيون العرب ، ونحن نعلم أن هذه المهنة لم تكن موضع احترام بين العرب بصفة عامة ، فيقول في شرحه بيت جرير :

مصاليت يوم الروع تلقى عصينا　　سريجية يخلين ساقا ومعصما

« السريجية نسبها الى بني سريج من بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة وكانوا قيونا » (٥٣) ٠

ويعرفنا الجاحظ بأن أزدعمان كانوا ملاحين (٥٤) ـ ويقول أبو عبيدة في تعريفنا ببعض الحكام في الجاهلية وبأول من حابى منهم : « كان حكام بني تميم في الجاهلية ستة : ربيعة بن فحاش أحد بنى أسيد بن

عمرو بن تميم ، وزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وضمرة بن ضمرة النهشلي ، وأكثم بن صيفي ، وأبوه صيفي من بني أسيد بن عمرو ، ويقال ان الأقرع بن حابس أول من حابى الحكومة في منافرة جرير بن عبد الله البجلي ، وخالد بن أرطاة الكلبي » (٥٥) ٠

كذلك يخبرنا أبو عبيدة عن صعصعة أحد أشراف بنى تميم الذي كان يلقب بمحيي الوئيدات ، بأنه كان كلما ولدت امرأة جارية يكفل ابنتها لئلا توأد (٥٦)٠ وقد حكى المبرد أن عدة من أحياهن من الجوارى ثمانون ومائتا مؤودة (٥٧) ، ويصل العدد في بعض المصادر الأخرى الى أربعمائة ٠ وهذا الخبر يؤكد أن وأد البنات كان سببه الأول الفقر وان كان بعض الباحثين (٥٨) يرون أن بعض القبائل كانت تئد بناتها لاعتقادها بأنهن بنات الله ، فكانوا يقولون ان الله تعالى أحق بهن ٠ وينقل عن الزمخشرى في « **الكشاف** » أن البنت كانت تترك حتى السادسة اذا أريد وأدها ، ثم يقول الأب لأمها طيِّبيها وزيِّنيها حتى اذهب بها الى أحمائها (٥٩) ٠

ويزودنا الجاحظ بمعلومات طريفة عن القبائل العربية حين يتحدث عن أسمائها وعلاقة تلك الأسماء بالحيوان أو المظاهر الطبيعية ، فيقول في ذلك : ومن ولد ربيعة بن نزار كلب وكلاب ومكالب ومكلبة ، ومن هذا الباب كليب بن يربوع ، وكلب بن وبرة ، ومنه بنو الكلبة ، والكلبة لقب مية بنت علاج بن شحمة العنبرى (٦٠) ٠

ويقول أيضا : والعرب انما كانت تسمى بكلب وحمار وحجر وجُعل وحنظلة وقرد على التفاؤل بذلك ٠٠ ووجدناهم يسمون بجبل وسند وطود ، ولا يسمون بأحد ولاثبير وأجأ وسلمى ورضوى ٠٠ ويسمون ببرج ولا يسمون بفلك ، ويسمون بقمر وشمس على جهة اللقب أو على جهة المديح ، ولم يسموا بأرض وسماء وهواء وماء ٠ وهذه الأصول في الزجر أبلغ ، كما أن جبلا أبلغ من حجر وطودا أجمع من صخر ، وتركوا أسماء جبالهم المعروفة وقد سموا بأسد وليث وأسامة وضرغامة ، وتركوا أن يسموا بسبع وسبعة (٦١) ويتحدث الجاحظ عن الشرف والخمول في قبائل العرب (٦٢) ، وعن طبيعة الأحلاف التي كانت موجودة بين القبائل (٦٣) ، كما يخبرنا عن وجود زرق العيون بين العرب ويسميهم لنا (٦٤) ويصف لنا كثيرا من العادات المتبعة عند العرب كتلبيد الشعر وهو أخذ شيء من خطمى وآس وسدر وشيء من صمغ فيجعله العربي في أصول شعره وعلى رأسه كي يتلبد شعره ولا يعرق ويدخله الغبار ، ويخم فيقمل وكان العرب يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل، فكان التلبيد يقل معه القمل (٦٥) ٠

كذلك يصف لنا الجاحظ لعب الأعراب الشائعة بينهم كالبقيري وعظيم وضاح والخطرة والدارة والشحمة والحلق ولعبة الضب ، ويعقب عليها بعد أن شرحها فيقول : « وهذا كله في ليالى الصيف عن عب ربيع مخصب (٦٦) ٠

وقد اعتادت القبائل العربية ايقاد النار في مناسبات كثيرة منها الاستسقاء ، وكانت الجاهلية الأولى ـ فيما يقول النويرى ـ اذا تتابعت عليهم الأزمات واشتد الجدب واحتاجوا الى الأمطار ، يجمعون لها بقرا معلقة في أذنابها وعراقيبها السلع والعشر ، ويصعدون بها الى جبل وعر ويشعلون فيها النار ويضجون بالدعاء والتضرع ، وفي ذلك يقول الوديك الطائي :

لادر در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعشر

أجاعل أنت بيقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

ويقول أمية بن أبي الصلت :

ويسوقون باقر السهل للطود مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في بكر الأذناب منها لكي تهيج النحورا
سلع وما مثله عشر ما عائل وما عالت البيقورا (٦٧)

وكان العرب في الجاهلية اذا لم يحبوا رجوع شخص رحل عنهم أوقدوا خلفه نارا وفي ذلك يقول الشاعر :

وجمة قوم قد أتوك ولم تكن لتوقد ناراً خلفها للتندم (٦٨)

كذلك كانوا اذا عقدوا حلفا شبوا نارا ، ويدعون الله بالحرمان والمنع على الذي ينقض العهد ، ويطرحون فيها الكبريت والملح ، فاذا فرقعت هوّل على الحالف (٦٩) ٠

وكانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج على الأخشب ، وهو الجبل المطل على منى ، ثم صاحوا : هذه غدرة فلان ، تقول امرأة من هاشم في ذلك :

فان نهلك فلم نعرف عقوقاً ولم توقد لنا بالغدر نار (٧٠)

وواضح من هذه العادات أن العرب في جاهليتهم كانوا يعتقدون بوجود قوة سحرية في النار ، قد تصل في بعض الأحيان الى حد التعبد لها ٠ وللعرب الجاهليين في حروبهم عادات كثيرة تذكرها المصادر الادبية ، منها ايقاد النار في الحرب للأهبة والانذار (٧١)، ومنها أن الفارس اذا قتل رجلا مشهورا وضع سيفه عليه ليعرف قاتله ، يقول متمم بن نويرة في ذلك :

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات أروعا

ويقول عنترة :

اذا لاقيت جمع بنى أبان فاني لائم للجعد لاحي
كسوت الجعد جعد بنى أبان ردائي بعد عري وافتضاح (٧٢)

كذلك كانوا يتمدحون ببعد المغزى ، كما ينبئنا الشاعر الجاهلي الحارث بن يزيد في قوله :

لا لا أعق ولا أحوب ولا أغير على مضر
لكنما غزوى اذا ضج المطى من الدبر (٧٣)

وكانوا يمسكون عن بكاء قتلاهم حتى يدركوا ثأرهم ، فاذا أدركوه بكوا حينئذ ، يقول الربيع بن زياد العبسى :

من كـان مسروراً بمقتـل مالـك فليأت نسوتنا بوجـه نهـار

يجـد النساء حواسراً يندبنـه يلطمـن أوجههـن بالأسحـار

قد كـن يكنّن الوجوه تستراً فـالآن حـين بـرزن للنظـار (٧٤)

ومن عاداتهم في الحروب أنهم اذا أسروا رجلا ومنّوا عليه فأطلقوه جزوا ناصيته ووضعوها في الكنانة، تقول الخنساء :

جـززنـا نواصى فرسانهـم وكـانوا يظنون أن لا تجزا (٧٥)

أما عاداتهم في طعامهم فتفيض المصادر الأدبية في ذكرها ، ويقول الجاحظ ان العرب كانت في الجاهلية تأكل دم الفصد (٧٦) وتفضل طعمه وتخبر عما يورث من القوة (٧٧) ، كما كانت تأكل الحيات (٧٨) ، ويقول أيضا : « زعم ناس أن العرب لم تكن تأكل القرود ، وكان من تنصر من كبـار القبائل وملوكهـا يأكـل الخنزير فأظهر القرآن لذلك تحريمه ، اذ كان هناك عالم من الناس وكثير مـن الأشراف والوضعـاء والملوك والسوقـة يأكلونه أشد الاكل ، ويرغبون في لحمه أشد الرغبة » (٧٩) ٠ ومن العادات التي تفسر علاقة الرجل بالمرأة فـي المجتمع الجاهلي ، ما يسمى بالرتائم واحدتها الرتيمة ، وهي أن يعقد الرجل اذا أراد السفر شجرتين أو غصنين، فان رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها له ، فان لم يجدهما على ما تركهما فقد خانته (٨٠) ٠

ومن المعتقدات الغريبة في هذا المجال ، أن الرجل اذا أحب امرأة وأحبته ، فلم يشق برقعها ولم تشق هي رداءه فان حبهما يفسد ، يقول في ذلك سحيم عبد بني الحسحاس :

فكم قـد شققنـا مـن رداء محبر ومن برقع عـن طفلـة غـير عانس

اذا شق بـرد شق بالبرد مثلـه دواليـك حتـى كلنـا غـير لابس (٨١)

وكان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فان لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض اخوته بمهر جديد ، فكانوا بذلك يرثون نكاح النساء كما يرثون المال (٨٢) ٠

وكانت المرأة في الجاهلية اذا توفى عنها زوجها دخلت حفشا (أي خصا) ولبست شر ثيابها فلم تمس طيبا ولا شيئا حتى تمر لها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض به أي تتمسح به ، ويزعمون أنه قلما تفتض بشيء الا مات (٨٣) وكل هذا مرتبط فيما أرى بمعتقداتهم في السحر الذي يسيطر عادة على الأمم القديمة ٠

ومن عادات العرب فى جاهليتهم ما يتصل بمعتقداتهم الدينيـة ، فكانوا يعظمون الأشهر الحرم الأربعـة ويتحرجون فيها من القتال، وكانت قبائل منهم يستبيحونها ، فاذا قاتلوا في شهر حرام حرّموا مكانه شهرا من أشهر الحل ويقولون : نُسىء الشهر (٨٤) ٠

وكان أهل الوبر يقدمون لآلهتهم من اللحم ، وأهل المدر يقدمون لها من الحرث ، فكانت الناقة اذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس ـ ما لم يكن ذكرا ـ فشقوا أذنها وسموها البحيرة (٨٥) ٠

وكانوا اذا عرض لهم أمر يريدون أن يصح لهم وجه فيه ، يأتون الى السادن من سدنة الأوثان ليستقسموا بالأزلام ٠ وكان من عاداتهم في رجب أن يأخذ الرجل الشاة فيذبحها ويصب دمها على رأس الصنم وتسمى العتير والمعتورة (٨٦) ٠

وتذكر بعض المصادر الأدبية أن كهنة العرب كان لهم أتباع من الشياطين ، يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور ، حتى جاء الاسلام فمنعت الشياطين من استراق السمع ، فعند ذلك انقطعت الكهانة ٠ وتحكى تلك المصادر أخبارا كثيرة عن الكهنة والدور الذي قاموا به في الوقائع التي حدثت بين القبائل العربية (٨٧) ٠

كذلك تحكى المصادر الأدبية أخبارا كثيرة عن المتألهين والمتحنفين الذين كرهوا عبادة الأصنام في الجاهلية ، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل الذي يعلن توبته عن الأصنام في قوله :

تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني غنم أزور

ولا هُبلا أزور وكان رباً لنا في الدهر اذ حلمي صغير (٨٨)

واذا كانت المصادر الأدبية قد اهتمت بذكر أنساب القبائل العربية وأصولها وفروعها ، فهي لم تغفل كذلك أنساب الخيل الأصيلة والابل الكريمة ، فمن ذلك مثلا ما ذكر من أن أكرم فحل كان للعرب من الابل يسمى عصفورا وتسمي أولاده عصافير النعمان (٨٩) ، كذلك يذكر أبو عبيدة فحلين نجيبين أحدهما يسمى أعوج والآخر ذا العقال (٩٠) ٠

وكانت الملوك حين تهب الابل تغرز الريش في أسنمتها علامة لحباء الملك وحماية لها وتشريفا لصاحبها، قال الشاعر :

يهب الجلاد بريشها ورعائها كالليل قبل صباحه المتبلج

وقيل في الأخبار : رجع النابغة الذبياني من عند النعمان وقد وهب له مائة من عصافيره بريشها ٠ وكان الملوك يستخدمون الريش اذا جاءتهم الخرائط بالنصر ، فكانوا يغرزون فيها قوادم ريش أسود (٩١)٠ وتكشف لنا حرب داحس والغبراء عن اهتمام العرب البالغ في جاهليتهم بتربية الخيل واعداد السباق بينها وعقد المراهنات عليها لاهميتها العظيمة لهم في الحروب ٠

أيام العرب :

ومما لا شك فيه أن أيام العرب تحفل بصور تاريخية دقيقة توضح بجلاء طبيعة العلاقات السائدة بين القبائل العربية ، وتزخر المصادر الأدبية بأحاديث هذه الحروب والوقائع ٠ ولعل من أهمها وأبرزها ما قيل في طسم وجديس ، وهما من العرب العاربة وكان منزلهما اليمامة واسمها في ذلك الوقت (جو) ٠ وقد

ذكرت أشعار كثيرة مع تفصيلات القصة (٩٢) وهي بلا شك من وضع الرواة المتأخرين ، ولكن القصة نفسها لها نصيب من الصحة ، وقد أشار اليها الأعشى ذاكرا زرقاء اليمامة التي كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام فرأت جيش الاعداء ، ولكن أهلها كذبوها ولم يأخذوا للأمر أهبتهم فاقتحم الأعداء ـ بقيادة تبع حسان ـ ديارهم وخربوها ، يقول الأعشى مخاطبا ابنته :

كوني كمثل التي اذ غاب وافدها — أهدت له من بعيد نظرة جزعا

ولا تكوني كمن لا يرتجى أوبة — لذى اغتراب ولا يرجو له رجعا

ما نظرت اشفار كنظرتها — حقاً كما صدق الذئبي اذ سجعا

اذا نظرت نظرة ليست بكاذبة — اذ يرفع الال رأس الكلب فارتفعا

وقلبت مقلة ليست بمقرفة — انسان عين ومؤقا لم يكن قمعا

قالت أرى رجلا في كفه كتف — أو يخصف النعل لهفي أيه صنعا

فكذبوها بما قالت فصبَّحهم — ذوآل حسان يزجي الموت والشرعا

فأستنزلوا أهل جو من مساكنهم — وهدموا شاخص البنيان فاتضعا (٩٣)

وقد أقبلت وفود العرب على سيف بن ذى يزن تهنئه بطرد الحبشة بعد أن دام احتلالها لليمن فترة طويلة ، وسجل أبو الصلت والد أمية مسيرة ابن ذى يزن الى الروم في طلب معونتهم وانفضاضهم من حوله ، ثم ذهابه الى الفرس الذين أمدوه بقوة نجح بها في طرد الأحباش ، يقول :

لا يطلب الثأر الا كابن ذى يزن — في البحر خيم للأعداء أموالا

أتى هرقل وقد شالت نعامته — فلم يجد عنده النصر الذي سالا

ثم انتحى عند كسرى بعد عاشرة — من السنين يهين النفس والمالا

حتى أتى ببني الأحرار يقدمهم — تخالهم فوق متن الأرض أجبالا

من مثل كسرى شهنشاه الملوك له — أو مثل وهرز يوم الجيش اذ صالا

لله درهم من فتية صبروا — ما ان رأيت لهم في الناس أمثالا

بيض مرازبة غلب أساورة — أسد تربب في الغيضات أشبالا

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقد — أضحى شريدهم في الأرض فلالا

فأشرب هنيئا عليك التاج مرتفقاً   في رأس غمدان داراً منك محلالا (٩٤)

واذا كان الشعر الجاهلي قد مدح الفرس لمعاونتهم ابن ذى يزن في طرد الأحباش ، فانه زخر بتحدى الفرس وهجائهم في يوم الصفقة ، وتوجد في المصادر الأدبية أخبار تاريخية كثيرة تتصل بهذا اليوم ، فأبو عبيدة مثلا يحكي لنا أنه لما أوقع كسرى ببني تميم يوم الصفقة ، فقتلت المقاتلة وبقيت الذرية والأموال ، طمعت القبائل اليمنية فيها فمشى بعضهم الى بعض ، وأرادوا الاستيلاء على أموال التميميين غير أن المأمور الحارثي الكاهن خوّفهم ذلك (٩٥) ·

وسبب هذه الحرب أن تميما نهبت قافلة من قوافل كسرى ، كانت تمر بين اليمن وفارس في موضع منْ أرضهم يسمى نطاع ، فآوى هوذة الحنفي رجال القافلة الذين كانوا يسيرون في حراستها وقدم على كسرى ، فكساه وأعطاه ثم دبر معه مكيدة للايقاع بتميم ، وذلك بأن يمنع عنهم الميرة ، فاذا نالت منهم الحاجة أقام لهم سوقا في حصن المشقر ، وقد أعد للأمر رجاله فاذا تهافتوا فيه قتلهم ·

وكان لكسرى وحليفه هوذة ما أرادا ، ولكن التميميين تنبهوا للامر حين رأوا الداخل لا يخرج وثاروا على هوذة فأمر باطلاق مائة من خيارهم وفر هاربا ·

وللأعشى قصيدة تاريخية في هذا اليوم ينفي فيها عن هوذة (وكان أحد ممدوحيه البارزين) اشتراكه في تدبير المؤامرة ونسب ذلك لكسرى نفسه ، بل مدح هوذة لانه شفع في اطلاق مائة من أسرى بني تميم ·

ويذكر ابن الأثير أن هوذة كان نصرانيا وأن الصفقة كانت في يوم الفصح ، ويستشهد على ذلك بالبيت الأخير من شعر الأعشى الذي سأورده هنا · ويقول ان هذه المعركة حدثت أيام كسرى أبرويز بن هرمز ابن كسرى أنو شروان· بينما يشترك أبو الفرج الاصفهاني مع الطبرى في جعلها في ملك كسرى أنوشروان · ورأي ابن الأثير صحيح لأن بين وفاة كسرى أنو شروان وبين الهجرة أربعة وأربعون عاما ، وكان هوذة أحد الذين أرسل لهم الرسول صلوات الله عليه الكتب يدعوهم للاسلام في السنة السادسة للهجرة ، فلو صح ما يرويه الأصفهاني والطبرى لكان هوذة قد عاش بعد يوم الصفقة خمسين سنة على الأقل ، وهو أمر بعيد عن التصديق · يقول الأعشى في هذا اليوم :

سائل تميماً به أيام صفقتهم   لما رآهم أسارى كلهم ضرعا

وسط المشقر في عيطاء مظلمة   لا يستطيعون فيها ثم ممتنعا

لو أطعموا المنّ والسلوى مكانهم   ما أبصر الناس طعماً فيهم نجعا

بظلمهم بنطاع الملك ضاحية   فقد حسوا بعد من أنفاسهم جرعا

أصابهم من عقاب الملك طائفة   كل تميم بما في نفسه جدعا

فقال للملك سرح منهم مائة   رسلا من القول مخفوضا وما رفعا

ففك عن مائة منهم وثاقهم   فأصبحوا كلهم من غله خلعا

بهـم تقرب يوم الفصح ضاحيـة　　يرجو الاله بما اسدى ومـا صنعا (٩٦)

كذلك كان يوم ذى قار (وهو نفسه الحِنو ، وقراقر ، والجبابات ، وذات العجرم ، وبطحاء ذى قار ، وكل هذه الأماكن حول ذى قار) (٩٧) من المعارك العنيفة التـي دارت بيـن العرب والفرس ، ومـن ذلـك ابيات للأعشى يصف فيها هزيمة الفرس فيقول :

فصبحهـم بالحنو حنو قراقـر　　وذى قارهـا منهـا الجنود ففلت

على كـــل محبوك السراة كـأنـه　　عقاب هوت مـن مرقـب اذ تعلت

فجادت على الهامرز وسط بيوتهم　　شآبيـب موت أسبلت واستهلت

تناهت بنو الأحرار اذ صبرت لهم　　فوارس مـن شيبـان غلب فولت (٩٨)

الخرافات والأساطير ودلالاتها :

واذا تركنا أيام العرب التي تزخر بالأخبار التاريخية المهمة ونظرنا فيما نقلته الينا المصادر الأدبية من خرافات العرب وأساطيرهم ، وهي – كما سبق أن ذكرت – لها دلالات عند الأنثروبولوجيـين قـد تفسر بعض الأحداث التاريخية أو تكشف عن طبيعة التبـادل الثقافي والحضاري للأمم القديمة ٠ وما من شك في أن ثارات العرب كان لها دور كبير في اشعال نار كثير من الحروب التي وقعت في الجاهلية ، ونستطيع أن ندرك قيمة الثأر فيما لو ربطناه بما يعتقده العرب في جاهليتهم من أنه اذا قتل قتيل خرجت من رأسه هامة تصيح على قبره اذا لم يدرك بثأره : أسقوني فاني عطشى ، فاذا أدرك بثأره سكتت (٩٩) ٠ واعتقاد العرب الجاهليين في الجن يحتاج الى دراسة تحليلية لاستخلاص دلالاتـه الحضارية والنفسية ، فكانوا لا يصيدون يربوعا ولا قنفذا ولا ورلا من أول الليل ، وكذلك كل شيء يكون عندهم من مطايا الجن كالنعام والظبـاء ، فـان قتـل أعرابي قنفذا أو ورلا من أول الليل أو بعض المراكب لم يأمن على فحل ابله ، ومتى أصابه شيء حكم بأنه عقوبة من قبلهم (١٠٠) ٠

وكانوا يعتقدون أن مـن الابل وحشيا وكذلك الخيل ، وأن تلك الابل تسكن أرض وبار لأنها غـير مسكونة ، وقال آخرون : هذه الابل الوحشية هي الحوش من بقايا ابل وبار ، فلما أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمم مثل عاد وثمود والعمالقة وطسم وجديس وجاسم ، بقيت ابلهم في أماكنهم لا يركبها أنسي ، فان ذهـب أحد الى تلك الأماكـن حثت الجن فـي وجهه فان ألح خبلته (١٠١) ٠

وكانوا يعتقدون وجود ناس من أولاد السعالى كعمرو بن يربوع (١٠٢) كما كانوا يعتقدون أن جرهماً كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، فلما عصى الله تعالى بعض الملائكة وأهبطه الى الارض في صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما (١٠٣) ٠

وكان العرب فـي الجاهليـة يضربون الثور اذا امتنعت البقر عن الماء ويقولون ان الجن تركب الثيران ، وتصد البقر عن الشراب (١٠٤) ، وفي ذلك يقول الاعشى :

واني ومـا كلفتمونـي وربكـم　　ليعلم من أمسى أعق وأحربـا

لكالثور والجني يضرب ظهره   وما ذنبه أن عافت الماء مشربا
وما ذنبه أن عافت الماء باقر   وما ان تعاف الماء الا ليضربا (١٠٥)

وكانوا يعتقدون أن من علق على نفسه كعب أرنب لم تقربه الجن (١٠٦) ولم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أن الجن تهرب من الارانب فهي ليست من مطاياها لانها تحيض (١٠٧) ٠

وتفيض المصادر الأدبية في ذكر المعتقدات الخرافية عند العرب الجاهليين فكانوا اذا أصاب ابلهم الجرب يكوون السليم ليذهب المرض عن السقيم ، كما كانوا يعلقون الحلي والجلاجل على الملدوغ ليفيق ، وكانوا يفقأون عين الفحل اذا بلغت الابل عند أحدهم ألفا ، فان زادت عن الألف فقأوا العين الأخرى وذلك بدعوى دفع الحسد ، وكانوا يعتقدون أن المقلات التي لا يبقى لها ولد ، اذا وطئت قتيلا شريفا بقي ولدها (١٠٨)٠

ومن معتقداتهم الغريبة أنه اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ويعكسون رأسها الى ذنبها ، ويغطون رأسها بولية وهي البردعة ، فان أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى ويزعمون أنهم انما يفعلون ذلك ليركبها صاحبها في المعاد ليحشر عليها فلا يحتاج أن يمشى ، قال أبو زبيد :

كالبلايا رؤوسها في الولايا   مانحات السموم حر الخدود (١٠٩)

وهذا الاعتقاد الذي يكشف عن ايمان العرب الجاهليين بالبعث والنشور يشبه الى حد بعيد معتقدات المصريين القدماء في الحياة الآخرة ، ومن الخرافات التي اختلطت بالأخبار التاريخية اعتقادهم بأن الله تعالى قد أهلك بالذر والجراد ، أمما سابقة ، قال أمية بن أبي الصلت في ذلك :

أرسل الذر والجراد عليهم   وسنيناً فأهلكتهم دمورا
ذكر الذر يفعل الشر   وان الجراد كان ثبورا (١١٠)

كما كانوا يعتقدون أن الذي فجر سد مأرب وسبب دخول الماء الفأرة (١١١) ومن هذه الخرافات الممتزجة بالأخبار التاريخية حكاياتهم عن سنمار (١١٢) وعن لقمان بن عاد الذي تزوج عدة نساء كلهن خنّه في أنفسهن ، فلما قتل آخرهن ونزل من الجبل كان أول من تلقاه صحر ابنته فقتلها، وقال وأنت أيضا امرأة ، وكان قد ابتلى بأن اخته كانت محمقة وكذلك كان زوجها فقالت لاحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهري وهي ليلتك، فدعيني أنام في مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى أن يقع عليّ فأنجب ، فوقع على أخته فحملت بلقيم وفي ذلك يقول النمر بن تولب :

لقيم بن لقمان من أخته   فكان ابن أخت له وابنما
ليالي حمق فاستحصنت   عليه فغر بها مظلما
فأحبلها رجل محكم   فجاءت به رجلا محكما (١١٣)

وقد تكون القصة موضوعة لتفسير زواج الأخت الذي كان شائعا عند كثير من الأمم القديمة ، وربما كان

له أثر في التاريخ القديم للجزيرة العربية اذ لا نعدم ظواهر مشتركة في العادات والمعتقدات والنظم الاجتماعية ·

صورة الحياة في العصر الجاهلي :

وتعكس المصادر الأدبيـة صورة الحياة فـي الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، وهي تطلعنا على التاريخ الحضاري وعلى الظروف الطبيعية التي كانت سائدة آنذاك ، ويبدو أن شهرة الروم فـي مجال الأبنيـة كانـت ذائعة بين العرب حتى انهم اذا ارادوا تشبيه ضخامة الناقة وصفوها بأنها كقنطرة الرومي (١١٤) ·

ولم تكن الأبنية المشهورة هي وحدها القائمة في الجزيرة العربية ، بل كانت هناك أبنية أخرى ضخمة من الحجارة أقامها أفراد عاديون ذوو يسار وان لم يكونوا ملوكا ، فهذا الشاعر الجاهلي ، راشد بن شهاب اليشكري يفخر بالقصر الذي بناه في البحرين فيقول :

بنيت بشـاج مجدلا من حجارة　　لأجعله عزاً على رغم من رغم

أشم طوالاً يدحض الطير دونه　　له جندل مما أعدت لـه ارم

ويأوي اليه المستجير من الردى　　ويأوي اليه المستعيض مـن العدم (١١٥)

ويصف الأعشى حياة القصور وصفا يدل على ما كانت فيه من مستوى حضارى رفيع في أدواتها وآنيتها ، فهو يصف الاماء بأنهن يختلن في أكسية الحرير المختلفة الألوان ، وأنه كان يشرب الخمر في الكؤوس ، ويأكل في آنية الفضة ، يقول :

والبغايا يركضن أكسية الاضريح والشرعبـي ذا الأذيال

والمكاكيك والصحاف من الفضة والضامرات تحت الرجال (١١٦) ·

ويقول ان ممدوحه يهب الندامى الجوارى المغنيات في ثيابهن المهفهفة من الحرير والكتان :

هو الواهب المسمعات الشروب بين الحرير وبين الكتن (١١٧) ·

ويصف محبوبته فنرى امرأة متحضرة تلبس الحرير والأساور المطعمة بالأحجار الكريمة يقول :

ترى الخـز تلبسه ظـاهراً　　وتبطن من دون ذاك الحريرا

اذا قلـدت معصمـاً يارقـين　　فصل بـالـدر فصلا نضيرا

وجـل زبـرجـدة فـوقـه　　وياقوتـة خلت شيئـاً نكـيرا

فألوت بـه طـار منك الفؤاد　　وألفيـت حـيران أو مستحيرا (١١٨)

ويحكي لنا حسان بن ثابت عن مجلس جبلة بن الأيهم في الجاهلية فيقول انه رأى فيه عشر قيان : خمس

منهن يغنين بالرومية على برابط ، والخمس الأخريات يغنين غناء أهل الحيرة · ويذكر أن اياس بن قبيصة الطائي كان قد أهدى هؤلاء الجوارى الى جبلة (١١٩) ·

ويصور لنا الأعشى الحانة التي يغشاها وقد تناثرت فيها قضب الريحان وهي تموج بالنساء السمينات يجررن ذيول الريط رافلات وقد نشطت القيان للغناء على نغمات العود وجرس الصنج بينما يدور على الشاربين ساق نشيط في أذنه لؤلؤتان :

نازعتهم قضب الريحان متكئاً — وقهوة مزة راووقها خضل

يسعى بها ذو زجاجات له نطف — مقلص أسفل السربال معتمل

ومستجيب تخال الصنج يسمعه — اذا ترجع فيه القينه النضل (١٢٠)

غير أننا نلاحظ دائما أن الخمَّار علج غير عربي ، فالأعشى يقول :

تنخلها من بكار القطاف — أزيرق آمن اكسادها (١٢١)

وغالبا ما يكون الخمَّار يهوديا يأتي بالخمر من بلاد العجم ، يقول المرقش الأصغر :

سباها رجال من يهود تباعدوا — لجيلان يدنيها من السوق مربح (١٢٢)

أما الجوارى فكن أعجميات ينتمين لجنسيات مختلفة ، فالأعشى يذكر التركيات والكابليات في قوله :

ولقد شربت الخمر تركض حولنا ترك وكابل (١٢٣) ·

ويفيض الشعر الجاهلي في تصوير أوقات الجدب والخصب في الجزيرة العربية ، وكان يقال : اذا ظهر البياض قل السواد ، واذا ظهر السواد قل البياض · ويفسر الأصمعي ذلك بقوله : اذا كانت السنة مخصبة كثر الأقط واللبن وقل التمر ، واذا كانت السنة مجدبة كثر التمر وقل اللبن والأقط (١٢٤) ·

ويصف الأعشى في شعره حياة الجدب فيذكر أن الابل تسقط من الجوع والاعياء ، وأن دخان الطبخ يشبه في وقتها البخور في ندرته ، وأن الناس يقعدون حول القدر يرقبونها وينتظرون ما فيها من خير قليل ·

ويصف ابن قميئة ما يحدثه البرد الشديد من آثار الجدب فيقول :

ليس طعمي طعم الأنامل اذ قلص در اللقاح في الصنبر

ورايت الدخان كالودع الأهجن ينباع من وراء الستر

ورأيت الاماء كالجعثن البالى عكوفاً على قرارة قدر (١٢٥) ·

ويحكي لنا شعراء آخرون أن الجدب يدفع كرام العرب الى شرب اللبن مخلوطا بالماء وان الميرة تنفد من القرى (١٢٦) ·

أما في الخصب فيروى العرب وتختال الابل بقوتها وفتوتها وتدر اللبن الغزير ويكثر اللحم ، بل يرى

الاعشى من آثار النعمة عند ممدوحه وجود اللحم المقدد والرطب المعلق فوق الحظائر :

ترى اللحم من ذابل قد ذوى ورطب يرفع فوق العنن (١٢٧)

كما أن من النعمة أن تكون الجياد منعمة تعلف الشعير في الصيف وتجلل بالأكسية التي تصونها وتمنع عنها أذى الرياح ، يقول الأعشى :

جيادك في الصيف في نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا (١٢٨)

وبعد فهذه بعض نماذج الجوانب التاريخية التي تصورها لنا المصادر الأدبية ، وهي بلا شك وبرغم ما يمكن أن يكون للمؤرخين من تحفظات بشأنها ، تسهم الى حد بعيد في سد الفجوات في تاريخ الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، وهي بحاجة الى استقصاء وتنظيم وتبويب ومقابلة بالوثائق التاريخية لتصير مادة لا غنى عنها لمؤرخ الحياة العربية قبل الاسلام .

الهوامش

(١) انظر كولنجوود ، **فكرة التاريخ** ، ص ٤٣ ٠
(٢) انظر هرنشو ، **علم التاريخ** ، ص ٨ ٠
(٣) **العرب قبل الاسلام** ، ص ١٠ ٠
(٤) **العرب في أحقاب التاريخ** ، ص ١٥٤ ٠
(٥) John Lewis, *Anthropology*, (London, 1969), p. 180.
(٦) أحمد كمال زكي في كتابه **الأساطير** (طبع مكتبة الشباب ٠ القاهرة ، ١٩٧٥م) ٠
(٧) **الأساطير** ، ص ٨٢ ٠
(٨) **الموضع السابق نفسه** ٠
(٩) **المرجع نفسه** ، ص ٨٣ ٠
(١٠) **المرجع نفسه** ، ص ١٠١ ٠
(١١) **الأغاني** (طبعة دار الكتب المصرية) ، ج١٠ ، ص ٤٠ ٠
(١٢) **نهاية الأرب** ، ج١ ، ص ١٦٥ ٠
(١٣) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٩ ٠
(١٤) **نقائض جرير والفرزدق** ، ج١ ، ص ٢٢٤ ٠
(١٥) **الحيوان** ، ج٧ ، ص ١٠١ ٠
(١٦) **المرجع نفسه** ، ج١ ، ص ٦٨ ٠
(١٧) **المرجع نفسه** ، ص ٦٩ ٠ وللجاحظ تعليق مهم يشرح به كلمة المهارق فهو يقول : « والمهارق ليس يراد بها الصحف والكتب، ولا يقال للكتب مهارق حتى تكون كتبَ دين أو كتب عهود وميثاق أمان » ٠
(١٨) **المرجع نفسه** ، ص ٧٢ ٠
(١٩) **المرجع نفسه** ، ص ٧٣ ٠
(٢٠) **نهاية الأرب** ، ج١ ، ص ٣٨١ ٠
(٢١) انظر ديوانه ، ص ١١٢ ٠
(٢٢) **ديوان الأعشى** ، ص ٤٣ ٠
(٢٣) **نهاية الأرب** ، ج١ ، ص ٣٨١ ٠
(٢٤) **ديوان الأعشى** ، ص ١٧٣ ٠
(٢٥) **نهاية الأرب** ، ج١ ، ص ٣٨٦ ٠
(٢٦) **المفضليات** ، ص ٢١٧ ٠ وسنداد نهر أسفل الحيرة ٠ أما كعب بن مامة فهو أحد أجواد العرب المشهورين ، وابن أم دؤاد يعني به أبا دؤاد الايادي الشاعر الجاهلي ، وأنقرة بلد بالحيرة بالقرب من الشام (**كذا**) ٠
(٢٧) هكذا تصدر في المصادر ، ولكن يتضح من الوصف أن الكلمة مثنى ٠
(٢٨) **نهاية الأرب** ، ج١ ، ص ٣٨٦ ٠
(٢٩) **ديوان الأعشى** ، ص ٢٨٩ ٠
(٣٠) يقصد ساسان ملك الفرس ويقصد بمورق ملك الروم ٠
(٣١) **ديوان الأعشى** ، ص ٢١٧ ٠ والمناصف الخدام ، والديسق خوان من فضة ٠
(٣٢) **المصدر نفسه** ، ص ٤٣ ٠
(٣٣) **الحيوان** ، ج٦ ، ص ١٥٦ ٠
(٣٤) هو جابر بن حني شاعر جاهلي قديم كان صديقا لامرىء القيس ٠
(٣٥) يوجد قبل هذا البيت في **المفضليات** بيت آخر هو :

ويوما لدى الحشّار من يلو حقه   يبزبـز وينزع ثوبــه ويلطـم

(وفيه تفصيل طريف اذ يقول ان الحاشر وهو جابى المال اذا أراد أحد أن يمطله حقه اضطره الـى الدفع بالعنف والاهانة) .

(٣٦) هو يزيد بن الحذاق الشنى العبدى كما جاء في **المفضليات** .

(٣٧) **الحيوان** ، جـ٦ ، ص ١٤٨ .

(٣٨) **ديوان الأعشى** ، ص ١٥ .

(٣٩) **المصدر نفسه** ، ص ٢٨١ .

(٤٠) **المصدر نفسه** ، ص ٧٩ .

(٤١) **ديوان الاعشى** ، ص ٨٧ وقد ورد في **نهايــة الأرب** ، جـ١ ، ص ١٠٩ ، أن الملوك كانوا اذا سبوا قبيلة وخرجت اليهم السادات في الفداء ، كرهوا أن يعرضوا النساء نهـاراً فيفتضحن ، وأمـا في الظلمـة فيخفى قدر ما يحبسون من الصفى لأنفسهم وقدر ما يجودون به وما يأخذون عليه الفداء ، فيوقدون لذلك النار وهي التي يسمونها « نار الفداء » . وأورد النويرى بيت الأعشى برواية **له** بدلا من **لها** ، وبذلك يكون الضمير عائدا الى الملك لا الى النار وهذا يغير المعنى .

(٤٢) **ديوان الأعشى** ، ص ١٠٧ .

(٤٣) الأسود هو أخو الحوفزان وكان في يد كسرى .

(٤٤) **ديوان الأعشى** ، ص ٢٢٩ .

(٤٥) **الأغاني** (طبعة ساسى) ، جـ ٢٠ ، ص ٢٣ .

(٤٦) **النقائض** ، جـ٢ ، ص ٢٧١ .

(٤٧) **المصدر نفسه** ، جـ١ ، ص ٢٥٤ .

(٤٨) **المصدر نفسه** ، جـ٢ ، ص ٦ .

(٤٩) **نهاية الأرب** ، جـ٣ ، ص ١٢ ، وكتب الأمثال.

(٥٠) **المصدر نفسه** ، جـ١٥ ، ص ٤٢٥ .

(٥١) انظر **الأغاني** ، جـ١٦ ، ص ١٤ .

(٥٢) **ديوان الأعشى** ، ص ٢١٧ .

(٥٣) **النقائض** ، جـ١ ، ص ٦٠ .

(٥٤) **الحيوان** ، جـ٣ ، ص ٣١٣ .

(٥٥) **النقائض** ، جـ١ ، ص ١٢٦ .

(٥٦) **المصدر نفسه** ، جـ١ ، ص ٢٥٠ .

(٥٧) انظر **الكامل** للمبرد .

(٥٨) انظر كتاب **الأساطير** ، ص ٩٥ .

(٥٩) انظر : **الكشاف** ، جـ٤ ، ص ١٨٨ .

(٦٠) **الحيوان** ، جـ١ ، ص ٣٠٣ .

(٦١) **المصدر نفسه** ، ص ٣٢٤ .

(٦٢) **المصدر نفسه** ، ص ٣٥٧ .

(٦٣) **المصدر نفسه** ، ص ٣١٢ .

(٦٤) **المصدر نفسه** ، جـ٥ ، ص ٣٣١ .

(٦٥) **المصدر نفسه** ، ص ٣٧٥ .

(٦٦) **المصدر نفسه** ، جـ٦ ، ص ١٤٥ .

(٦٧) **المصدر نفسه** ، جـ١ ، ص ١٠٩ ، وانظر **عيار الشعر ونهاية الأرب** .

(٦٨) **المصدر نفسه** ، والجمة الجماعة يمشون في الدم والصلح ، والمعنى أنك لم تندم على ما أعطيت في الحمالة عند كلام الجماعة ، فتوقد خلفهم نارا كي لا يعودوا ·
(٦٩) **نهاية الأرب** ، جـ١ ، ص ١٠٩ ·
(٧٠) **المصدر نفسه** ·
(٧١) **الموضع نفسه** ·
(٧٢) **الحيوان** ، جـ٣ ، ص ٥٠٥ ، والرداء يعني السيف ·
(٧٣) **المصدر نفسه** ، ص ٧٧ ·
(٧٤) **عيار الشعر** ، ص ٣٢ ·
(٧٥) **نهاية الأرب** ، جـ٣ ، ص ١٢٠ ·
(٧٦) بأن يضعوا الدم بعد فصده في الأمعاء ويشدوها (انظر **الحيوان** ، جـ٤ ، ص ٥٦) ·
(٧٧) **الحيوان** ، جـ٤ ، ص ٩٦ ·
(٧٨) **المصدر نفسه** ، ص ٣٠٢ ·
(٧٩) **المصدر نفسه** ، ص ٤١ ·
(٨٠) **المصدر نفسه** ، جـ٧ ، ص ٤٣٩ ·
(٨١) انظر **عيار الشعر** ، ص ٣٦ ·
(٨٢) انظر **نهاية الأرب** ، جـ٣ ، ص ١٢٠ ·
(٨٣) **الموضع السابق نفسه** ·
(٨٤) **المصدر نفسه** ، جـ١ ، ص ١٦٥ ·
(٨٥) **المصدر نفسه** ، جـ٣ ، ص ١١٦ ·
(٨٦) **المصدر نفسه** ، ص ١٢٠ ·
(٨٧) **المصدر نفسه** ، ص ١٢٨
(٨٨) انظر **الأغاني** ، جـ١٦ ، ص ١٣٥ ·
(٨٩) **الحيوان** ، جـ٥ ، ص ٢٣٣ ·
(٩٠) **النقائض** ، جـ٢ ، ص ١٠ ·
(٩١) **الحيوان** ، جـ٣ ، ص ٤١٨ ·
(٩٢) انظر **الأغاني** و**نهاية الأرب** و**العقد الفريد** وغيرها ·
(٩٣) **ديوان الأعشى** ، ص ١١٣ ·
(٩٤) انظر **الأغاني** (طبعة ساسى) ، جـ١٦ ، ص ٧٣ ، (وفيه نسب الشعر لأمية) وانظر **طبقات فحول الشعراء** لابن سلام ·
(٩٥) انظر **النقائض** ، جـ١ ، ص ١٣١ ·
(٩٦) **ديوان الأعشى** ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ·
(٩٧) انظر **نهاية الأرب** ، جـ١٥ ، ص ٤٣١ ·
(٩٨) **ديوان الأعشى** ، ص ٢٦١ ·
(٩٩) **انظر النقائض** ، جـ١ ، ص ٧٥ ·
(١٠٠) **الحيوان** ، جـ٦ ، ص ٤٦ ·
(١٠١) **المصدر نفسه** ، جـ١ ، ص ١٥٤ ·
(١٠٢) **المصدر نفسه** ، ص ١٨٥ ·
(١٠٣) **المصدر نفسه** ، ص ١٨٧ ·
(١٠٤) انظر **عيار الشعر** ، ص ٣٤ ·
(١٠٥) **ديوان الأعشى** ، ص ١١٥ ·

(١٠٦) **عيار الشعر** ، ص ٣٥ ٠
(١٠٧) **نهاية الأرب** ، ج٣ ، ص ١٢٠ ٠
(١٠٨) **الموضع السابق نفسه** ٠
(١٠٩) **المصدر نفسه** ، ج٣ ، ص ١٢٠ ٠
(١١٠) **الحيوان** ، ج٦ ، ص ١٥٠ ٠
(١١١) **المصدر نفسه** ، ج٥ ، ص ٢٤٩ ٠
(١١٢) **المصدر نفسه** ، ج١ ، ص ٢١ ٠
(١١٣) **الموضع السابق نفسه** ٠
(١١٤) انظر ، **ديوان الاعشى** ، ص ٥ ٠
(١١٥) **المفضليات** ، ص ٣٠٩ ، وثاج قرية بالبحرين ، والمجدل هو القصر ٠
(١١٦) **ديوان الأعشى** ، ص ٩ ٠
(١١٧) **المصدر نفسه** ، ص ٢١ ٠
(١١٨) **المصدر نفسه** ، ص ٩٠ ٠
(١١٩) **الأغاني** ، ج١٦ ، ص ١٤٠ ٠
(١٢٠) **ديوان الأعشى** ، ص ٥٩ ٠
(١٢١) **المصدر نفسه** ، ص ٦٩ ٠
(١٢٢) **المفضليات ، ص ٢٤٢** ٠
(١٢٣) **ديوان الأعشى** ، ص ٣٤٧ ٠
(١٢٤) **الحيوان** ، ج٧ ، ص ١١٨ ٠
(١٢٥) **المصدر نفسه** ، ج٥ ، ص ٧٣ ٠
(١٢٦) **المصدر نفسه** ، ج٧ ، ص ١١٤ ٠
(١٢٧) **ديوان الأعشى** ، ص ٢١ ٠
(١٢٨) **المصدر نفسه** ، ص ٩٩ ٠

تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية

عبد الله الناصر الوهيبي

انه لمن النادر ان نشاهد مكانا في جزيرة العرب أو نسمع عنه اليوم، الا ونجد له ذكرا في الشعر الجاهلي، أو شعر القرن الأول الاسلامي ، أو شعر الذين عاشوا وسط الجزيرة العربية حتى القرن الرابع الاسلامي ، ما لم يكن هذا المكان قد اكتسب تسمية حديثه تحت اسمه القديم الذي ورد في هذه الأشعار ٠

لقد سجل الشعر العربي في تلك الفترة أسماء هذه الأماكن بغزارة وبدقة ، وكان هذا الشعر خير عون لعلماء القرن الثاني الاسلامي ، الذين أخذوا على عاتقهم استخلاص التاريخ العربي القديم من ذلك الشعر وتحويله من سجل يحفظه الرواة عن ظهر قلب ، الى كتب مدونة تجمع بين الوثيقة المكتوبة والنطق المسموع ٠ واذ كان هدفهم من ذلك ، هو تدوين اللغة العربية التي كانت بدورها وسيلة الى تفسير القرآن الكريم ، فقد تحرجوا من الاعتماد الا على ثقات الرواة ، وصاروا يطرحون رواة كثيرين ويتجنبونهم اذا ثبت على أحد منهم التدليس أو الكذب ، أو كثرت فيه الأقاويل ٠ وهذا يجعلنا نعتمد هذه الأشعار في أغلب الأحوال مصدرا دقيقا لاسماء تلك الاماكن وطريقة نطقها ٠

لقد أدرك معظم الباحثين المحدثين تميز اللغة العربية في غناها « في كل ما يتعلق بالتربة وأخص مميزاتها الباطنية والعالمين النباتي والحيواني أيضا » (١) ، ولكنهم لاحظوا بشكل أوضح ما يتميز به الشعر العربي القديم من ذكر المواضع ، يقول كراتشكوفسكي في هذا المجال : « وقد وصلت الينا هذه المادة في آثار فريدة ، ربما كانت الوحيدة من نوعها في الأدب العالمي ٠٠ لقد حفظ لنا الشعر الجاهلي مادة لا تنضب من هذا القبيل » (٢) ٠ ويعتقد أولرخ ثايلو أن الشعر العربي القديم أغنى من شعر أية أمة أخرى في أسماء الاماكن ، والسبب – في نظره – يكمن في طبيعة الحياة في الصحراء ، حيث يضطر البدوى الى الانتقال من مكان الى آخر ، وعلى الشاعر أن يسجل في شعره الأماكن التي قضى فيها شيئا من وقته (٣) ٠ ويظهر لنا أن تعليل ثايلو لهذه الظاهرة ، يشكل على الأقل واحدا من الاسباب التي جعلت الشعر العربي القديم يزخر بهذه القوائم الضخمة من أسماء الاماكن ٠ ولقد سخر من هذه الظاهرة قوم من الشعراء والنقاد في القديم والحديث ، الا أنهم – في نظرنا – لا يدركون طبيعة الحياة التي كان العرب يعيشونها في صحراء الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده ٠ علينا أن نتصور مجموعة من الاعراب هاجرت من مرابعها الى مكان يوجد فيه ماء يسقون منه ماشيتهم في الصيف ويرعونها حول هذا الماء ٠ انهم في الغالب سوف يكونون أفراد عشيرة واحدة ، وسوف تكون خيامهم متقاربة ، وسوف يمضون نهارهم في العناية بأمور ماشيتهم ، ولكنهم منذ أن تغرب الشمس تنتهي أعمال كثير منهم ، ومعظمهم في الغالب أميون ، وحتى من يحسن القراءة منهم لن يجد كتاب يقرأه ، واذا وجده فلن يجد الاضاءة التي تمكنه من الانفراد عن العشيرة والانصراف الى هذا الكتاب ، وهذا هو الذي جعل الانسان العربي – ولا سيما البدوى في الصحراء – شخصا اجتماعيا ينفر من العزلة ، بحيث أن حضر الجزيرة العربية يسخرون الى اليوم من الحاح البدوي في السؤال عن الأخبار ، وذلك يجعلنا نطمئن الى أن أفراد العشيرة في العصر الجاهلي يتجمعون في مكان واحد بعد غروب الشمس ، ويتحلقون من أجل السمر ، ولا بد أن يكون بينهم ناشئة حريصون على سماع أخبار القبيلة وأمجادها القديمة ٠ حينئذ يأتي دور الشاعر ، لكي يقدم لهؤلاء الناشئة وللسامعين من غير أفراد القبيلة ، أبياتا من الشعر أو قصيدة أو قصائد تكون بمثابة سجل لأمجاد القبيلة وتاريخ لبطولتها ، وفي هذه الحالة يجب على الشاعر أن يذكر الاماكن التي كانت خاضعة لحكم القبيلة ، أو كانت من أملاكها ، أو مرت بها القبيلة في طريقها الى الاستقرار ٠ وأحيانا يكون الشاعر وحده في الفلاة ، فتثور أشجانه ويتذكر حبيبته أو أصدقاءه أو قبيلته ، فيذكر الأماكن التي كان فيها معهم ، وفي

كل هذه الحالات يأتي ذكر الأماكن الجغرافية بطريقة منطقية لا خلط فيها ، حيث يذكر الشاعر اسم مكان ما ثم يأتي باسم المكان الذي يجاوره أو يشابهه ، وهكذا الى أن تخرج من شعره بخارطة تقريبية للجزء الذي يتحدث عنه من جزيرة العرب ، هذه كانت المرحلة الاولى من محاولات تسجيل الاماكن الجغرافية شعرا ، والتي كان الشاعر يتقيد فيها بالترتيب الجغرافي للاماكن ، لا يخل به مهما كانت الاسباب ، على الرغم من أنه قد يغير الاسم نفسه بما يلائم الوزن أو القافية ، مما يجعل المكان الواحد يأخذ العديد من الصيغ ، الا أن ذلك لا يعتبر خسارة كبرى اذا قسناه بالمكاسب الضخمة التي حققها لنا تقيد الشاعر العربي القديم بالترتيب الجغرافي للمواقع في مطلع قصيدته ٠ وهذا هو الهدف الذي يقصده شعراء الجاهلية وشعراء القرن الاول الاسلامي وشعراء الجزيرة العربيــة بعد ذلك ، عندمـا يفتتحون قصائدهم بذكر الاماكن ، وهذا هو ما لم يتنبه اليه النقاد الذين سخروا منهم ، بل ولم يتنبه اليه الباحثون الذين سجلوا ظاهرة وجود هذه الأماكن بكثرة في تلك الافتتاحيات ٠ ان هذه الأماكن ترد في تلك الاشعار مرتبة ترتيبا جغرافيا دقيقا ، يصعب معه ارتكاب الخطأ في تحديد مكان ما اذا ورد في شيء من تلك الاشعار ، وذلك بالطبع اذا عرفنا عصر الشاعر الذي قال ذلك الشعر ، وتأكدنا من صحة نسبته اليه ، وفهمنا مضمون قصيدته أو مطلعها على الاقل ٠

ولكن ينبغي أن نكون على حذر دائم لما قد يوقعنا فيه اعتمادنا على الشعر وحده في ما يختص بالأماكـن الجغرافية من أخطاء ، لا في قراءة اسم المكان فقط بل وفي تحديده ، اذ يحدث أن يرد اسم مكان غير مشهور الى جانب مكان آخر ذي شهرة ، فنحكم قاطعين بأن المكان ذا الشهرة هو المقصود بعينه في ذلك الشعر ، مـع أن التعمق في القراءة والبحث ، يهدينا في أحيان كثيرة الى أن المقصود هو مكان آخر لا صلة له بهذا ٠ ونشأ هذا الخطأ من أن بعض القبائل اذا انتقلت من منطقة الى منطقة ، فانها تسمى بعض المواقع في المنطقة الجديدة بأسماء مواقع عرفتها في المنطقة القديمة ٠ وينشأ هذا الخطأ كذلك من أن بعض المواقع يسمى باسم نوع من الشجر أو النبات أو باسم لون من الألوان أو الأحجام أو الجهات ، أو حتى باسم حوادث تاريخية ، وكل ذلك يمكن أن يوجد في أكثر من منطقة ، بل انه يوجد في شمالي الحجاز وحده أكثر من مكان بمسمى واحد، مثل الرحبة والسقيا والمعدن ورابغ وأيلة والشجرة ونخلة ، وغير ذلك كثير ٠ ولنضرب بالبكرى مثلا على الخطأ الذي يقع فيه الباحث ، اذا أصدر حكمه لأول وهلة دون تثبت ٠ فعندما تحدث البكرى عن السرّير ، قـال انـه « واد من أودية خيبر قد تقدم ذكره في رسمها ، وهو من الجار على سبعة أميال ، قال كثير :

ديـار باعنـاء السريـر كانمـا   عليهن فـي أكناف غيقـة شيد

وغيقة لبني غفار بن مليل بين مكة والمدينة » (٤) ، فالبكرى في هذا المثال يعرف أن أحد أودية خيبر يسمـى السرير ، فجزم بأنه المقصود في بيت كثير ، ولكن لان غيقة مجاورة للجار فقد حدد المسافة بين السرير والجار بسبعة أميال ، ولم يعن نفسه معرفة ما اذا كانت أودية خيبر يمكن أن تصب في غيقة ٠ والسرير الذي يقصده كثير مجاور لغيقة ، هو غير السرير الواقع بجوار خيبر ٠ وبالمناسبة فان غيقة ليست بين مكة والمدينة ، اذ أنها تقع قرب الجار على ساحل البحر الاحمر ، ومياه أودية خيبر لا تصب في غيقة ٠

كذلك ينبغي أن نكون متنبهين دائما لتحديد شراح الشعر القدامى للأماكن الجغرافية الواقعة في الشعر العربي ، ولنضرب بياقوت مثلا على الأخطاء التي تنشأ من عدم فهم هـذه التحديدات ، حيث ظن فـي تحديده للسرير نفسها ، أن هناك سريرا ثالثة ، اذ يقول : السرير واد بالحجاز قال نصر السرير قريب من المدينة قال كثير :

حـين دركـن درة بيمـين   وسرير البضيع ذات الشمـال

والسرير أيضا موضع بقرب الجار ٠٠٠ وعندي أن كثيرا أراد بقوله هذا السرير » (٥) ، والحقيقة أن نصرا كان

يعني السرير الذي ذكره كثير كذلك · وأحيانا يحدد المؤلف الموقع في بلاد الشاعر انطلاقا من أن ذلك الشاعر لا يذكر من الاماكن الا ما هو في بلاده ، مثل ما فعل البكرى حيث ذكر أن وادى الدوم في بلاد ضمرة ، لأنه ورد في شعر كثير اذ يقول :

بآيــة مــا جئنــاك يومــا عشيــة بأسفل وادى الدوم والثوب يغسل

فالبكرى يظن أن كثيرا يخاطب عزة وكلاهما من ضمرة ، ولكن الحقيقة أن كثيرا ينقل رسالــة مــن جميل الى بثينة ، وكلاهما من عذرة ، وبلادهما تقع في الكورة الغربية ، أما بلاد ضمرة فهي حول الجحفــة ورابغ والابواء وودان » (٦) ·

لقد كان علماء العربية في القرن الثاني الهجري حريصين جدا على معرفة الاماكن التي وردت في الشعر العربي القديم ، لان ذلك يساعدهم كثيرا على فهم النص ومعرفة مــا حوله ، وهــذا هو الذي دفعهــم الى زيارة جزيرة العرب والاقامة فيها مدة طويلة ، ويبحثون عن الاشعار وينقبون عن القصص ، لكي يقدموا الى تلاميذهم والمستمعين اليهم عملا أدبيا متكاملا ، وكانت الدوائر الادبية تقيم وزنا كبيرا للعلماء الذين يذهبون الى جزيرة العرب لغرض البحث الأدبي واللغوي والتاريخي ، ولذلك اعتبر أبو عمرو بن العلاء حجــة فــي حفظ الشعر العربي القديم ، ومعرفة أغراض الشعراء منه ، لأنه من أكثر العلمــاء العرب تنقلا فــي جزيرة العرب يومذاك · وبموت أبى عمرو بن العلاء حمل اللواء بعده الاصمعى ، الذي ألف أول كتاب جغرافي عن جزيرة العرب ، نجد بعض اقتباسات منه في كتاب **جزيرة العرب** للغدة الأصفهاني ، وقد نال هذا الكتاب شهرة واسعة بين العرب في وقت الأصمعي وبعده ، وهو في الغالب شرح للأشعار التي تهتم بالأماكن الجغرافية · ولما قلل العلماء العرب من تنقلاتهم في جزيرة العرب ، صار الأعراب العالمون باللغــة والشعر يــذهبون ببضاعتهــم الى الكوفــة والبصرة وبغداد (٧) ، بل لقد وصلوا الى نيسابور (٨) ، حيــث صاروا يعقدون مجالس أدبيــة يلقون فيهــا نوادرهم ويشرحون للمستمعين معاني الشعر ، ويحددون الأماكن الجغرافية الواردة فيه ·

ونذكر من هؤلاء الأعراب واحدا من ألمعهم هو عرام بن الأصبغ ، غادر موطنه ــ بــلاد بني سليم فــي الحجاز ــ لظروف قد تكون سياسية ــ في أول القرن الثالث الاسلامي ، ولكنه لم يتخل عن حبه لوطنه وحماسه لكل ما فيه من أشعار وبطولات ، فأملى في العراق رسالته عن جبال الحجاز وتهامة وأوديتهمــا وموارد الميــاه فيهما · ولسوء الحظ فان هذه الرسالة الفريدة في نوعها ، وصلت الينا مشوهة يكثر فيها الخلط بسبب تداخل صفحاتها وضياع بعضها، وقد تطرق اليها الخلل منذ عهد بعيد ، وبالتأكيد قبل منتصف القرن الخامس الاسلامي ، ولم يتنبه الى ذلك علماء مختصون وعظماء مثل البكرى وياقوت الذين اعتمدوا على هذه الرسالــة اعتمادا كليا ، ولكن في صورتها المشوهة ، ومع هذا فاننا بدون شك مدينون لهما ولغيرهما ممن حافظ على هذه الرسالة ، لأن عراما كان شديد الحماس لبلاده ، وقد اعتمد عليه علماء العراق والمشرق في تفسير أشعار بني سليم ، ولاسيما الخنساء ، حيث نجد اسم عرام يتردد في أماكن كثيرة في شرح ديوانها ، وأكثر ما يكون ذلك عند الحديث عن المواقع الجغرافية التي ترد في أشعارها (٩) ·

في البداية كان الشاعر العربي شديد المحافظة على الهدف الذي من أجله توضع الاسماء الجغرافية في مقدمة قصائده ، وكان يتقيد في كل حين بأن تكون قصيدته سجلا طبوغرافيا للمواقع التي يذكرها · لقد كان من النادر أن تجد قصيدة تحوى اسم موقع جغرافي لا يمت بصلة الى الموقع الذي يسبقه في القصيدة نفسها ، واذا رأينا شيئا من ذلك فلا ينبغي أن نتهم الشاعر ، اذ ربما تكون الرواية خاطئة أو يكون أحد المكانين قد عفى عليه النسيان · نعم قد نرى شاعرا مجيدا يتحدث عن مكان في الشرق وآخر في الغرب ، ولكنه يفعل ذلك عن عمد ليوضح لنا بعد المسافة بينه وبين المكان الذي يحن اليه ، أو يبين المشابهة بين مكانين

أو التناقض بينهما ٠ وكان هذا الالتزام بارزا في أشعار الجزيرة العربية في القرون الثلاثة الاولى ، حيث كان الجمهور يفهم الصلة بين هذه الاماكن فيزيد الشاعر حماسا وقبولا ٠ بل أن بعض المستمعين في الأمصار الاسلامية ، كانوا يسخرون من الشاعر الحضرى اذا سمعوه يجمع بين اسمين لا صلة جغرافية بينهما ٠ والمثال التالي يوضح لنا حرصهم على أن تكون القصيدة سجلا طبوغرافيا صادقا للجزيرة العربية ، يقول ياقوت : « حدث عمر بن كركرة ، قال أنشدني ابن مناذر قصيدته الدالية فلما بلغ الى قوله :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخور من هبود

قلت له : أي شيء هبود ؟ فقال جبل ، فقلت سخنت عينك ، هبود عين باليمامة ماؤها ملح لا يشرب منه شيء، ولقد ٠٠٠ فيه مرات ٠ فلما كان بعد مدة وقفت عليه في مسجد البصرة وهو ينشد ، فلما بلغ هذا البيت أنشد:

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويحط الصخور من عبود

فقلت له : عبود أي شيء هو ؟ قال جبل بالشام ، فلعلك يا ابن ٠٠٠ فيه أيضا ، فضحكت !! » (١٠) ٠

فهذا ابن مناذر شاعر لم يلق بالا الى الصلة بين رضوى وهبود ، اذ كان همه منصرفا الى رثاء عبدالمجيد ، ويبحث عن القافية لا غير ، فلم يقبل منه ابن كركرة هذا الاستهتار ، ونبهه الى الخطأ فيه ، لأنه جمع بين جبل رضوى شمالى الحجاز ، وبين هبود وهو اسم ذكره الشاعر دون عناية ولا تفكير ، وانما لمجرد أن الوزن والقافية احتاجا اليه ، فوبخه ابن كركرة على هذا الخلط ، لأنه كان ينبغي عليه أن يذكر جبلا عظيما مثل رضوى بدلا من هبود التي ظن ابن مناذر أنها جبل ، ولكن ابن كركرة يعرف أنها عين في اليمامة ، وأدرك ابن مناذر خطأه هذا ، فعدل قصيدته ، وبحث عن اسم جبل لم يعرفه ابن كركرة ، ولكنه خشى لسان الشاعر فسكت ٠

والذي فعله ابن مناذر لا يعد استهتارا بأهداف الشعر العربي القديم من ايراد الأسماء الجغرافية ، مرتبة واضحة الصلة ، اذا ما قيس بما فعله شاعر يظهر أنه من أهل الجزيرة ، ولكنه عن جهل أو عمد أورد أسماء لأماكن جغرافية بين مكة والمدينة ، فوضعها بترتيب عجيب لا منطق فيه ولا طبوغرافية ، اسمعه يقول :

اقفر السفح من أمية فالنعف فقول فيليل فبرام

فكدى فبطن مر فمسدوس قفار تسعى به الآرام

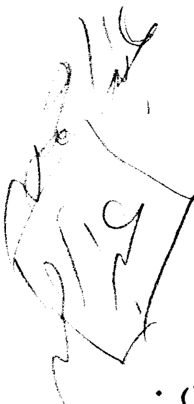
فخليص فبطن وجه عفاه كل مسحنفر له أرزام

فقديد أقوى فعسفان فالجحفة أقوى جميعها فرجام

فكديد فالجى أقفر منها فالعرينات فالهضاب العظام

فالرويحاء فالرويثة فالعرج فابواء منعج فشمام

فالهضيبات فالسيالة فالسقيا بأرجائها تداعى الحمام (١١) ٠



فمثل هذا الخلط بين الأماكن الجغرافية دون ترتيب طبوغرافي ملتزم ، لا يصدر عن شاعر عربي قديم على الاطلاق ٠ وهذا الشاعر الجاهل أو العابث يقلد قصيدة عبيد الله بن قيس الرقيات الرنانة في مصعب بن الزبير التي يقول فيها :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك رحمة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

ومن أبياتها الطبوغرافية :

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركن فالبطحاء

فمنى فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحراء

فالخيام التي بعسفان أقوت من سليمى فالقاع فالابواء (١٢)

موحشات الى تعاهن فالسقيا قفار من عبد شمس خلاء

ان ترتيب الاسماء في قصيدة ابن قيس الرقيات ترتيب طبوغرافي ملتزم ، فهو بدأ بالجنوب واتجه شمالا ، بحيث لا يذكر أي موقع بعد آخر الا اذا كان الأخير يقع شمال الاول ٠

ولكن تعالوا نستعرض الاسماء في القصيدة الاخرى ، فماذا نجد ؟ نجده ينتقل من تهامة الى الحجاز ، ثم يعود فجأة الى تهامة لكي يعود مرة أخرى الى الحجاز ٠٠ ليس هذا فحسب ، بل انه يبدأ من الجنوب ويحاول الاتجاه شمالا ، ولكنه في أحيان كثيرة يتخبط بين الشمال والجنوب دون ضابط ، بل لقد شارف المدينة شمالا وجاوز الطائف جنوبا في البيت الأول ، وهو ما يزال في مكة ، واستمر في كل بيت تقريبا ينطح بقرونه حيطان الشمال، ثم يعود الى حيطان الجنوب ويغير على الشرق والغرب غارات عشواء لا منطق فيها ٠ ولم يتنبه البكرى الى هذا العبث لان همه كان منصرفا الى مجرد ورود الاسم الجغرافي خلال هذه القصيدة ٠ وهذا شغله حتى عن الالتفات الى أن الشاعر العربي الأصيل لا يدلل على خراب المكان بتداعي الحمام في أرجاء الاطلال ، وانما يعمد الى ذكر طائر ذى نعيق مشئوم عند العرب كلهم وهو البوم ، أما الحمام فهو يثير الصبابة والشوق في نفس الشاعر ، لأنه ينوح على أحبته كما ينوح الشاعر ٠ انه لمن المضحك جدا أن يأتي مؤلف في الأسماء الجغرافية في جزيرة العرب ، فيضع مثل هذه القطعة المتهافتة من الشعر مرجعا من مراجعه، وهذا كان يحصل في القديم اذا كان المؤلف يكتب عن جزيرة العرب ، وهو بعيد عنها ولم يسبق له التعرف عليها ، ولكن واجبنا اليوم أن نقرأ الشعر الجاهلي ، وكل شعر عربي يضم أسماء الأماكن في ضوء معرفتنا لجزيرة العرب ، معتمدين على الخرائط الدقيقة وعلى البحث الميداني ٠

وقل أن نرى شاعرا قديما يخصص قصيدة بأكملها للأسماء الجغرافية ، ولكن في نهاية القرن الاول الهجري بدأت تظهر في الأشعار العربية ظاهرة تعداد المحطات على طريق الحجاج بترتيبها الطبوغرافي ، وقد استمر هذا النوع من الارجاز والأشعار في ازدياد ، بحيث أصبح الان يؤلف مجلدا ضخما لو جمع ، وكان السباقون اليه شعراء العراق ، حيث بدأت قوافل الحج تسير من هناك باحتفال ظاهر أيام الحجاج ، وبلغ الاحتفال مداه أيام زبيدة، وقد جمع وكيع القاضي في كتاب **الطريق** (١٣) ، وابن الحائك الهمداني في كتاب **صفة جزيرة العرب** (١٤) باكورة هذه الاراجيز والاشعار ٠

تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية

على أن الهمداني أورد في كتابه هذا قصة عن قحط شمل بلاد العرب من نجد وحجاز وتهامة ، فاجتمعوا يستغيثون ، وقام من كل منطقة شاعر يبتهل الى الله بتعداد أبرز الأماكن الجغرافية التي أضر بها الجفاف في منطقته على روي واحد ، وجاءت هذه الأسماء مرتبة ترتيبا طبوغرافيا دقيقا ، لا يتقدم فيه مكان عن موقعه ولا يتأخر ، وظاهر في هذه القصة الافتعال ، اذ يبعد أن تكون هذه القصائد الثلاث صدرت عن ثلاثة شعراء ، وأقرب الاحتمالات أن قائلها شاعر واحد ، نظمها في مكتبة غنية بالمراجع ، ولكنه أراد أن يحدد نجدا وتهامة والحجاز شعرا ، وقد فعل فأجاد ، واني مورد هذه القصة برمتها :

قال أبو الحسن الخزاعي ، وكان يسكن بأرض نجد العليا وتوطن عروضها وخالط أهل السراة وسمع من الجميع صدرا من الاخبار القديمة ، قالوا : أصاب (١٥) أزمة شديدة مكثوا سنة جرداء وسموها سنة الجمود، لجمود الرياح فيها وانقطاع الامطار وذهاب الماشية وهزالها وثبات الغلاء وقلة الأطعمة وتصرم المياه في الأودية والآبار ، ويسمى مثل هذه السنة الحطمة والازمة واللزبة والمجاعة والرّمد وكحل والقصر والشدة والحاجر ، فأقبل الناس بالضجة والعواء والتضرع الى بيت الله الحرام من أرض نجد وأكناف الحجاز وأرض تهامة والسروات ، يدعون الله عز وجل بالفرج لهم ويستسقون ، وكان في الوفد المستسقين من أهل نجد شاعر يقال له الحزازة العامرى ، أنشد شعرا يذكر آلاء الله عز وجل فيه ورحمته التي كانت تشملهم وتشمل أرضهم بلدا بلدا وواديا واديا وجبلا جبلا ، فقال :

ربّ ندعوك فاستجب فبك الدّهر عن الخلق تكشف الغمّاء
انّ أيوب حين ناداك لم يحجب لأيوب ربّ عنك النداء
مسّه الضرّ فاستجبت له الدّعوة لمّا به أضرّ البلاء
ان هذا الجمود للسنة الشهباء والمصمئلة الدّهياء
فأغثنا الاهنا ولك الحمد بغيث تحرّه الأنواء
ينعش النّاس في السّوارح والوحش وتحى الجديدة الغبراء
فلكم ثمّ كم رأيت غيوثا لك تقتادها الرياح الرّخاء
سقي الشجر فالمزون فما حازت ذوات القطيف فالأحساء
فاليمامات فالكلاب فبحرين فحزوى تميم فالوعساء
فالتّمارات فاللوى من أثال فالعقيقان عليا فالجواء
فكتاب الدبيل فالحمرة العليا فقهر الوحاف والقوفاء
فعلى مآرب فنجران فالجوف فصنعاء صبّة عزلاء

فقرى الحنو فالمناضج منها فسروم الكروم فالطرفاء
رويت فهي للنزول من الغيث عليها دجنة خضراء
ألقيت للسّحاب من أرض تثليث فأرض الهجيرة الأعباء
فالشعيباب من يبَنبم أخيين فأجزاعهنّ فالميثاء
أعشب الكوركور عامر تيم حيث ... هرجاب فالماذاء
واتلأبّت سيول بيشة في أعراضها فهي لجّة طخياء
وكأن النخيل من بطن ترج وهي حوم حنادس ظلماء
وبحوران للأوارك والضين وفي خصب عشر ضوضاء
رويت فيعتا تبالة غيثا فذوات الآصاد فالعبلاء
فقريحاؤها فرنية قد سال فوادى كلاخها فالكراء
فعكاظ فذو المجاز مع الحرة فالأبرقات فالجرداء
فخريداؤها مع الحضن المعرض فالقرن تلك والبوباء
وعلى ذات عرق فالسى فالركبة منها الملثّة الوطفاء
رويت حرّتا سليم وسالت شعب المعدنين فالأحفاء
فضرياتها فبرقة ثهلان الى حضنها استمال الرّعاء
سال في حاجر فأودية التوز سيول يضيق عنها الفضاء
فسميرا لها عباب وعلت مثلها الثعلبية الورقاء
فالحماء من قرن نجد فرمان فرمل الهبير فالدّهناء
فربى يحمد فأجا وسلمى تغتبي في نصيهن الظباء
شاكلت فيدها زبالة خصبا وكذاك الشقوق فالقرعاء

وسما الغيث حيث برقة شماء وحيث اللذيذ فالخلصاء
فمحياة فالصفاح فاعلى ذى فتاق فعاذب فالوفاء
فرياض القطا وأودية الشَّربب فالشعبتان فالأبلاء

هذان البيتان الأخيران مضمنان وهما للحارث بن حلزة ، وهذه أسماء بلاد العرب والمناهل النجدية المعروفة المشهورة والمذكورة التي تحتلها العرب من أهل نجد وتقيم على مياهها ومراعيها بالظعن والمواشى ، ذكرها الحزازة على الولاء فأحسن احصاءها وأحكم نظامها ٠٠ قالوا فسمع الوفد المستسقون من أهل تهامة وسرواتها هذا الشعر ، وكان فيهم شاعر يقال له أبو الحياش الحجرى من الحجر بن الهنو ، فسألوه أن يقول شعرا في مثل ما قال الحزازة ، فأنشأ أبو الحياش يقول :

ربّ ما خاب من دعاك ولا يحجب ياذا الجلال عنئك الدعاء
لم يخب للنبي يعقوب ياذا العرش فيما دعا لديك الرّجاء
رب أنت الذي رددت عليه بصرا كان قد محاه البكاء
وابنه يوسفا جمعت عليه بعد أن مسّ يوسف الضَّراء
وحشة منه في الغيابة للجب وفي السجن حين طال الثواء
رحمة منك هب لنا اننا نحن لله أعبد واماء
ان هاتا لأزمة عمَّت الناس ومستهم لها البأساء
ولكم نمّ كم سقيت لنا الأرض غيوثا أتت بها الأنواء
سقيت حضرموت منها مع الأحقاف ريًّا وعلت الأسعاء
طبّقت بالسيول أبين حتى لحجها وهي والسماء سواء
تلكم أحور وتلك الدثينات مع السر وجنَّة خضراء
ولذبحان فالمعافر فالساحل من غورها ضباب عماء
فقرى شرعب مع الجند العليا فما حازت الزيادي رواء
فالسحولان فالمذيخرة الغيثاء علت فحبسها القوراء

وأربت تصوب فوق زبيد مثل ما صب في الحياض الدلاء
ولجبلان سال في رمع الطمم وجادت على ذؤال السماء
وعلى سردد مسف من الجود لسقياه أحيت الكدراء
وللعسانها فأرض طمام فلعيان ديمة هطلاء
سقى الطود من حراز فمن هوزن غيثا لهيدتيه الطَخاء
فقرى مور فالقريضة فالشرّجة فالواديان فالسلعاء
وادلهمت على قرى حرض يومين بالسح مزنة سوداء
سقيت برهة قرى خلب منها فجازان تلك فالصبياء
فقرى بيش فالدويمات فالبرك فحلي ممطورة غيناء
ومن الطود فالزنامات خضر رويت فالتنومة الزهراء
فقرى الحجر جهوة الزّرع والضرع فأشجانها الحنا فالجباء
فجبال السَّراة فالفرع الوسطى حكين الجنان فالحيفاء
فالشّذاوان من سقامة فالمرحلة المرجحنة النحلاء
فقرى مغسل فأودية النهبين فالوادى ذى النجول العذاء
فالذرى من سراة غامد فالنَّمر فأجبال دوسها طخياء
فقرى الدارتين أرض عليّ سهلها والجبال منها الماء
فالشبابات فالمعادن فالطَّائف فالويل أرضهن سماء
فقنونا فأرض دوقة فالليث فعشم السَّرين فالسَّرّاء

هذه أسماء بلاد العرب والمناهل والأودية التهامية والسروية المعروفة المشهورة المذكورة التي تحتلها العرب من أهل تهامة وسرواتها باديها وحاضرها ، ذكرها أبو الحيَّاش الحجرى فأحسن احصاءها وجود رصفها في الشعر ، قالوا وكان في المستسقين من أهل الحجاز شاعر يعرف بالعجلاني ، فقال له أصحابه الحجازيون قل لنا شعرا نعارض به هذين الشاعرين واذكر لنا في قولك شبه ما ذكرا ، فأنشأ يقول :

رب ايـــاك نحن ندعو ونرجو ولنا أنـت ذا الجلال الرجـاء
فاستجـب ربنـا فانـك لا يحجـب للسائلـين عنـك الدعـــاء
اسقنا الغيث كـي يفارقنـــا المحل له والسنيهة (١٦) اللأواء
رب ان الحجـــاز مـذ كـانـــت الأرض بلاد تدوم فيها الغـلاء
غـير أن الحجـــاز لـم يـك يحطيها بمنهلة الغيوث السماء
ينعش المرمـل المعيـل لـدى الخصب وتحيي البهيمة العجماء
رب ان الحجاز أجحفها الأزل فقـد حـل فـي ذويهـا الجلاء
رب ان السماء تضحي وتمسي فوقهـا وهـــي وردة حمـراء
جمدت ريحها فلم يـر فيهـا منـذ حول سحابـة هطـلاء
ولكم قد رأيت يطمو علي السهل مـع الوعـر في الحجـاز الماء
مـــن غيوث تـوابـع لغيوث دالجـــات درت بهـا الأنـواء
على منها جبال مكـة حتـــى هـي مثل الريـاض خضر رواء
شـاكــل الزّيمـــة المغمـس والنخلـة فالموقفـــان فالبطحـاء
فمـداريجهـــا يلملـم فالعمـق فتلـك السواحـــل اليهمـــاء
فالفقيـــــان مـــن حـــذارق فالفرش فهاتلك جــدة القوراء
فجديدات فالحوابـط فالبرقـة تلـك الغميمـة السخمـاء (١٧)
فالكراعـان فالغميـــم مغيثـات فعسفـــان تلـــك فالبرقـــاء
طبق الضاحيـات مـــن أمـج الرى وأحيت قديدهـا الفيحـاء
فالكليـات فالستارة فالجحفـة فـــالقـــدس عـل فـــالأبواء
فالضواحـي مـن بطـن ودان فالجار فبـدر سقـين فالصفراء

رويت بالسيول سقيا وعلت   مع تلك المغيثة الروحاء
سقيت ينبع فساحتها   تلك فتلك الضياع فالشعثاء
واتلأبت تصب من فوق رضوى   فبواط دلوية وطفاء
رويت من بعاعها العيص   فالرس سيولا فالمروة البيضاء
وأربت تصب في الحجر والود   كما صب في الحياض الدلاء
رويت خيبر لها فيديع   ديمة كان نوءها الجوزاء
أعشب القاع فالحدائق من   يشرب للغيث فالضواحي الظمَّاء
سقى اللابتان فالحرّة الدنيا   فوادى العقيق فالحماء (١٨)
فالخليعات فالسيالة فالفرع فتلك السوائر الطخياء

هذه أسماء المنازل والمناهل والأودية والقرى الحجازية ٠

ونختتم هذه العجالة باستخلاص بعض النتائج ، وأهمها أن الشعر العربي القديم هو أوثق المصادر لدينا لتحديد الأماكن الجغرافية وضبط اللفظ بها ، قبل أن يبدأ الجغرافيون العرب بتدوين معلوماتهم في كتب تقرأ عليهم ، ويجيزون نقلها عنهم بعد الاطمئنان الى صحة ما كتبه تلاميذهم ٠ كذلك يهمنا أن نؤكد أن الشاعر العربي القديم كان يهدف من ايراد الاسماء الجغرافية في مطلع قصيدته الى أن يحدد مواقعها ، ليتناقل ذلك شباب القبيلة ، فلا ينسوا مواطن أسلافهم ، ولكي يعرفوا طريقهم اليها عندما تضطرهم حياة الصحراء الى العودة اليها ٠ ولم يكن الشاعر العربي القديم ليورد الأسماء الجغرافية الا مرتبة ترتيبا طبوغرافيا يعتمد عليه في رسم الخرائط التاريخية لجزيرة العرب ٠

ولقد رأينا في هذه العجالة أيضا كيف أن الشعراء المتأخرين والبعيدين عن جزيرة العرب ، حاولوا تقليد الشعراء الجاهليين في رصف أسماء الأماكن في افتتاحيات قصائدهم ، ولكنهم خلطوا هذه الأسماء وساقوها في صورة تدعو الى السخرية ، لأنهم لم يكونوا ليدركوا الهدف الأساسى من التزام الشعراء القدامى بذكر تلك الأسماء في افتتاحيات قصائدهم ٠

كذلك أشرنا الى خطورة الاعتماد على الشعر وحده في تحديد موقع الاسم الجغرافي الذي يذكره الشاعر ، حيث أن ذلك يورد الباحث في مزالق لا يتنبه اليها ، وعلينا في هذا العصر أن نجمع بين قراءة هذا الشعر وبين البحث الميداني ، لأن كثيرا من الأسماء الجغرافية تتعدد في جزيرة العرب ، فلا يكفي مجرد ورود الاسم في شعر قديم ، ومعرفتنا بمكان يطلق عليه هذا الاسم ، لكي نجزم بأن الشاعر قصد هذا المكان بعينه ، اذ أن القبيلة العربية اذا هاجرت من موطنها ، تطلق أسماء من هذا الموطن على أماكن في موطنها الجديد ، اضافة الى أن كثيرا من الأسماء الجغرافية مشتقة م ن لون أو شجر أو نبات أو جهة أو حجم أو منهل ، وهذه أشياء عامة في كل جزيرة العرب ٠

تحديد الشعراء العرب للمواقع الجغرافية

ان من حق أسلافنا العظماء، الذين حاولوا تسجيل المعاجم الجغرافية ، معتمدين على الشعر العربي القديم وشروحاته ، مثل البكرى وياقوت ، أن يأتي منا في هذا العصر ، من يدرس بدقة وامعان ما كتبوه عن أسماء الأماكن في جزيرة العرب ، وأن ينقى تلك الكتابات من الأخطاء التي ارتكبوها في تحديد تلك الأماكن ٠ ان واجبنا أن نرد لهم الدين ، ويا خجلتاه اذا جاء البكرى وياقوت وأمثالهما بعملهم العظيم الذي قاموا به في ذلك العصر ، وأتينا نحن مفلسين ونحن نعيش في عصر التصوير الجوي والفهارس المتقنة والمخيمات المترفة ٠ ولقد حاول المحدثون من علماء الجزيرة العربية أن يؤدوا هذا الواجب ، مثل محمد بن بليهد رحمه الله ، وعبد القدوس الأنصاري أمتع الله به ٠ ولكن أهم هؤلاء جميعهم وأعظمهم منَّة على أمتنا العربية عامة وعلى أبناء الجزيرة خاصة هو حمد الجاسر ، الذي حمل الراية ولا يزال منذ خمسين عاما ، وهو بحمد الله يتجدد شبابا ونشاطا ، وكلما تعرض لأزمة أو عارضته مصيبة خرج منها قويا مؤمنا صابرا متحديا ، فعسى أن يعيد الينا « مجلة العرب » ، وعسى أن تستطيع جامعاتنا الاستفادة من بحوثه وأفكاره وتعليقاته ومخطوطاته ومصوراته ٠

الهوامش

(١) كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب** ، ص ٤٢ ٠

(٢) **المرجع السابق** ، ص ٤٣ ٠

(٣) Ulrich Thilo, *Die Ortsnamen*

(٤) البكرى ، **معجم ما استعجم** ، ص ٧٣٧ ٠

(٥) ياقوت ، **معجم البلدان** ، جـ٣ ، ص ٢١٩ ٠

(٦) البكرى ، **معجم ما استعجم** ، ص ٥٦٣ ٠

(٧) انظر للمزيد من التفاصيل ، ابن النديم ، **الفهرست** ، ص ١١٤ وما بعدها ٠

(٨) الصفدى ، **نكت الهميان** ، ص ٩٧ ٠

(٩) انظر مثلا في **ديوان الخنساء** ، ص ٤ ، ١٧ ، ٩٧ ، ١٠٣ ٠

(١٠) ياقوت ، **معجم البلدان** ، جـ٤ ، ص ٩٥١ ٠

(١١) البكرى ، **معجم ما استعجم** ، ص ١٢٢٥ ٠

(١٢) **ديوان ابن قيس الرقيات** ، ص ٨٩ـ٩٠ ٠

(١٣) انظر **كتاب المناسك** المنسوب للحربي ، ص ٢٣٤ ٠

(١٤) الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٢١٤ ـ ٢١٩ ٠

(١٥) وفي الخطية : « أصاب الناس » ٠

(١٦) في الخطية : « والسنية » ٠

(١٧) في الخطية : « السحماء » ٠

(١٨) لعلها : « الجماء » ٠

الشعر النبطي مصدرا لتاريخ نجـد

عبد الله الصالح العثيمين

لعل من نافلة القول الاشارة الى أن بعض الأقطار أوفر حظاً من البعض الآخر من حيث تدويـن تاريخهـا وتعدد مصادره لما لهذه وتلك من ظروف خاصة ٠ ومناطق جزيرتنا العربية لا تخرج عن هذه القاعدة ؛ فبعض مناطقها ، كالحجاز واليمن ، حظيت بعناية المؤرخين في عصور مختلفة بدرجة لا بأس بها ، لما للحجاز من مكانة رفيعة في نفوس المسلمين ، ولما ظهر في اليمن من علماء اهتموا بكتابـة تاريـخ بلادهـم ٠ وبعض مناطق هـذه الجزيرة ، كنجد ، لم تحظ بمثل تلك العناية لظروف معينة مرت بها ٠

مضت عدة قرون قبل ظهور حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والمعلومات المدونة في المصادر التاريخية عن نجد تكاد تكون نادرة ، والاشارات العابرة التي وردت عنها في تلك المصادر غير متصلة ٠ وبعد قيام حركة الشيخ كتب عن هذه المنطقة الشيء الكثير وان كان غير واف من بعض الوجوه ٠ وعلى هذا الأساس فانه لا بد للباحث من استعمال جميع الوسائل الممكنة التي تسهم في رسم صورة واضحة لتاريخ هـذه البـلاد ، ووصل ما انقطع من سلسلة الأحداث فيها طيلة القرون السابقةللحركـة المذكورة ، واكمال مـا هو ناقص مـن بعض النواحي في الكتابات التي دُونت عنها بعد قيام تلك الحركة ٠

والشعر العربي من أهم مصادر تاريخ هذه الأمة الشاعرة في مختلف العصور وفي سائر جوانب حياتها٠ وقديما قيل : « الشعر ديوان العرب » ٠ وغالبا مـا أعطى الباحثون هذا المصدر حقه من العناية والدراسة ٠ وكثيرا ما أمدهم ذلك الشعر بما يبحثون عنه من معلومات مفيدة في مجالات بحوثهم المختلفـة ٠ واذا كان الشعر العربي المتقيد بضوابط الاعراب قد اعتني به واستخدم ، فقدم خدمة جليلة للباحثين فان الشعر النبطي متى نال مثل تلك العناية واستخدم كذلك الاستخدام ، سيعطى للدارسين خدمة لا تقل عن تلك التي أعطاها ولا يزال يعطيها الشعر الأول ٠ وسنرى من خلال هذا البحث المتواضع جوانب مما يمكن أن يؤديه الشعر النبطي بصفته مصدراً من مصادر تاريخ هذه البلاد ٠

ولعله من الواضح أن هذا البحث لا يهدف الى دراسة الشعر النبطي دراسة فنية ٠ غير أن اشارة بسيطة للتعريف به وما حظي به من عناية قد تكون مستحبة في هذه المناسبة ٠

المقصود بالشعر النبطي ذلك اللون من الشعر العربي الذي لا يتقيد في غالب الاحيان بقواعد اعراب اللغة العربية وصرفها ، ويخرج عن بحور الشعر المعهودة في أحيان نادرة ٠

وهناك من يسميه الشعر العامي أو الشعر الشعبي ، وهنـاك مـن يدعوه شعر الباديـة ٠ والتسميتـان الأوليان ترمزان الى معنى واحد ، وهو أن ألفاظ هـذا الشعر هي الألفاظ التي يتكلم بها عامة الناس أو سائـر الشعب ، لا لأن الذين يقولونه هم العامة وحدهم ، لان ذلك خلاف الواقع ، فهناك أناس من الخاصة وعلية القوم قالوه ٠ وهناك أفراد من المشهورين كتبوه كما كتبوا الشعر المتقيد بقواعد اعراب اللغة ٠ ولعل أبـرز مثال على هذا ، شاعر نجد الكبير محمد بن عثيمين ٠ وأما اطلاق شعر البادية عليه فتعريف قاصر ، لان الحضر لا يقصرون باعا فيه عن البدو ، بل ان أكثر أصحاب الدواوين الكبيرة فيه من السكان الحضر ٠

ويرى الأستاذ خالد الفرج أن في تسميته بالشعر النبطي دليلا على أنه قد أتى الى نجد من سواد العراق أو مشارف الشام ، لأن اسم الانباط كان يطلق على فلاحي تلك الجهات التي لحق تحريف اللغة العربية فيهـا قبل جزيرة العرب (١) ٠

وقد يكون في هذا شيء من الحقيقة ٠ وقد يكون سبب التسمية أن قائله لا يتقيد باعراب اللغة العربية ، لأنه لا يتقنها مثله في ذلك مثل رجل الأنباط ٠ فكان في تسميته أول الأمر نوع مـن الازدراء ، ثم أصبحـت

التسمية علما عليه . ولذا فهو شعر محلي لم يفد الى المنطقة من الخارج .

ويعود أول ما رُوي لنا من هذا الشعر الى القرن السابع الهجرى . وظل متوارثا من جيل الى آخر حتى العهد الحاضر . وقد دخلت اليه عبر القرون أنواع من التطور . ويلاحظ أنه كلما قرب عهده من الوقت الحاضر زاد بعده عن الشعر الملتزم بقواعد العربية على العموم . وظل محفوظا عن طريق الرواية الشفهية في الغالب . ولم يكن قائلوه يكتبونه الا قلة مثل محمد العبد الله القاضى . وكان العلماء والمؤرخون يتفادون تسجيله ، فابن بشر ـ مثلا ـ حينما تحدث عن معركة الخرمة سنة ١٢١٢هـ قال : « وقد أنشد في هذه الوقعة شعر كثير ولكن ليس على اللفظ العربي » (٢) . وعندما تكلم عن اغتيال الامام تركي بن عبد الله قال : « وقد رثاه رحمه الله عدد كثير من الشعراء ولكن ليست على اللفظ العربي فلا تليق بهذا الكتاب » (٣) . على أنه كان يوجد هواة عنوا به فدوّنوا ما راق لهم منه .

ومنذ أواخر القرن الماضى كثر المهتمون بتدوينه ونسخه . وكان هناك من يدوّنه ميلا اليه . وهناك من كان ينسخه للارتزاق منه . وكان هناك من يسجله للاستحسان والارتزاق معا .

وأول ما طبع من الشعر النبطي ديوان صغير للشيخ قاسم بن ثاني سنة ١٣٢٨هـ (٤) . ثم توالت طباعته على هيئة دواوين أو مجموعات . وفي الفترة الأخيرة جعلت له برامج خاصة في بعض الاذاعات ، وبدأ الباحثون بدراسته . وكان من رواد المهتمين بطباعته المرحوم خالد الفرج . ومن رواد دارسيه الاستاذ عبد الله ابن خميس .

والملاحظ أن الشعر النبطي، رغم ما لحقه أحيانا من خروج على قواعد اعراب اللغة ، هو أقرب الاشعار الدارجة في البلدان العربية الى الشعر العربي الملتزم بتلك القواعد من حيث الألفاظ والبحور والأغراض والدور المؤدّى . ولم يكن متوقعا أن يكون غير ذلك وقائلوه أبناء قلب الجزيرة العربية الذين فرضت عليهم ظروفهم الجغرافية أن يظلوا أبعد العرب عن التأثر بالمؤثرات الخارجية عبر القرون . وظلت حياة كل جيل من هؤلاء الأبناء مشابهة لحياة الجيل الذي سبقه بكل جوانبها . بقيت المثل الاجتماعية والعادات والأخلاق عربية أصيلة ، كما كانت منذ عصور قديمة بحسناتها وسيئاتها . ولم يبدأ التغير الحقيقي لما ذكر الا بعد تدفق النفط على أرض هذا الوطن ، وما تلا ذلك من ثروة واختلاط بالاجانب ، ترك بصماته على كثير من أمور حياتنا ومنها الشعر . فبعد أن كان رسول الشاعر يقال له :

يا راكب من فوق حرٍّ مشذَّرْ ... ما دنّق الرقاع يرقع رهوقه

أمه لفتنا من عمان تذكر ... وابوه من قعدان علوى عموقه

يشبه ظليم من جذيب تحدّر ... والا النداوى يوم تطلق سبوقه (٥)

أصبح يوجد من يقول له :

راكب اللى لا مشى يسهي سهيان ... ما يداني رجل سواقه تنوشه

ان عطى له مع طمان أو بيان ... والدريول شد سكانه يهوشه (٦)

وبعد أن كان الولهان يصف مشاعره بقوله :

كنى خلوج تنهض الصوت وتهيت ... وحوارها الراعى تعشى شواته

كنه ينقزهـا عـن الرعـى عفريت   والشرب كنـه تنقره مـن صراتـه (٧)

أصبح يوجد من يعبِّر عن مثل تلك المشاعر بالقول :

حن قلبي حن ماك على سمر العجل   عشق السواق والدرب ممسوك وراه

ان عطى مع طلعة عشقوا له بالدبل   وان تسهل ريَّحه لين ياصل منتهاه (٨)

الاستدلال التاريخي بالشعر النبطي :

يمكن استخدام الشعر النبطي في دراسة العصور التي سبقت قوله ٠ كما يمكن استخدامه في دراسة العصر الذي قيل فيه ٠ وتجدر الاشارة الى كيفية الاستفادة منه في المجال الأول وان كان المقصود في هذا البحث التركيز على المجال الثاني ٠

ذكرنا أن سكان قلب الجزيرة العربية ظلوا عبر قرون طويلة حتى فترة قريبة جدا أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا ٠ ومن هنا فان شعرهم في هذه القروان يلقى أضواء على كثير من جوانب حياة أسلافهم الذين كانوا يشابهونهم في مختلف هذه الجوانب ٠

كثيرا ما شك بعض الباحثين في الشعر الجاهلي لأسباب متعددة من بينها أن منه ما نسب الى شاعر من قبيلة لها لهجة خاصة فورد في ذلك المنسوب كلمات ليست من تلك اللهجة ٠ ومع الايمان بوجود الانتحال بالنسبة لذلك الشعر القديم ، فاننا نود أن نلفت النظر الى حقيقة هامة وهي أن شعراء النبط لا يتقيدون دائما بلهجة مناطقهم أو قبائلهم الخاصة وانما يخرجون عنها أحيانا٠ مثال ذلك أن ضمير الغائبة يختلف لفظه في لهجة سكان منطقة عن لفظه في لهجة سكان منطقة أخرى ٠ والخلاوي يقول :

قم يـا فتى واختـار للسير جسره   كتوم الرغا منجوبة الخال حايـل

وملها أمام سهيل عشريـن ليلـة   وتلغى نفود السر ملوى الرمايـل

فهو يستعمل ضمير الغائبة كما هو شائع « ملها » ولكنه يستطرد فيقول :

اصغه يسار صوب وادى حنيفه   تلقى بها المرعـى وهجـل المخايل (٩)

وهو هنا لا يستعمل ضمير الغائبة مثل استعماله له قبل ذلك ٠ والعونى مـن القصيم ومعروف أن سكان تلك المنطقة يسكِّنون ضمير الغائبة ويفتحون ما قبله٠ ولكنه يقول في مطلع قصيدته المشهورة بالخلوج :

خلوج تجذ القلـب باتلى عوالهـا   تكسر بعبرات تحطـم سلالهـا

تهيض مفجوع الضمايـر بحسهـا   الى طوحت حسه تزايـد هجالهـا (١٠)

وعلى هذا الاساس فما وجد في قصيدة قديمة من تعبيرات ليست مـن تعبيرات سكـان منطقـة الشاعر الذي نسبت اليه القصيدة ، لا يكفي للتشكيك في صحة كونها له ٠

ومن دلالات الشعر النبطي على ما سبق عصر قائليه ـ كما يذكر علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر ـ ايضاحه لتعابير لغوية ولهجات عربية قديمة وردت في كتب القدامى (١١) ·

ويستفاد من الشعر النبطي الشيء الكثير في محاولة فهم ما قد يكون غير واضح من عادات وتقاليد ومعرفة الشخصية العربية ، نظرا لان الحياة الاجتماعية كما قلنا لم تتغير الا حديثا · ومن أهم دلالات هذا الشعر على الماضي، فوق كلما سبق، تحديده لأمكنة وردت في اشعار الأقدمين أو في كتابات من تحدث عنها · ولم يستطع من درس تلك الأشعار أو الكتابات تحديدها أو معرفتها · وقد استعمل الشعر النبطي في هذا الغرض المرحوم محمد بن بليهد في كتابه **صحيح الأخبار** · ويستعمله الآن أساتذة أجلاء من أبناء هذه البلاد في كتاباتهم القيمة لاخراج معجم جغرافي لمناطق مختلفة من وطننا العزيز ·

من شعراء النبط الذين تحدثوا عن بعض القوى المعاصرة لهم في نجد راشد الخلاوى الذي أشار الى زعيم يقال له أبو سالم كان له نفوذ في وادى حنيفة ، كما أشار الى أن جوّ الثليما كان من الموارد التي ترتادها الظفير ولام وفئات من عقيل :

اصغه يسار صوب وادى حنيفة ... تلقى بها المرعى وهجل المخايل
دار لابو سالم فتى طال شبره ... شيخ الكمام ومنتدى كل سايل
فالى جيت في جو الثليما بنزله ... وقد لمّ جال الما رجال القبايل
وتجمعوا لك من ظفير وغيرهم ... ولام ومعهم من عقيل حمايل
فاكشف عليهم من بعيد وناظر ... واعقل من الرعيان رمز المثايل (١٢)

ثم يصف قوم ممدوحه بقوله :

عيّالهم تيزيك عيّال غيرهم ... وعقّالهم تيزيك قول وقايل
نزارية تحدى لحدى ربيعه ... منبعية تدعى وفاة الخصايل
نما هم نجيب الخال من نسل سالم ... رب الورى يكفيه ما دال دايل (١٣)

ويدعو لهم بقوله :

رعى الله حي للمنيعي وقومه ... واسقاه من غر الغوادى سحايبه
عسى سربهم مرعاه باكناف حاجر ... ومن فوق وادى السيح نرعى ركايبه
سحاب الحيا اسقاه واروى وعلّه ... وخشم الثليما فاض واروى شعايبه (١٤)

وكان منيع بن سالم صاحب نفوذ في الأحساء وما حولها :

فلولا منيـع سور هجـر وبابهـا　　　وابنا عقيل عصبـه مـن قرايبـه

لك الله مـا سنعت لسهيل ناقتي　　　ولولاه ما نوخت يبريـن شاربـه (١٥)

ولكن المشاكل اعترضته وذل بعد عز :

قل الله هل شفت السخي ابن‌سالم　　　منيع مـن حـاش الثنا والفوايـد

تطاوحتـه الايـام لـين أو دعنـه　　　يشد على ثلب قصيـف البدايـد (١٦)

كما أن ظروف الحياة أبعدته عن مركز الصدارة وأحلت محله من لا يستحق ذلك المركز :

تغيرت الدنيـا وأهلهـا تغيروا　　　وتعلـى على فروخ الحرار خفـاش

وطاه الزمان آسف على حالـة بها　　　منيـع وزانـت للـردى والـلاش (١٧)

وكان الخلاوى قد نصح منيعا بالضرب على أيدى أعدائه :

قد قلت لـه قول قديم بـه الدوا　　　ويكفي منيع لو تبعنى وحاط بـه

اسق اللدان وخضب البيض منهم　　　ومن جاك منهم صاحب لا تصاحبه

وحريب جـدك لوصفا مـا يودك　　　وعيناه لو تبكى لك الدم كاذبـه (١٨)

ورغم أسف الخلاوى لما جرى فانه يحثه على عدم اليأس :

منيـع لا تيس ولا تقطـع الرجـا　　　من الناس قبلك لك غطا وفراش

اقول انا واد جرى مـن فروعـه　　　يجرى لزوم كـان عمرك عـاش (١٩)

والمتأمل في شعر الخلاوى يجد أنه يسمي ممدوحه منيع بن سالم ، ويقول عن داره حي للمنيعي ، ويصف ذويه بقوله منيعية ، كما ينسبهم الى ربيعة ونزار ٠

ولكن ذلك غير كاف لمعرفة اسم اسرته المباشرة ٠ أكانت تدعى آل سالم أم آل منيع ؟ أم كان لها اسم آخر ؟ والتساؤل وارد أيضا عن عصر منيع ٠

كان لآل عصفور العقيليين العامريين نفوذ في الأحساء خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجرى ٠ وقد امتد ذلك النفوذ الى أرض اليمامة (٢٠) ٠ وكان لآل جروان العامريين نفوذ في الأحساء وما حولها منذ بداية القرن الثامن حتى منتصف القرن التاسع تقريبا ٠ ثم قضى على حكمهم سيف بن زامل الجبرى الذي أتى

بعده أخوه أجود المشهور (٢١) ٠ وفي خلال هذه الفترة كانت لبني لام قوة في نجد ٠ فهل عصر الخلاوي وممدوحه أحد القرون المذكورة ؟ وهل كان منيع من آل عصفور أو آل جروان ؟ لست مقتنعا تماما بهذا ولكني أيضا غير مقتنع برأي من يرى عصره بعد القرون المذكورة لان تاريخ كلتا المنطقتين نجد والأحساء أصبح أكثر وضوحا بعد ذلك ٠

شهدت بعض المناطق النجدية نفوذا لأجود بن زامل حتى وصف بأنه رئيس نجد ورأسها (٢٢) ٠ وكان من أمراء هذه الدولة الجبرية فتى يقال له مقرن قال فيه الكليف :

تل العشيرة مقرن زاكى الوفا حمّال من جل الخطوب اثقالها

قد شاف بالاعمام مالا يرتضى بالدار واقفى زاهد باعمالها

وقد حرضه الشاعر على محاولة الحكم بقوله :

فان كان تبغى ملك هجر صادق فاضرب بحد السيف روس رجالها (٢٣)

وقد عبّر عن نفوذ هذه الدولة في نجد جعيثن اليزيدي حين قال :

ولاقيت بعد السير ياناق مقرن وقابلت وجها فيه للحمد شاهد

نشابين سيف والغريري زامل فيالك من عم كريم ووالد

وبين أجود سلطان قيس وركنها عن الضيم أوفى المعضلات الشدايد

حمى بالقنا هجر الى ضاحى اللوى الى المعارض المنقاد نابى الفرايد

ونجد رعى ربعي زاهى فلاتها على الرغم من سادات لام وخالد

وسادات حجر من يزيد ومزيد قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد (٢٤)

وكلام جعيثن يدل على أمرين : أحدهما ما أشير اليه من نفوذ لدولة آل أجود في نجد ، والثاني أن من بين القوى النجدية آنذاك بني لام وبني خالد ٠ وقد اشتهر من رؤساء بني لام عجل بن حنيثم الذي عبَّرت ابنته عن صولة أتباعه بقولها :

ألا يا بلاد جنب تيما مقيمه ما دامت الشعرا هيام قليبها

أخذنا على ولد الشريف بن هاشم على الحوض حقه من وردها يجيبها (٢٥)

كما كان منهم ابن عروج الذي أتعب الابل بكثرة غزواته :

مشوا مــن المعارض بجيش بهيف　　　يتلون ابــن عروج مقدم بنــي لام

ياما انقطع في ساقته من عسيف　　　ومن فاطر تسبق على الجيش قدام

عقب الشحـم وملافخـه للرديف　　　قامت تضولع مثل مرهوص الاقدام (٢٦)

وأما بنو خالد فقد ازدادت قوتهم في نهاية القرن العاشر ٠ ثـم أصبحوا قوة كبيرة فـي شرق الجزيـرة العربية في النصف الثاني من القرن الحادى عشر ٠ وتمكنت قيادتها من آل حميد بزعامة برّاك بن غُرير من اجبار الحامية العثمانية في الأحساء على مغادرة المنطقة سنة ١٠٨٠هـ ٠ وقد مدح رميزان بن غشام أمير روضة سدير براكا بقوله :

براك بـن غريـر امضى خالـــد　　　مولى مفاخرها سنى مـن زارهـا (٢٧)

وكان لزعماء بني خالد نفوذ في نجد عبـَّر عنه راعي السِّر حين مدح سعدون بن محمد بقوله :

ما غـير سعدون مزار الى عـدت　　　علينـا الليـالى صايلات جرودهـا

حمى من ربى هجر الىضاحى اللوى　　　الى الشام من دار العميري حدودها

الى خشم رمــان الى النـير مجنب　　　الى الشعرا ، وقمانها من لجودها

الى العرض والوادىالحنيفى مشرق　　　وما عن جنوب كل هذى يسودهـا

الى طاب منها مرتــع زانـه الحيا　　　رعاها على رغـم العدا ما يكودهـا (٢٨)

وخلال القرنين العاشر والحادي عشر من الهجرة كانت عنزة أكثر القبائل ذكرا في حوادث الصراع الدائـر آنذاك في نجد ٠ ولكن قبائل أخرى كالدواسر والظفير والفضول وآل مغيرة كان لها بعض الشأن ٠ كما ورد ذكر لقبيلة زعب التي تحدثت عنها احدى شاعراتها بقصيدة طويلة منها :

تهيضت يـا سبَّاع لدار ذكرتهـا　　　ولا عاد منهـا الا موارى حيودهـا

ومنها :

زعبية يــا عـم مانــى هميه　　　ولانى من اللى هافيات جدودهـا

قبيلة كـم اذهبـت مـن قبيلـــة　　　اذا عدت الجودات ينعـد جودهـا

زعـب أهـالى المدح والمـد والثنا　　　من الربع الخالى للحجاز حدودهـا (٢٩)

ولقد تمكنت مطير من انتزاع مركز الثقل في نجد من عنزة فيما بعد ٠ ثم تركته لقبيلة قحطان كما تقول

احدى شاعراتها :

نجـد حميناهـا مـن أولاد وايـل   واليوم عدونـا سكن وادى الراك (٣٠)

وكان أول تحد من مطير لعنزة سنة ١٠٧٨هـ حين أخذت غزوا لها (٣١) ٠

ولكن تلك الحادثة كانت بمثابة الشهاب الذي ظهر ثم اختفى فجأة الى أجل ٠ ولم يأت التحدِّي الكبير الا في أواخر القرن الثاني عشر حين انتصرت مطير على عنزة سنة ١١٩٥هـ قرب الجحناوي ٠

وكان ممن قتل من زعماء عنزة في هذه المعركة مقعد بن مجلاد وجديع بن هذّال وقد سجل ذلك رئيس الجِبلان الملقب حصان ابليس بقوله :

عيَّنـت لـي مقعـد عيون المهـارا   وجـديع اللِّي كل الاسلاف تتليه

جرّوه مـن درعـه سواة الحوارا   وسيوف علوى جربت فـي علابيه

وقد التجأ بعض آل هذال اثر المعركة الى جبل كير فادركتهم خيل مطير وقتلوا :

يا كير مـا عينت ربع لجوا فيك   خطلات الأيدي نقوة أولاد وايـل (٣٢)

وقد بلغت زعامة قحطان في نجد أوجها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر زمن رئيسها محمد بن هادى حتى أن زعيمين مشهورين تركي بن حميد وراكان بن حثلين ذكرا توددهما اليه بالهدايا ٠ قال راكان :

أهديت لك نور السلف والجهامه   أبغيك ذخر فـي مقاديـم الايـام

وقال تركي :

أهديت له خمس وسادسهن التوم   وقعود زبن اللِّي بغى ما حصل له

وبلغ من ثقة ابن هادى بقوته أن قال في تحديه لتركي بن حميد بعد تكدر العلاقة بينهما :

انكان رمحك في هل الخيلمرسوم   فانـا برمحـي حامـي نجد كلـه

لكن الغلبة أصبحت في النهاية لعتيبة التي قال شاعرها :

يـا نجد مـا والله نزلناك بسلوم   ولا أنت بورث جدودنا بالقدايـم

خذناك عقب مدارك العمر بالسوم   سوم يخسـر لابسـات العثايـم

ويا نجد اخذنا منك حق ومرسوم   وصفا جنابك عقب نطل العمايـم (٣٣)

ويبدو، على أية حال، أن المراد بنجد في كلام بعض هؤلاء الشعراء جزء معين منها أصلح من غيره لرعي الابل، لا المعنى الشامل المعروف لنجد · أو أن المقصود بالحماية التمكن من التحدى لا ادعاء السيطرة الكاملة · ولعل مما يؤيد ذلك ذكر جعيثن اليزيدي نجدا جنبا الى جنب مع العارض وحجر · وأنه في الوقت الذي ادعى فيه ابن هادى حماية نجد كان هناك الامام فيصل وأبناؤه اضافة الى قوة آل رشيد المتحفزة · وقد يكون ما ذكر قيل على سبيل المبالغة في الفخر لا على أساس حقيقي دقيق · واذا كان المؤرخون يبالغون أحيانا فما بالك بالشعراء؟

وحينما نحاول التعرف على أوضاع سكان نجد من الحاضرة قبل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نجد أن الشعر النبطي يمدنا ببعض المعلومات · فمن خلاله نجد أن النزاع حول السلطة قد امتد الى نزاع بين أقرب الاقرباء أحيانا · فحميدان الشويعر يقول :

مثل راعي جلاجل مع ابـن نحيط — أدركـه مـن زمـان وهو يسحره
أظهره مـن كنيـن الذرا للفضا — ثـم جوّد عنـه ساقـف المحجره
ثم قـال احملوا يـا عيالـه عليه — بلّمـه واحـد وآخـر عقّره
يا عيال الندم يـا رضاع الخدم — يـا غذايـا الغلاويـن والبربـره
ما يفـك الحذر مـن سهوم القدر — والشويعر حميـدان يامـا انـذره (٣٤)

وكان انذاره له في قصيدة اخرى قال فيها :

يا ابن نحيط افهـم جواب مهذب — جـا مـن صديق واضح عنوانهـا
عدو جدك مـن قديـم دارس — متجـرع بغضاك طـول أزمانهـا
والقرب من نار الصديق غنيمـة — والضد حذرا من نعيم جنانها (٣٥)

وكان هناك من أمراء نجد من هو ظالم لمواطنيه · يقول جبر بن سيار :

شيوخ الى فكرت فيهـا لكنهـا — ثعالب طرفا تفسد الملـك جـايره
تركّبوا ظلم الرعايـا وطبعهم — يدلك عليه ان مات تشبح بصايره (٣٦)

وشعر حميدان مليء بوصف الحياة المعاصرة له من جميع نواحيها · ولكنه يعطى اهتماما خاصا للجوانب غير المشرقة في المجتمع · وغالبا ما أتى شعره على هيئة تحذير من فئات غير مستقيمـة وتعريـة لهـا · يقول ـ مثلا ـ :

يا صبي استمع مـن عويـد قضى — الدهر مدّبه لـين ما قصّرى

لا تضم الذي مـا تعرف السوا　　تجعـل الزيـن شين ولا تسترى
يذن العصر والعيش فوق الرحـى　　القـدر موصخ واللبـن مخورى
ولا تضم الذي مـا تمـل الرديف　　تسرى الليـل للّي لها يحترى
الوعد مثل مـا قـال كحّي واكح　　في قيام العشر وان ظهرت اظهرى
واقعدى عندنا لـين هـم يظهرون　　واظهرى والمطوع بهـم يوتـرى (٣٧)

وحينما يتناول بعض المنتسبين الى العلم والدين ينقد تصرفاتهم نقدا لاذعا خاصة أولئك المتاجرين بالدين أو المرتشين · يقول :

من الجماعـة مـن ينطّ بمرتبـه　　بالديـن لو هو مـا يخط ولا قرا
يدرق بديـن الله ديـن غـادر　　والله عـلام بمـا هو اضمرا (٣٨)

ويقول :

بالناس مـن هو يدعـى بديانـه　　متمسـك بقـرايتـه واوراده
عنـد الخلايق غافل ويحسِّن　　ياخذ شريطه مثل جاري العـاده
عنده لراعـى الصاع موس جيـد　　واللـي بلا صاع له المكراده
فاحذر خداع الخاين المتعبـد　　لو دام ليلـه والنهـار عبـاده
كـم غرّ فيهـا مـن غرير جاهل　　حظـه لمثلـه مثـل فـخ صـاده (٣٩)

ويقول أيضا :

أنـا امـدح بـالعـالـم شاره　　واطيبـه فـي فرع الـدهمـا
لاجتك الطلبـه فـي حلقـك　　وتقابلت أنت ويـا الخصما
ودلـّى يسمـع نبـط الخصم　　ولحقتـك الشكـه والتهمـا
فالفـز فـي كفـه دينـار　　ليـاه يضرّبـك اليهمـا (٤٠)

ولم يكن حميدان وحيدا في انتقاد هذه الفئة من المجتمع فجبر بن سيار يقول :

لك الله في ما عصرنا ذا شفيه　　معا كـل هلباج ينمـــي تجايره
وكـل كبير التـــاج فسل مطوع　　يرى الطوع في شال على الراس كايره
يطالع في كتب التسانيد معرض　　عن الفهم ما ياعظ لنفسه نظايره (٤١)

والمصادر التاريخية الأخرى تشير الى وجود بعض القضاة النجديين الذين كانوا يشترطون على المتخاصمين أجورا مقابل نظرهم في قضاياهم · وهو موقف عارضه الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد ودارت بينهـم وبينه مجادلات بشأنه · ورغم وجود هـذه الفئة مـن القضاة والمنتسبين الى العلم ، فانـه كـان هناك قضاة مستقيمون وعلماء أجلاء أشادت المصادر بفضلهم وعلمهم ·

وقامت الدولة السعودية الاولى متضامنة ومعتمدة على دعوة الشيخ محمد واستمرت قرابة خمسة وسبعين عاما تمكنت خلالها من ضم كثير من مناطق جزيرة العرب · ومن المؤكد أن الشعراء من مؤيديهـا ومعارضيهـا أدلوا بدلائهم دفاعا وهجوما ، ولكن ما وصل الينا من شعر هذه الفترة قليل جدا اذا ما قورن بما وصل الينا من شعر قبل قيامها أو بعد نهايتها · ومن بين ذلك الشعر القليل ما نسب الى عريعر بن دجين زعيم بني خالد ، وهو يشير الى وجود خلاف بين صفوف الزعامة الخالدية التى كانت معادية للدرعية مما أتاح لقادتهـا فرصة تثبيت مركزهم في المناطق القريبة منها دون تدخُّل خالدي محتمل :

فلا واوجعي مـن لابـة خـالديـة　　غـدوا للملا والعاليـن حكـاه
عفيت لهم ما فات باغ الى اوجهوا　　علـى الضد فلّوا بالجمـوع قواه
فيـا مبلغ منـى شهيل رسالــه　　بهـا مـن بقايـا مـا بقـاه وصاه
مشيتوا بنا يا شهيل ممشى قطايع　　بكم رَزّ شيطان الرجيـم عصاه (٤٢)

ومن ذلك أبيات قالها الشريف راجح عن وقعة الخرمة سنة ١٢١٢هـ بين اتباع الدرعية واتباع الشريف غالب موضحا بعض الفئات التي يتكون منها الجيش السعودى ومبينا انهيار معنوية أتباع الشريف غالب :

يا حيف يا خطو الشجاع المضرّا　　فـي مصر مملوك لحمر العتـارى
اكفـخ بجنحـان السعد لا تـدرّا　　فالعمر مـا ياقـاه كثر المدارى (٤٣)

ومنها :

ان سايلـوا عنـي فحالي تسرّا　　قبقب شراع العز لو كنـت دارى
رميـت عنـي برقع الـذل بـرّا　　ولا خـير فيمـن لا يدوس المحارى

مـن يوم كـل مـن خَوَيّه تبرّا   خليـت الاجرب لـي خوي مبارى

وحصنت نجد عقب ما هي تطرّا   مصيونـة عـن حر لفـح المذارى (٤٤)

أما فيصل بن تركيفقد واجه في بعض فترات عهده مشاكل خاصة من بعض أناس خذلوه ، وكان يأمل أن يقفوا معه حينما هاجمه خالد بن سعود واسماعيل بك ٠ وقد عبر عن ذلك بقوله :

مفهوم قلبي للرعابيب مـا اشتاق   أيضا ولا همّـه لجمـع الدنانـير

لكـن مـن ربع عليهـا الردا ساق   عقب الجمايل أنكروا نيّة الخـير

باروا بحقي ذا تَـنَـكَّرْ وذا بـاق   وذا قاعـد عنـي ولا لـه معاذير

ومنها :

قولوا لخير الله ترى المكر به حاق   واخوانه اللي نسيوا الطيب والخير

ثم يشير الى انتصار أهل جنوب نجد على اسماعيل وخالد بقوله :

حنا حمينا نجـد مـن كل فساق   من حمر مصر والوجيـه المناكـير

أول نراسلهم بتسجيـل واوراق   واليوم باطراف الرماح المساهـير

يا ضبعة بالخرج مـن كل فساق   كولي زنـادي مـن وسود المناقير

ضفتي هلالعارضوعشوك باشناق   واهل القرىعشوك روس الطوابير (٤٥)

أما الأمير عبد الله بن علي بن رشيد فتكاد تكون حوادث حياته مسجلة في شعره وشعر أخيه عبيد ٠ كان عبد الله قد لعب دورا كبيرا في القضاء على مشارى بن عبد الرحمن الذي استولى على الرياض بعد تنفيذ مؤامرة اغتيال الامام تركي بن عبد الله قبيل نهاية سنة ١٢٤٩هـ ٠ لهذا ولما قد يكون حدث من شكوى بعض أهالـي حائل عزل الامام فيصل صالح بن عبد المحسن عن امارة هذه البلدة وولّى عبد الله بن رشيد بدلا منه ٠ وحين وصل خالد بن سعود واسماعيل بك الى القصيم ذهبت فرقة من جيشهما الى حائل مع عيسى بن علي ٠ وحـين اقتربت من تلك المدينة هرب عبد الله بن رشيد منها والتجأ الى جُبَّة ٠ ثم تمكن من اجبار عيسى على مغادرة حائل بعد أن تركها أكثر رجال الفرقة التي أتت معه ٠ وقد أشار عبد الله الى ذلك في احدى قصائده :

قلهيه ياللّي لي من الناسوِدّادْ   ما ترحمون الحال يا عِزْوِتي ليه

ومنها :

جبّه سقاه من اول الوسم رعـاد   ما حدرت خشم ام سمنان تسقيه

الـلى بهـا للمنهزم زبـن ميعـاد   من لاذ به كن الحرم لايذ فيـــه

ومنها :

عيسى يقول الحرب للمـال نفّاذ   والمال لمن هبت نسانيس ذاريـه

عيسى يقول الحرب ما به لنا ازواد   انشد مسوىالسيف قل ليه حانيه

والله لو اني من ورا جسر بغداد   انى لكـم مثل العمـل عند راعيه (٤٦)

أما وقعة بقعا التي حدثت سنة ١٢٥٧هـ بين ابن رشيد وأتباعه من شمر وبين أهل القصيم وحلفائهـم مـن عنزة فقد أعطت تفصيلاتها قصيدة عبيد بن علي التي منها :

يا دارنا مـن جـاك جيناه عجلين   بالليل نسرى والصفر والقوايـل

جينا صباح وهم لنـا مستكنيـن   وثار الدخن من حر صلوا الفتايل

وحصل‌لنا عقب المواصل‌وفا الدين   وراعى السلف ردت عليه الجمايل

ومن فضل رب‌العرش عدل‌الموازين   راحت على القصمان واولاد وايـل

ربعى مروية السيوف المسانـين   خلوا صفا بقعـا مـن الدم سايل (٤٧)

وفي سنة ١٢٦١هـ قام أمير عنيزة باغارة على اطراف حائل ، فرد عليها عبيد بن على بغزوة انتقامية قتل فيها امير عنيزة ۰ وقد أشار عبيد الى الاولى بقوله :

يا ابن سليم ان كانوا غرتوا بالاطراف   مـا تنتفـع بالطهبلـه والتداهـير

ان ساعف الله نلحق الفايـت ارداف   وتـالى سنتكـم تلعنون المشاوير (٤٨)

وأشار الى الثانية بقوله :

واحلو زعجتنـا عليهـا الهلاهيـل   بيوم كسا وادى عنيـزة ضبابـه

صارت فقايدهم رقـاب المشاكيل   بايمان من لا ثمنوا فـي عقابـه

يا ذيب صح وازعج‌لذيب الهذاليل   واذكر لـه الوادى يدور العشابـه

عن فرسه الطليان يفرس رجاجيل   بدار بصرف البـين ينعـى غرابـه

وقبلـه مضى منـا عليهـم تهاويل   والشر هذى عاقبه مـن سعى بـه (٤٩)

وتوضح قصيدة عبد الله بن علي التي بعثها الى الامام فيصل ليشرح موقفه ويتجنب غضبه أن أهل عنيزة كانوا قد حاولوا اغتياله ، كما توضح أن الامام كان قد بعث اليهم ليردوا ما أخذوه من ابل لابن رشيد :

يوم انهم عجزوا عنى بالغياله   شبوا لنار الحرب بالقيظ صوال

هذاك حق الى خطوطك عصاله   فرحان وابنسبيت ما القى لهم بال

ولا يفوته بهذه المناسبة أن يشير الى الخدمة التى كان قد أداها لفيصل سابقا حين اشتبك مع عبد مشارى ابن عبد الرحمن وأصيب بجروح ليؤكد ارتباطه به ويحصل على رضائه :

شهودى بجلدى والعدو به بداله   والناس تدرى بالجدايد والاسمال (٥٠)

وكما سجلت قصائد عبد الله بن رشيد وأخيه عبيد كثيرا من أخبار امارة آل رشيد حفظت لنا أشعارا كثيرة لغيرهما وأخبارا مفيدة عن سير الحوادث في نجد . وقد اعطت بعض القصائد معلومات مفصلة عن بعض الوقائع كما حدث بالنسبة لقصيدة شلويح العطاوى التي وصف فيها معركة بين قومه من عتيبة وبين سعود ابن فيصل. فقد ذكر فيها مكان المعركةوعدد الجيشين وتكوينهما،كما ذكر بعض زعماء قومه ووصف سير المعركة حتى نهايتها قال :

على طلال الصبح اخيل مخايل   وصلت سناويها الى المطاوى

جانا سعود مسير بجنوده   معه الدويش ولمة البداوى

ثمانية الاف عداد جموعهم   بلوى كفانا الله شرا البلاوى

تطلعن يا البيض في مركا ضمنا   وصلت كسايرهم الى الجرذاوى

تزينوا عنا قصور بريده   لين احتمالهم بيرق القصماوى (٥١)

وخلدت قصيدة ضيدان العارضى من مطير صمود رفاقه ضد خيل ابن رشيد معطية بعض التفاصيل لما حدث :

يوم نط الرقيبه راس مشذوبه   قال زلوا وجتك الجيش زرفالى

قال انا شفت شوف لا بليتوا بـه　　　شوف ريبه ومنـه القلب يهتالـي
طوحوا لابتى فـي كل مسلوبـه　　　واحتموا جيشهم ماضين الافعالـي
يوم لحق الامـير ولحقت الشوبـه　　　لا قرايـا ولا مزبـن ولا جـال
لحقت الخيل بالغلمـان مركوبـه　　　واقفت الخيـل فيهـا الدم شلال
كلمـا قلـت راحوا عودوا نوبـه　　　وارسلوا سربـة تسعـين خيـال
من شريق الضحى يا قابل التوبه　　　لين غابـت وحنـا هوش وقتـال
يحسب انـا نعود عنـد مندوبـه　　　قال يرسل علينـا خيلـه ارسال
الظفر ساعـة لا حل مـاجوبـه　　　كل ساعـة لهـا حزات ورجـال

كما ألقت قصيدة احدى شاعرات الجبلان من مطير بعض الضوء على معركة لبن حين قالت :

كون جرى في لبن ما جا بالاكوان　　　من مات في جنة الفردوس موعوده
غاروا علينا السحر في وقت الاذان　　　الملح منهـم يشيل الارض برعوده
قومان ما حدهـا العارض لنجران　　　وابن صباح وابن حثلـين وجنوده
ردوا لخضر النمش بالكون دوشان　　　ترى الجنايز خلاف الجيشمرجوده
نعـم بربعـي هل العادات جبلان　　　كم اطلقوا من هنوف قبل ملدوده (٥٢)

والقصائد التي تتحدث عن المواقف بين المرحوم الملك عبد العزيز وبين خصومـه لا تحصر ٠ وهناك مـن الشعراء من شعره سجل تاريخي لهذه المواقف ٠

ويلاحظ في هذه الفترة بالذات ظهور قصائد طويلة بمثابة ملاحم ٠ من ذلك قصيدة محمد العونى التى تبلغ ١٨٤ بيتاً والتي مطلعها :

قوموا كفاكم شر ميلات الاقـدار　　　شدوا على هجـن لهـن الطرب دار

تاريخ مفصل للحوادث التى دارت فـي منطقـة القصيم سنة ١٣٢٢هـ بـين الملـك عبد العزيز وأنصاره وبين الأمير عبد العزيز بن رشيد وأتباعه من عرب وغيرهم ٠ لنأخذ مقطعا منها يتحدث فيه عن معركة البكيرية ــ مثلا ــ :

جونا الدواسر مع فريق القحاطين　　　كلنا لهـم بالمد وفوا لنـا الصاع

الاشراف لانوا عقب ما هم قاسين   والشق ما يرفاه خمسة عشر باع

أما الحوادث التى تلت انهيار الدولة السعودية الأولى فقد ساهم الشعراء النبطيون في ذكر تفصيلاتها مساهمة كبيرة ، وكان من بين هؤلاء أفراد من الأسر التي لها صدر الزعامة . أثر شعر للامامين تركي بن عبد الله وابنه فيصل وحفيدهما محمد بن سعود . كما أثر شعر لأمراء آل رشيد عبد الله بن علي وأخيه عبيد وحمود بن عبيد . وروي شعر لبعض زعماء القبائل كمحمد بن هادى القحطاني وتركي بن حميد العتيبي وراكان بن حثلين العجمي وروي شعر لزعماء القبائل وأولئك،كما روي لكثيرين من غير الامراء والزعماء. وكله أضاف الكثير من المعلومات وأوضح بعض ما لم تذكره كتب التاريخ .

وفي الوقت الذي كان فيه تركي بن عبد الله يحرز انتصاراته في نجد كان مشاري بن عبد الرحمن آل سعود في مصر مع من أخذ من أفراد الأسرة السعودية اثر سقوط الدرعية وقد وجه اليه تركي قصيدة يستحثه فيها على القدوم الى نجد ويخبره بما جرى له من نصر :

سر يا قلم واكتب على ما تورّا   ازكى سلام لابن عمي مشارى

مشى وحنا بالبيارق مشينا   والامر لله والسبب به مضينا

يبغى البكيرية وحنا بغينا   هدمه ولطمه قبل ما يا هل الدار

نزل وحنا عند خشمه نزلنا   من دون ديرتنا تبين جهلنا

والطير ظلل فوقنا يوم صلنا   يرجي يمانينا وعدلات الانظار

سرنا عليه وسار بين الصلاتين   والشمس غابتمن قتام الخميسين

والبين صاح وناح بين الخصيمين   واغبرت الافاق واشتعلت النار

تخاطبوا من بينهم بالهنادى   والترك ترطن والعرب له تنادى

لاكن مطل الروس جدع الهوادى   بيوم عبوس الشر بوجيه الاشرار

الميمنه دارت وصارت خفيفه   راحت عن الاسلام صارت خفيفه

والترك لاقتهم موارت جنيفه   ما خايروا يوم ان بعضالعرب خار

عنوى هل العوجا تعداهم النوم   اركوا جموعالحضر والبدو والروم

لولا زهبهم كملت تالى اليوم   ما خيشروا بالمدح بشهود الاخيار

يوم اكمل القصدير عيوا يطيعون   قاموا بحد مصقلات يهوشون
يوم انهم خانوا بهم من تعرفون   استعصموا بحدود عطبات الاذكار
ولا بهم شافوا هل الشر خله   الا جموع عايلتهم مظلة
أولاد علي شرعوا كل سله   نعم بهم والصدق هو عين الاذكار
اركوا على شمر وراحوا مدابير   وجموع حايل هم سبعة طوابير
دلت تصيح الغوث وين المعابير   يوم انهم حاطوا بهم مثل الاسوار
الليث ابو تركي بسيفه ضربنا   هماتنا بسيوفنا ما اكترثنا
لاكن جدع الروس يوم انتدبنا   جدع الحدايج عند لفوات الاسفار
بنحورنا ما جد وابن جبر خلي   وشيوخ شمر ملحقين المتلي
ورجال حايل هيه فكّر وقل لي   والترك تسع ميه تزيد الكمندار (٥٣)

وكما قيل عن قصيدة العونى هذه يمكن أن يقال عن قصيدة ابن حصيص التي تبلغ ١٣٩ بيتا والتي تحدث فيها عن النزاع بين الملك عبد العزيز وزعماء الاخوان خاصة عن معركتي السبلة وام رضمه ، واصفا لهما وصفا دقيقا شارحا ظروفهما ونتائجهما ومصير أولئك الزعماء . لنأخذ ـ مثلا ـ وصفه لام رضمه .

مطير أشقى الله منهم   راعى الدين أوفى الديان
جاهم شي ما عرفوا له   من خيل وسلة صبيان
وجموع ما يحصى عده   كنّه صولات الكتفان
معها ابن مساعد يقداها   غاد للشوبه دندان
يوم ان عزيز جا وارد   حاديه اللال وعطشان
يبى المارد والى هم له   هل العادات الظفران
ضوارى نجد القطاعه   كل يركض قدم الثاني
ما صح أنه يشرد عنهم   صكوا به مثل الحيطان

خلوهم مثل الضحايا   طعم لسباع الخليان

سبع ميه بام رضمه   نقوة علوى والبرهان

وتمامتهم راس عزيز   عشوه السبع الجيعان

وهكذا نرى أن الشعر النبطي أسهم اسهاما كبيرا في تسجيل تاريخ نجد ، ونرى أنه لا غنى لمن يريد بحث تاريخها عن استخدامه . ولتتم الاستفادة منه حاضرا ومستقبلا لا بد من تحقيقه وشرحه .

الهوامش

(١) خالد الفرج ، **ديوان النبط** (المطبعة العربية ، القاهرة) ، جـ١ ، ص ٧ ٠
(٢) **عنوان المجد في تاريخ نجد** (الطبعة الثانية على نفقة وزارة المعارف السعودية ، ١٣٩١هـ) ، جـ١ ، ص ١٥٢ ٠
(٣) **المصدر نفسه** ، جـ٢ ، ص ٧٥ ٠
(٤) خالد الفرج ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ١٠ ٠
(٥) فهد المارك ، **من شيم العرب** ، (الطبعة الثانية ، ١٣٨٦هـ) ، جـ١ ، ص ٢٤١ ٠
(٦) عبد الله بن رداس ، **شاعرات من البادية** ، (دار اليمامة) ، جـ١ ، ص ١٥٣ ٠
(٧) محمد سعيد كمال ، **الازهار النادية** ، (القاهرة) ، جـ٤ ، ص ٣٤
(٨) عبد الله بن رداس ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ١٠٨ ٠
(٩) عبد الله بن خميس **راشد الخلاوي** (دار اليمامة ، ١٣٩٢هـ) ، ص ٢٧٥ـ٢٧٧ ٠
(١٠) خالد الفرج ، **المرجع السابق** ، جـ٢ ، ص ٢٨٣ ٠
(١١) عبد الله بن رداس ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ٨ ٠
(١٢) عبد الله بن خميس ، **راشد الخلاوي** ، ص ٢٧٧ ٠
(١٣) **المرجع نفسه** ، ص ٢٨٤ ٠
(١٤) **المرجع نفسه** ، ص ٢٢٠ ٠
(١٥) **المرجع نفسه** ، ص ٢١٤ ٠
(١٦) **المرجع نفسه** ، ص ٢٩٩ ٠
(١٧) **المرجع نفسه** ، ص ٣١٠ ٠
(١٨) **المرجع نفسه** ، ص ١٥٢ ٠
(١٩) **المرجع نفسه** ، ص ٣١٠ ٠
(٢٠) حمد بن لعبون ، **تاريخ ابن لعبون** (مكة المكرمة ، ١٣٥٧هـ) ص ٢٧ ٠
(٢١) محمد آل عبد القادر ، **تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم والجديد** ، (الرياض ، ١٣٧٩هـ) ، جـ١ ، ص ١٢٠ ٠
(٢٢) **الموضع نفسه** ٠
(٢٣) عبدالله الحاتم ، **خيار ما يلتقط من الشعر المنبط** ، (الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٣٨٧هـ) ، جـ١ ، ص ٤٠ ـ ٤٢ ٠
(٢٤) حمد بن لعبون ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢ ٠
(٢٥) عبد الله بن خميس « الشعر الشعبي ومعالم الجزيرة» ، **العرب** (شوال، ١٣٨٦هـ) ، ص ٢٩٥ـ٢٩٦ ٠
(٢٦) عبد الله بن رداس ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ١٣٠ ٠
(٢٧) عبد الله الحاتم ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ٨٦ ٠
(٢٨) **المرجع نفسه** ، جـ١ ، ص ١٩٣ـ١٩٥ ٠
(٢٩) عبد الله بن رداس ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ٧٠ـ٧٤ ٠
(٣٠) محمد بن بليهد ، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار** (الطبعة الثانية ، ١٣٩٢هـ) ، جـ٢ ، ص ١٣٠ ٠
(٣١) عبد الله بن بسام ، **تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق** (مخطوطة) ، **ورقة ٤٨أ** ٠
(٣٢) مقبل الذكير ، **تاريخ نجد** (مخطوطة) ، ص ٢٠٨ ٠
(٣٣) عبد الله بن خميس ، (الشعر الشعبي ومعالم الجزيرة) ، **العرب** (ذو الحجة ، ١٣٨٦هـ) ، ص ٤٩٥ ـ ٤٩٧ و٥٠٢ ـ ٥٠٤ ٠

(٣٤) عبد الله الحاتم ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ١١٨ .
(٣٥) **المرجع نفسه** ، ص ١٣٨ .
(٣٦) **المرجع نفسه** ، ص ١٠٤ .
(٣٧) **المرجع نفسه** ، ص ١٣٥-١٣٦ .
(٣٨) **المرجع نفسه** ، ص ١٢٠ .
(٣٩) محمد سعيد كمال ، **المرجع السابق** ، جـ٩ ، ص ١٣ .
(٤٠) **المرجع نفسه** ، ص ٥٧ .
(٤١) عبد الله الحاتم ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ١٠٤ .
(٤٢) **المرجع نفسه** ، ص ٧٠-٧١ .
(٤٣) **ابن بشر ، المصدر السابق** ، جـ١ ، ص ١٥٢ .
(٤٤) عبد الله الحاتم ، **المرجع السابق** ، جـ٢ ، ص ٩ .
(٤٥) **المرجع نفسه** ، جـ٢ ، ص ١١ - ١٣ .
(٤٦) مقبل الذكير ، **المرجع السابق** ، ص ٦٥-٦٦ .
(٤٧) عبد الله الحاتم ، **المرجع السابق** ، جـ٢ ، ص ٨١-٨٣ .
(٤٨) **المرجع نفسه** ، ص ٨٨ .
(٤٩) محمد سعيد كمال ، **المرجع السابق** ، جـ٣ ، ص ٦٣-٦٤ .
(٥٠) ضاوي الرشيد ، **نبذة تاريخية عن نجد** ، (دار اليمامة ، ١٣٨٦هـ) ، ص ٩٦ - ١٠١ .
(٥١) عبد الله الحاتم ، **المرجع السابق** ، جـ٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .
(٥٢) عبدالله بن رداس ، **المرجع السابق** ، جـ١ ، ص ١٤٢ .
(٥٣) خالد الفرج ، **المرجع السابق** ، جـ٢ ، ص ٢٧٧-٢٧٨ .